AIESA

المجلة العربية مداد

علمية - دورية - محكمة - إقليمية - متخصصة
تصدر عن المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب

AIESA

ISSN: 2537-0847

eISSN : 2537-0898

المجلة العربية

mdad

دورية - علمية - محكمة - إقليمية - متخصصة

تصدر عن

المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب

عضو الاتحاد النوعي لجمعيات البحث العلمي وبنك المعرفة المصري

ISSN: 2537-0847

eISSN : 2537-0898

http://mdad.journals.ekb.eg

***Arcif rating*: Q1**

تقييم المجلس الأعلى للجامعات المصرية (٧/ ٧)

المجلد التاسع - العدد (٣٠) يوليو ٢٠٢٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

إدارة المجلة غير مسؤولة عن الأفكار والآراء الواردة بالبحوث المنشوره في أعدادها

وانما فقط تقع مسؤوليتها في التحكيم العلمي والضوابط الأكاديمية

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

يتم النشر الالكتروني على المنصات الآتية

السنه	-كل السنوات-
المجله	المجلة العربية للدراسات التربوية
القطاع	الدراسات التربوية
ISSN	2537-0847

م	القطاع	اسم المجلة	اسم الجهه / الجامعة	ISSN-P	ISSN-O	السنه	نقاط المجله
1	الدراسات التربوية	المجلة العربية للدراسات التربوية	المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب	2537-0847	2537-0898	2025	7
2	الدراسات التربوية	المجلة العربية للدراسات التربوية	المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب	2537-0847	2537-0898	2024	6

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

هيئـــــة التحـــــرير

أ.د/ هدى عطية عبدالغفار	رئيساً للتحرير
د. أيمن أبو مصطفى	مديراً للتحرير
د. أحمد صلاح كامل	عضو
د. محمد عبد الباسط عيد	عضو
أ.د/ عايدي علي جمعة	عضو
د. بركات رياض محمدي	عضواً
حسام شعبان عبدالشافي	عضواً
الكاتب الروائي/ نجدي عبد الستار	عضوا دوليا – ليبيا
الشاعر الصحفي / أحمد بشير العيلة	عضوا دوليا – ليبيا

الهيئة الاستشارية العلمية

أ.د/ إبراهيم عـــوض	كلية الآداب جامعة عين شمس
أ.د/ ابتسام مرهون الصفار	جامعة بغداد بالعراق
أ.د/ أحمد إبراهيم درويش	كلية دار العلوم جامعة القاهرة
أ.د/ أحمد هنـــدي	كلية الآداب جامعة عين شمس
أ.د/ إيهاب محمد النجدي	الجامعة العربية المفتوحة.
أ.د / صالح عبد الوهـاب	كلية البنات – جامعة الأزهر
أ.د/ الياقوت محمد حسن	جامعة بخت الرضا - السودان
أ.د/طلبة عبد الستار مسعود أبوهديمة	جامعة أم القرى
أ.د/ عـادل ضرغـام	كلية دار العلوم جامعة الفيوم
أ.د / عبد الناصر هـلال	كلية الآداب جامعة حلوان
أ.د/ عبد الباسط سعيد عطايا	كلية اللغة العربية – جامعة المنوفية
أ.د/عزة شبل محمد أبو العلا	كلية الآداب جامعة القاهرة
أ.د/ فدوى كمال عبد الرحمن	كلية الألسن – جامعة عين شمس

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أ.د/ محمد عبد اللطيف هريدي	**كلية الآداب جامعة عين شمس**
أ.د/ محمد الطــاووس	**كلية الآداب جامعة عين شمس**
أ.د/ محمد الهــواري	**كليةالآداب جامعة عين شمس**
أ.د/ وجيه يعقــوب السيد	**كلية الألسن جامعة عين شمس**
أ.م.د/ نجــلاء احمد فؤاد	**قسم اللغه الفرنسية.- الجامعة الكويتية**

- تم ترتيب الاسماء حسب الدرجة العلمية وابجدياً

ISSN : *2537-0847* eISSN : *2537-0898*

ميثاق اخلاقيات النشر :

تنشر المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب من خلال اصداراتها البحوث العلمية الأصيلة والمحكمة، بهدف توفير جودة عالية لقُرَّائها من خلال الالتزام بمبادئ مدونة أخلاقيات النشر و منع الممارسات الخاطئة. وتصنف المدونة الأخلاقية ضمن لجنة أخلاقيات النشر (COPE : Committee on Publication Ethics) وهي الأساس المرشد للمؤلفين والباحثين والأطراف الأخرى المؤثرة في نشر البحوث بالمجلات من مراجعين، بحيث تسعى المجلات لوضع معايير موحّدة للسلوك؛ وترغب المجلات على أن يقبل الجميع بقوانين المدونة الأخلاقية، وبذلك فهي ملتزمة تماما بالحرص على تطبيقها في ظل القبول بالمسؤولية والوفاء بالواجبات والمسؤوليات المسندة لكل طرف.

١- مسؤولية الناشر:

قرار النشر: يجب مراعاة حقوق الطبع وحقوق الاقتباس من الأعمال العلمية السابقة، بغرض حفظ حقوق الآخرين عند نشر البحوث بالمجلات، و يعتبر رئيس التحرير مسؤولا عن قرار النشر والطبع ويستند في ذلك إلى سياسة المجلات والتقيد بالمتطلبات القانونية للنشر، خاصة فيما يتعلق بالتشهير أو القذف أو انتهاك حقوق النشر والطبع أو القرصنة، كما يمكن لرئيس التحرير استشارة أعضاء هيئة التحرير أو المراجعين في اتخاذ القرار.

النزاهة: يضمن رئيس التحرير بأن يتم تقييم محتوى كل مقال مقدم للنشر، بغض النظر عن الجنس، الأصل، الاعتقاد الديني، المواطنة أو الانتماء السياسي للمؤلف.

السرية: يجب أن تكون المعلومات الخاصة بمؤلفي البحوث سرية للغاية وأن يُحافظ عليها من قبل كل الأشخاص الذين يمكنهم الاطلاع عليها، مثل رئيس التحرير، أعضاء هيئة التحرير، أو أي عضو له علاقة بالتحرير والنشر وباقي الأطراف الأخرى المؤتمنة حسب ما تتطلب عملية التحكيم.

الموافقة الصريحة: لا يمكن استخدام أو الاستفادة من نتائج أبحاث الآخرين المتعلقة بالبحوث غير القابلة للنشر بدون تصريح أو إذن خطي من مؤلفها.

٢- مسؤولية المحكم (المراجع):

المساهمة في قرار النشر: يساعد المحكم (المُراجع) رئيس التحرير وهيئة التحرير في اتخاذ قرار النشر وكذلك مساعدة المؤلف في تحسين البحث وتصويبه.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

سرعة الخدمة والتقيد بالآجال: على المحكم المبادرة والسرعة في القيام بتقييم البحث الموجه إليه في الآجال المحددة، وإذا تعذر ذلك بعد القيام بالدراسة الأولية للبحث، عليه إبلاغ رئيس التحرير بأن موضوع البحث خارج نطاق عمل المحكم، تأخير التحكيم بسبب ضيق الوقت أو عدم وجود الإمكانيات الكافية للتحكيم.

السرية: يجب أن تكون كل معلومات البحث سرية بالنسبة للمحكم، وأن يسعى المحكم للمحافظة على سريتها ولا يمكن الإفصاح عليها أو مناقشة محتواها مع أي طرف باستثناء المرخص لهم من طرف رئيس التحرير.

الموضوعية : على المحكم إثبات مراجعته وتقييم الأبحاث الموجهة إليه بالحجج والأدلة الموضوعية، وأن يتجنب التحكيم على أساس بيان وجهة نظره الشخصية، الذوق الشخصي، العنصري، المذهبي وغيره.

تحديد المصادر: على المحكم محاولة تحديد المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع (البحث) و التي لم المؤلف، و أي نص أو فقرة مأخوذة من أعمال أخرى منشوره سابقا يجب تهميشها بشكل صحيح، وعلى المحكم إبلاغ رئيس التحرير وإنذاره بأي أعمال متماثلة أو متشابهة أو متداخلة مع العمل قيد التحكيم.

تعارض المصالح: على المحكم عدم تحكيم البحوث لأهداف شخصية، أي لا يجب عليه قبول تحكيم البحوث التي عن طريقها يمكن أن تكون هناك مصالح للأشخاص أو المؤسسات أو يُلاحظ فيها علاقات شخصية.

٣- مسؤولية المؤلف :

معايير الإعداد: على المؤلف تقديم بحث أصيل وعرضه بدقة وموضوعية، بشكل علمي متناسق يطابق مواصفات البحوث المحكمة سواء من حيث اللغة، أو الشكل أو المضمون، و ذلك وفق معايير و سياسة النشر في المجلات، وتبيان المعطيات بشكل صحيح، و ذلك عن طريق الإحالة الكاملة، ومراعاة حقوق الآخرين في البحث ؛ وتجنب إظهار المواضيع الحساسة وغير الأخلاقية، الذوقية، الشخصية، العرقية، المذهبية، المعلومات المزيفة وغير الصحيحة وترجمة أعمال الآخرين بدون ذكر مصدر الاقتباس في البحث.

الأصالة و القرصنة: على المؤلف إثبات أصالة عمله وأي اقتباس أو استعمال فقرات أو كلمات الآخرين يجب تهميشه بطريقة مناسبة وصحيحة ؛ والمجلة تحتفظ بحق استخدام برامج اكتشاف القرصنة للأعمال المقدمة للنشر.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

إعادة النشر: لا يمكن للمؤلف تقديم العمل نفسه (البحث) لأكثر من مجلة أو مؤتمر، وفعل ذلك يعتبر سلوك غير أخلاقي وغير مقبول.

الوصول للمعطيات والاحتفاظ بها: على المؤلف الاحتفاظ بالبيانات الخاصة التي استخدمها في بحثه، و تقديمها عند الطلب من قبل هيئة التحرير أو المُقيّم.

مؤلفي البحث: ينبغي حصر (عدد) مؤلفي البحث في أولئك المساهمين فقط بشكل كبير وواضح سواء من حيث التصميم، التنفيذ، مع ضرورة تحديد المؤلف المسؤول عن البحث وهو الذي يؤدي دوراً كبيراً في إعداد البحث والتخطيط له، أما بقية المؤلفين يُذكرون أيضاً في البحث على أنّهم مساهمون فيه فعلا، ويجب أن يتأكد المؤلف الأصلي للبحث من وجود الأسماء والمعلومات الخاصة بجميع المؤلفين، وعدم إدراج أسماء أخرى لغير المؤلفين للبحث ؛ كما يجب أن يطّلِع المؤلفون جميعا على البحثة جيدا، وأن يتفقوا صراحة على ما ورد في محتواها ونشرها بذلك الشكل المطلوب في قواعد النشر.

الإحالات والمراجع: يلتزم صاحب البحث بذكر الإحالات بشكل مناسب، ويجب أن تشمل الإحالة ذكر كلِّ الكتب، المنشورات، المواقع الإلكترونية و سائر أبحاث الأشخاص في قائمة الإحالات والمراجع، المقتبس منها أو المشار إليها في نص البحث.

الإبلاغ عن الأخطاء: على المؤلف إذا تنبّه و أكتشف وجود خطأ جوهرياً و عدم الدقة في جزئيات بحثه في أيّ زمن، أن يشعر فورا رئيس تحرير المجلات أو الناشر، ويتعاون لتصحيح الخطأ.

شـــــروط النشـــــر :

- يجب أن لا يتجاوز البحث المقدم للنشر عن (٣٥) صفحة ، متضمنة المستخلصين : العربي ، والإنجليزي على أن لا تتجاوز كلمات كل واحد منهما (٢٠٠) كلمة ، والمراجع.
- يلي المستخلصين : العربيَّ ، والإنجليزيَّ ، كلماتٌ مفتاحية (Key Words) لا تزيد على خمس كلمات (غير موجودة في عنوان البحث)، تعبر عن المجالات التي يتناولها البحث؛ لتستخدم في التكشيف.
- تكون أبعاد جميع هوامش الصفحة الأربعة (العليا، والسفلى، واليمنى، واليسرى) (٣) سم، والمسافة بين الأسطر مفردة.
- يكون نوع الخط في المتن للبحوث العربية وللبحوث الإنجليزية (Times New Roman)، بحجم (١٣).

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

- يكون نوع الخط في الجداول للبحوث العربية وللبحوث الإنجليزية (Times New Roman)، بحجم (١٠). و تستخدم الأرقام العربية (١-٢-٣...Arabic) في جميع ثنايا البحث.
- يكون ترقيم صفحات البحث في منتصف أسفل الصفحة.
- يكتب عنوان البحث ، واسم الباحث ، أو الباحثين ، والمؤسسة التي ينتمي إليها، وعنوان المراسلة، على صفحة مستقلة قبل صفحات البحث. ثم تتبع بصفحات البحث، بدءاً بالصفحة الأولى حيث يكتب عنوان البحث فقط متبوعاً بكامل البحث.
- يراعى في كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث، أو الباحثين، في متن البحث صراحة، أو بأي إشارة تكشف عن هويته، أو هوياتهم، وإنما تستخدم كلمة (الباحث، أو الباحثين) بدلاً من الاسم، سواء في المتن، أو التوثيق، أو في قائمة المراجع.
- أسلوب التوثيق المعتمد في المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية، الإصدار السادس.
- يتأكد الباحث من سلامة لغة البحث، وخلوه من الأخطاء اللغوية والنحوية.
- توضع قائمة بالمراجع العربية بعد المتن مباشرة، مرتبة هجائياً حسب الاسم الأول أو الأخير للمؤلف (اختياري) ، وفقاً لأسلوب التوثيق المعتمد في المجلة.
- في حال قبول البحث للنشر تؤول كل حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز نشره في أي منفذ نشر آخر ورقياً أو إليكترونياً، دون إذن كتابي من رئيس هيئة التحرير.
- الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- رسوم النشر للمصريين (٢٠٠٠ جنيه) ورسوم النشر لغير المصريين أو العاملين في جهات غير مصرية (٢٠٠ دولار) .
- يتم تقديم البحوث إلكترونياً من خلال بريد المجلة الإلكتروني أو موقعها:

search.aiesa@gmail.com

http://mdad.journals.ekb.eg

ISSN : *2537-0847* eISSN : *2537-0898*

محتويات العـدد	
افتتاحية العدد	-
د. هادية صالح مشيخي التراث بين النقد والفلسفة - قراءة في مشروع محمد عابد الجابري النقدي	١ – ٢٢
د. لطيفة الحمادي العنوان في الرواية الإماراتية - أنماطه، ووظائفه	٢٣ - ٤٠
أفنان هاجد المطيري المنطلقات اللسانية لعز الدين المجدوب في كتابه: (المنوال النحوي)	٤١ - ٨٤
د. محمد بن سالم بن محمد الجامودي الأفعال التأثيرية في ديوان أبي الفضل محمد بن عيسى بن صالح الحارثي	٨٥ - ١٠٢
د. مريم البادي – د. عمر السّعدي – أ.د/هاني إسماعيل أبو رطيبة الأنا والآخر في الرّواية النّسويّة العُمانيّة: بين التّمثيل الواقعيّ والتّخييل الأدبيّ	١٠٣ - ١٤٨
كريم يُسْري عِزَّت محمود حافظ تشيع أبي نواس: حقيقة أم افتراء؟ - تحليل النصوص وتفنيد الروايات	١٤٩ - ١٧٠
د. فوزية بنت سيف بن علي الفهدية شعرية الخوف في مجموعة (وقت قصير للهلع) ليحيى سلام المنذري	١٧١ - ٢٠٦

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

افتتاحية العدد:

بسم الله نبتدئ (وبعد)،

لعل أهم ما ينبغي أن نصدر به هذا العدد هو حصول المجلة العربية مداد على تصنيف **Q1** في معامل أرسيف للاستشهادات العربية ، وتقييم (٧/٧) في المجلس الأعلى للجامعات المصرية. فالمجلة تنذر دفتها لاستعاب حصاد ما ينبت من بحث علمي جاد في مجال اللغة، والتجربة الإبداعية، والدراسات النقدية، متصلا بمختلف العصور والبيئات، لا سيما تلك المساحة البينية البكر، التي تحتاج إلى مزيد من الجهد.

فقد حققت الدراسات اللغوية والأدبية والمنهجيات النقدية في حركتها المرحلية تقدما يوازيه، بل ويشتبك معه، ما تم احرازه في الحقول المعرفية على تنوعها، هذا التداخل والتواشج الذي يحكم منظومة المعرفة في علاقتها باللغة والأدب يستحيل بالضرورة (مدادا) بينيًّا واعدا يثري المنظومة البحثية المتعلقة بالحقلين؛ ومن ثم نتوخى بذل الجهد في سبيل تأصيل النهج البيني الماضي بفاعلية في الفكر المعاصر، وكشف كنوزه القابلة للاستثمار.

ولعلنا بعد ذلك كله إنما نطمح لأن تكون هذه المجلة نتاجا بحثيا بينيا، بمعنى آخر، إذ تضم باحثين ينتمون لمؤسسات علمية وثقافية من مختلف الأقطار المعنية بالعربية؛ سعيا لبناء معرفة تقوم على أساس من التراكم والتكامل.

وختاما، لا بد في هذه الافتتاحية أن نتوجه بالشكر والعرفان للمؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب التي تسعى عبر نوافدها الثقافية وفي مقدمتها المجلة العربية (مداد)، إلى الارتقاء بالثقافة ودفع أشرعة المعرفة.

والله نسأل أن يهيئ لنا من أمرنا رشدا ..

هيئة التحرير

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

التراث بين النقد والفلسفة

قراءة في مشروع محمد عابد الجابري النقدي

Heritage Between Critique and Philosophy
A Reading in Mohammed Abed Al-Jabri's Critical Project

إعداد

د. هادية صالح مشيخي

Dr. Hadya Saleh Mishikhi
أستاذ مساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الشرقية - (سلطنة عمان)

Doi: 10.21608/mdad.2025.445269

استلام البحث	١٠/ ٥ / ٢٠٢٥
قبول النشر	١٥ / ٦ / ٢٠٢٥

مشيخي،هادية صالح(٢٠٢٥). التراث بين النقد والفلسفة: قراءة في مشروع محمد عابد الجابري النقدي. ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٩(٣٠)،١- ٢٢.

http://mdad.journals.ekb.eg

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

التراث بين النقد والفلسفة
قراءة في مشروع محمد عابد الجابري النقدي

الملخص:

يقدّم هذا البحث قراءة محمد عابد الجابري للتراث من وجهة نظر نقدية فلسفية. وتطرّق إلى مكونات التراث وصنّفها إلى ثلاثة مفاهيم أساسية : البيان وهي علوم اللغة والدين التي تشكلت دفعة واحدة في عصر التدوين، والبرهان وقصد به لحظة تنصيب العقل في الفكر العربي والذي بدأ من المغرب والأندلس بعد فشله في المشرق. ثم العرفان الذي يمثل امتدادا لموروث قديم تكوّن من بنيات عقائد وثقافات سابقة عن الإسلام، وقد أطلق عليه "العقل المستقيل". وقد دعا الجابري إلى نقد العقل العربي باعتباره منتجا للثقافة العربية ومشكّلا لها وأداة تفكير، مؤكدا ضرورة إعادة بناء آليات التفكير قصد التحرر من أسر القراءات السائدة للتراث واستئناف النظر في معطيات الثقافة العربية الإسلامية بمختلف فروعها دون التقيد بوجهات النظر المختلفة، واستلهام ما تمّ في عصر التدوين من تخطيط شامل قصد تشييد عصر تدوين جديد يتم فيه التعامل مع الثقافة بموضوعية بمعنى فصل الذات عن الموضوع من خلال المعالجة البنوية والتحليل التاريخي والطرح الايديولوجي ثم وصل القارئ بالمقروء. وقد شملت عملية النقد أيضا خطاب التيارات الفكرية مثل التيار السلفي والتيار القومي والتيار الليبرالي. وتعتبر قراءة الجابري من أبرز المحاولات المهمة في تناول التراث لأنها حفرت طبقات الثقافة العربية وفكّكت نظمها المعرفية، كما وجّهت اهتمامها إلى العقل هذه الأداة التي يفكر بها العربي ويقرأ من خلالها منتجاته ويحاكمها ،. كما تحملنا هذه القراءة إلى إعادة النظر في المسائل الرئيسية في الثقافة العربية وتحثنا على ضرورة التأمل في التراث لأن المؤلف من خلال إثارته عديد المشكلات فتح أمامنا أبواب البحث وإعادة النظر في القراءات السابقة وفي التراث نفسه.إنّ تصور الموضوع على هذا النحو فرض علينا تقسيم البحث إلى أربعة محاور أساسية : مفهوم النقد وعلاقته بالفلسفة ، ومفهوم الجابري للتراث ومكوناته ، وملامح مشروع الجابري النقدي ، وأهمية المشروع النقدي وحدوده.

الكلمات المفتاحية: تراث - الجابري - نقد - فلسفة - فكر - ثقافة - عقل.

ISSN : *2537-0847* **eISSN :** *2537-0898*

Abstract:

This research presents Mohammed Abed Al-Jabri's reading of Arab-Islamic heritage from a critical philosophical perspective. It explores the components of heritage, which Al-Jabri classifies into three foundational concepts: **Bayān** (clarity), which includes the linguistic and religious sciences that emerged simultaneously during the era of codification; **Burhān** (demonstration), referring to the moment when reason was established in Arab thought a process that began in the Maghreb and Al-Andalus following its failure in the East; and **Irfān** (gnosis), which represents a continuation of pre-Islamic belief systems and cultural structures, and which Al-Jabri termed the "resigned reason."Al-Jabri called for a critique of Arab reason, considering it a product, a shaper, and a tool of Arab culture. He emphasized the need to reconstruct the mechanisms of thinking to liberate ourselves from the dominance of traditional readings of heritage. His aim was to renew engagement with the sources of Arab-Islamic culture in all its branches, independent of pre-established viewpoints. Inspired by the comprehensive intellectual planning of the codification era, Al-Jabri advocated for a new age of codification one that deals with culture objectively by separating the subject from the object through structural analysis, historical contextualization, ideological framing, and by reestablishing the connection between reader and text. His critique also extended to various intellectual currents, including Salafism, Arab nationalism, and liberalism. Al-Jabri's reading stands as one of the most significant attempts to approach Arab heritage, as it delves deeply into the layers of Arab culture, deconstructing its epistemological systems while focusing on reason as the tool through which Arabs think, interpret, and evaluate their intellectual output. His work invites us to revisit central issues in Arab culture and encourages critical reflection on heritage. By raising numerous fundamental questions, Al-Jabri opens new pathways for research,

ISSN : ***2537-0847*** **eISSN :** ***2537-0898***

reevaluation of past interpretations, and renewed engagement with the heritage itself.

This study is structured around four main axes:

1. The concept of critique and its relationship to philosophy.
2. Al-Jabri's conception of heritage and its components.
3. The key features of Al-Jabri's critical project.
4. The significance and limitations of his critical approach.

Keywords: Heritage - Al-Jabiri - Criticism - Philosophy - Thought - Culture - Mind.

. . .

مقدمة:

يعدّ التراث من المسائل التي نالت اهتمام المفكرين العرب نظرا لارتباطه الوثيق بالحداثة ، فكلما طرحت مسألة الحداثة وضرورة مواكبة الحضارة العربية التي تجاوزتنا بأشواط يحضر التراث باعتباره التركة الفكرية والروحية والمادية للشعوب، وجد المفكرون أنفسهم أمام تحدي التعامل معه هل نتركه لأنه يمثل الماضي العبء ونستورد التطور الغربي بكل ما فيه؟ أو نعتمد عليه في عملية التقدم لأنه يمثل الهوية؟ أو نقوم بعملية انتقائية تسمح بأخذ ما يتلاءم مع متطلبات العصر وترك ما يخالفها؟ ويعد مشروع محمد عابد الجابري النقدي إحدى القراءات التي قدمت وجهة نظر لمسألة التراث. وقد اخترنا كتابه "نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي"[١] لتبين خصائص هذا الفكر. فما مفهوم الجابري للتراث ومكوناته؟ وما ملامح مشروعه الفكر ي؟ وما حدوده ؟

١- مفهوم النقد وعلاقته بالفلسفة

تجمع المعاجم العربية المختلفة من بينها لسان العرب[٢] لابن منظور وأساس البلاغة[٣] للزمخشري والصحاح[٤] للجوهري على تعريف النقد بأنه تمييز الدراهم وإخراج الزيف منه ، وهو ما يعني أن النقد فحص الشيء وتمحيصه وكشف عيوبه.

---

[١] - محمد عابد الجبري ،نحن والتراث: قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، بيروت –الدار البيضاء،المركز الثقافي العربي،١٩٩٣ .

[٢] - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، مادة نقد، ص ٤٢٥.

[٣] - الزمخشري، أساس البلاغة، دار الهدي ، عين مليلة، الجزائر، ١٩٩٨.

[٤] - الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم، تقديم عبد الله العلايلي، دار الحضارة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٤، مج٢.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أما اصطلاحا فهو "نشاط يقوم على عملية انتقاء وتقييم وتحليل وإطلاق أحكام على الأعمال أو المفاهيم الأدبية"[٥]، بمعنى تحليل الأعمال الأدبية والفنية وتقييمها ، وكشف جوانب القوة والضعف فيها، وتقديم حكم عليها بناءً على معايير فنية وجمالية. ويعرفه محمد مندور بقوله " النقد في أدق معانيه هو فن دراسة النصوص والتمييز بين الأساليب المختلفة وهو روح كل دراسة أدبية إذا صحّ أن الأدب هو كل المؤلفات التي تكتب لكافة المثقفين"، ويرى البعض الآخر أن النقد يسعى إلى أن يكون علما موضوعيا يستعين بالعلوم التجريبية والإنسانية المختلفة ويتضافر معها دون أن يتماهى فيها ليكون في مفهومه الحديث استعمال منظم للوسائل غير الأدبية ولضروب المعرفة غير الأدبية [٦]. وهكذا يمنح الفكر النقدي المستندإلى المرجعيات التأسيسية أدوات للتفكير في العالم في مفارقاته وتناقضاته وما تختزله العلاقات الاجتماعية والثقافية والسياسية من آليات التحكم والاستيلاب. كما أنه يقدّم لنا ممكنات التجاوز واستشراف عوالم متجددة .[٧] ويعرفه عبد السلام المسدي بأنه "حفر الباطن في الثقافة والمعرفة"[٨] ليربط بذلك بين النقد واللغة.

هذا التنوع التعريفات يعكس مدى صعوبة الإمساك بمصطلح النقد الذي نجد له حضورا في فروع المعرفة المختلفة. وقد أسهمت الفلسفة والعلوم الإنسانية والفن في التأسيس المتجدد للسؤال وبلورة تصورات نقدية للذات والعالم والمجتمع والسياسة والأخلاق، ومنحت الفكر النقدي حضورا دائما باعتبار أنه يقترح على الفكر الإنساني انفتاحات مهمة وآفاق عديدة .

وإن كان النقد إجراء نظريا وعمليا تساوق مع الثقافة الغربية منذ عصر التنوير وشرّع للاتجاه النقدي، فإن الفكر العربي في بداياته لم يؤسس نظرية في النقد وبقي يحدّد موقع النقد ودلالاته كالأداة والمفهوم والمناهج والرؤى بسبب تأثره بالفكر النقدي

---

[٥]- حنان قصاب حسن، النقد الأدبي، الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية برئاسة الجمهورية، دمشق، ط١، ٢٠٠٨، صص٧٢٦-٧٢٩

[٦]- عبد الواحد علواني، مقال "الخطاب والنقد بين الوصاية والتواصل، مجلة كلمة، مؤسسة الفلاح ، بيروت، لبنان، عدد ٢٢، السنة السادسة، ١٩٩٩، ص ٨٥.

[٧]- محمد نور الدين أفاية، في النقد الفلسفي المعاصر مصادره الغربية وتجلياته العربية، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١، ٢٠١٤، صص ٩-١٠.

[٨]- عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤، ص٩١.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الغربي. لكن في العقود الأخيرة تبلور اتجاه نقدي حاول تلّمس العقل العربي بهدف الكشف عن آلياته وأسسه المعرفية [٩]. ويعدّ محمد المفكر المغربي محمد عابد الجابري[١٠] من بين النقاد الذين تناولوا العقل العربي وآليات تفكيره في تعامله مع التراث العربي-الإسلامي وما يشمله من ثقافة وفكر وسياسة وأخلاق ودين وفن وآليات تفكير، وقدّم لنا مشروعا نقديا استمد أسسه من الفلسفة.

فما هي ملامح المشروع النقدي الجابري في التعامل مع التراث؟ وماهي حدوده؟

٢- مفهوم الجابري للتراث

لم يقدم الجابري في الكتاب الذي اعتمدناه مصدرا في دراسة مشروعه الفكري "نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي" مفهوم التراث لذا اعتمدنا على كتاب "التراث والحداثة"[١١] و"بنية العقل العربي"[١٢] و"تكوين العقل العربي"[١٣]. وقد استند في كتابه "نحن والتراث" إلى التعريف اللّغوي والاصطلاحي لكلمة تراث التي تجعلها المعاجم القديمة مرادفة للإرث والورث والميراث على أساس أنهما خاصان بالمال، وبين الإرث على أساس أنه الخاص بالحسب. وقد ورد هذا اللفظ مرة واحدة في القرآن في قوله تعالى وتأكلون التراث أكلا لما"[١٤] بمعنى المال. أما في الفقه الإسلامي فلا نجد لهذا اللفظ حضورا أو ذكرا في المدونة الفقهية وهو ما يؤكد أن

---

[٩]- محمد نور الدين أفاية، في النقد الفلسفي المعاصر مصادره الغربية وتجلياته العربية، مرجع سابق، ص١٥٤.

[١٠]- محمد عابد الجابري هو مفكر وفيلسوف مغربي، ولد في ٢٧ ديسمبر ١٩٣٥ وتوفي في ٣ مايو ٢٠١٠. اشتغل أستاذاً للفلسفة والفكر العربي الإسلامي في كلية الآداب بالرباط، ثم أستاذا جامعيا.له العديد من المؤلفات في قضايا الفكر المعاصر "نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي"، "العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ العربي الإسلامي"، "تكوين العقل العربي"، "بنية العقل العربي"، "العقل السياسي العربي"، "العقل الأخلاقي العربي"، "مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي"، "معرفة القرآن الحكيم أو التفسير الواضح حسب أسباب النزول"، "مدخل إلى القرآن الكريم"...

[١١]- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة :دراسات ومناقشات، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية ،١٩٩٩ .

[١٢]- محمد عابد الجابري ، بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية،١٩٩٣

[١٣]- محمد عابد الجابري تكوين العقل العربي ، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية،٢٠٠٢ .

[١٤]- سورة الفجر ،عدد ٨٩ ،الآية ١٩ .

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

استعماله بالمعنى الذي نعرفه اليوم غائب تماما عن الوعي العربي في تلك الفترة وأن هذا المصطلح مصلح حديث. أما في الحقول المعرفية العربية الإسلامية الأخرى مثل الأدب وعلم الكلام والفلسفة فلا تحظى فيها كلمة تراث بأي وضع خاص لها، بل إننا لا نكاد نعثر لها عن ذكر.

يرى الجابري أن المصطلحات الوافدة علينا منذ بدء يقظتنا الحديثة لا تحمل نفس المضامين التي نحمّلها اليوم لكلمة تراث لأن معانيها لاتتعدى حدود المعنى العربي القديم للكلمة والذي يحيل أساسا على تركة الهالك إلى أبنائه، يقول "لقد استعملت كلمة تراث في معنى مجازي للدلالة على المعتقدات والعادات الخاصة بحضارة ما. وبكيفية عامة التراث الروحي ولكن حتى في هذه الحالة يظل معنى الكلمة فقيرا جدا بالقياس إلى المعنى الذي تحمله كلمة تراث في الخطاب المعاصر"[١٥].

فقد اكتسى لفظ "تراث" في الخطاب العربي الحديث والمعاصر معنى مختلفا متباينا إن لم يكن مناقضا لمعنى مرادفه الميراث في الاصطلاح القديم، لأنه أصبح يشير إلى ماهو مشترك بين العرب أي التركة الفكرية والروحية التي تجمع بينهم لتجعل منهم خلفا لسلف. فالتراث هو الموروث الثقافي والفكري والأدبي والفني، والمضمون الذي تحمله هذه الكلمة داخل الخطاب العربي المعاصر ملفوفا في بطانة وجدانية إيديولوجية لم يكن حاضرا لا في خطاب أسلافنا ولا في حقل تفكيرهم. كما أنه غير حاضر في خطاب أي لغة من اللغات الحية التي نستورد منها المصطلحات والمفاهيم الجديدة علينا. وهذا يعني أن مفهوم التراث كما نتداوله اليوم إنما يجد إطاره المرجعي داخل الفكر العربي المعاصر ومفاهيمه الخاصة وليس خارجه. يقول الجابري "إن الشحنة الوجدانية والمضمون الإيديولوجي المرافقين لمفهوم التراث كما نتداوله اليوم تخلو منهما تماما مقابلات هذه الكلمة في اللغات الأجنبية المعاصرة التي نتعامل معها."[١٦] وبهذا المعنى يصبح مفهوم التراث لصيقا لمفهوم الثقافة في بعدها المادي والذهني. وقد قسّم الجابري التراث إلى مكوّنات ثلاث هي: البيان والعرفان والبرهان .

أول مكون هو علوم البيان التي تشكّلت دفعة واحدة في مرحلة التدوين.[١٧] وهي تمثل عالم المعرفة الذي تبتنيه العلوم العربية الإسلامية الخالصة "علوم الدين وعلوم

---

[١٥] - الجابري، التراث والحداثة، ص ٢١ .

[١٦] - الجابري ،التراث والحداثة، ص ٢١

[١٧] - حُدّد عصر التدوين عند المؤرخين بداية من ١٤٣ هجري في عهد المنصور العباسي ١٣٦ -١٥٨ .

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

اللغة". وتتركز الممارسة النظرية داخله على وضع قوانين لتفسير "الخطاب القرآني " أساسا، وقد اقترح مقدمات عقلية لتأسيس مضمون ذلك الخطاب الديني تأسيسا عقليا، جداليا وحجاجيا ، وهو ما اقتضى تقنين اللغة وتقعيدها من جهة ووضع أصول الفقه من جهة ثانية. وقد تمّ ذلك فعلا عندما وضع كل من الفراهيدي وسيبويه أصول النحو واللغة، ووضع الشافعي أصول الفقه، ووضع المعتزلة والأشاعرة أسس علم الكلام. وقد جمع بين هذه العلوم كلها فعل عقلي واحد هو حمل جزء على كلّ للمماثلة بينهما. وكان العقل العربي في هذا الجانب عقل فقهيٌ "تكوينا" وقياسي "بنية" تكاد تقتصر وظيفته على البحث لكل فرع عن أصل يقيسه عليه ولكل جديد عن قديم يستمد منه مشروعيته وخادم للكتاب والسّنة وليس بديلا عنهما.[١٨] وتعتبر طبقة البيان أقدم الطبقات في مستوى التكوين التاريخي للتراث وهي بمثابة القاعدة التي تأسست عليها سائر الطبقات، إضافة إلى أنها مكونات عربية خالصة لم تدخل إليها علوم الثقافات بعد توسع الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية [١٩] .

أما المكون الثاني فهو العرفان ،ويمثل امتدادا لموروث قديم تكوّن من بنيات عقائد وثقافات سابقة عن الإسلام، وأصبح مكونا من مكونات التراث العربي ومُتحكّما في آليات اشتغال العقل العربي وتوجيه فكره ، وقد أطلق عليه الجابري اسم "اللامعقول" أو "العقل المستقيل" وهي اللحظة التي يتعطل فيها العقل عن التفكير المنطقي وإنتاج المعرفة . وقد بدأت دائرة اللامعقول تتشكل عند أول اتصال للثقافة العربية بعناصر الموروث القديم، ولم يكن هذا الاتّصال الأول اتّصالا بأرسطو وبعلوم البرهان العقلية كما هو شائع، بل كان بالمذاهب الهرمسية[٢٠] والغنوصية[٢١] وهي منتجات الثقافة اليونانية في

---

[١٨] - لمزيد التوسع أنظر الجابري، تكوين العقل العربي، ص ١١٢ وما يليها .

[١٩] - الجابري ،التراث والحداثة ،ص ٢١ .

[٢٠] - الهرمسية: تيار فلسفي ديني علمي ينسب إلى هرمس المثلث بالحكمة أو النبي إدريس كما جاء في المؤلفات العربية. وتقدم نظرية كونية تتلخص في أعالي الكون وراء السماء العليا، سماء النجوم الثابتة يقيم إله متعال لا يقبل الوصف لا تدركه العقول ولا الأبصار. وإزاءه توجد المادة غير المتعينة، مبدأ الفوضى والشر والنجاسة. وإضافة إلى هذين المبدأين هناك مبدأ ثالث هو الإله الصانع القابل لأن يُعرف ويدرك هو الذي صنع العالم من المادة اللامتعينة بأمر من الإله المتعالي(...) وقد تأثر الفكر العربي بالفكر الهرمسي الذي نجد له حضورا في التصوف والفلسفة الإسلاميين والعلوم كالكيمياء والتنجيم والطب مع الرازي وغيره. معن زيادة، الموسوعة العربية، بيروت، معهد الإنماء العربي، ط١، ١٩٨٧، م٢، صص١٤١٠-١٤١٨.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

العصر الهلينستي وقد بلغت أدنى درجات انحدارها وأفلت عقلانيتها أفولا كاملا . وبتعبير أخر فإن ماعرفته هذه الثقافة من علوم الأوائل كان بالضبط اللاعقل . وقد استعان الجابري ببحوث لويس ماسينيون[٢٢] في كشف قطاعات العقل المستقيل وحلّل العوامل التي ساعدت على تسرب منتجات هذا العقل إلى داخل الثقافة العربية عبر استعادة الظروف التاريخية والفكرية كتوسع الفتوحات الاسلامية التي سمحت بدخول ثقافات مختلفة المشارب، و تصارع تيارات الموروث القديم حتى تضمن استمراريتها أمام الدين الجديد، وقد جسّدها الفكر الشيعي حسب رأي الجابري. إضافة إلى توظيف التيارات العربية المتجادلة فيما بينها لأبراز شرعيتها في الموروث القديم، ولعل ظاهرة التأويل في القرآن إلى ظاهر وباطن أبرز مثال على ذلك.

تتحدد مقاييس اللامعقول بخلاف مقاييس المعقول في الفكر العربي، فالهرمسية والأفلاطونية المحدثة والمانوية وهي المصادر التي كونت عناصر هذا الموروث تشترك

---

[٢١] - الغنوصية: كلمة يونانية تعني المعرفة أو العرفان ثم اتخذت معنى اصطلاحيا "العرفانية"وصارت تعبر عن تذوق المعارف مباشرة أو التوصل بنوع من الكشف والالهام إلى المعالم العليا ومثلت الغنوصية نزعة فلسفية صوفية دينية غايتها معرفة الله بالحدس لا بالعقل والاستدلال

وجدت الغنوصية كفكرة في الأديان الشرقية القديمة. وتحولت فيما بعد إلى ديانات ومذاهب. ففي الدين السومري هناك الإله «دموزي» الذي ينزل إلى العالم السفلي في الخريف والشتاء، والتي انبثقت عنها فكرة البدء والميعاد الهرمسية، ونجد في الزرادشتية تمظهرات أخرى للغنوصية تتمثل في إله الخير والنور (أهورامزدا)، أي الإله الأعلى، وشكلت في الشرق الأقصى فكرة بوذا مصدراً من مصادر الغنوصية. وبدأت الغنوصية المسيحية في القرن الأول الميلادي، وازدهرت وانتشرت في القرن الثاني. الموسوعة العربية، مرجع سابق، م ١٤، ص٢٨-٣١.

[٢٢] - لويس ماسينيون Louis Massignon مستشرق فرنسي (١٨٨٣-١٩٦٢)، وجه نشاطه الفكري في التنقيب في الإسلام، آثاراً ونظماً اجتماعية ولاسيما تصوفاً، له أكثر من مائتي مولف من بينها: «عالم الإسلام» (١٩١٢-١٩١٣) و«الكنيسة الكاثوليكية والإسلام» (١٩١٥)، و«الإسلام والاتحاد السوفييتي» (١٩١٧-١٩٢٧)، ومن مقالاته: «تاريخ العقائد الفلسفية العربية في جامعة القاهرة» (١٩١٢-١٩٢١) و«الدراسات الإسلامية في إسبانيا» (١٩١٨- ١٩٣٦) و«أساليب تطبيق الفنون لدى شعوب الإسلام» (١٩٢١) صدرت كلها في مجلة «العالم الإسلامي». كما كتب «حال الإسلام اليوم» مجلة «باريس(1929) »، الموسوعة العربية، مرجع سابق، مقال : لويس ماسينيون، ج١٩.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

في القول بأن الحقيقة العليا لا تتم بالتأمل والاستدلال كما هو شأن البيان، بل وجب الإقرار بالعجز عن تحقيق أي معرفة بالله من خلال تدبر الكون وأن معرفة الإنسان بالكون يجب أن تمر عبر اتصاله المباشر عن طريق التطهر بالحقيقة العليا كما قالوا بثنائية الله إله النور وأخر الظلمة أو الإله الصانع والإله العاقل. وقالوا بالتطهر وأنكروا النبوات لأنّ التطهّر يرفع إلى النبوة.

ويرى الجابري مثله مثل هنري كوربان صاحب كتاب "تاريخ الفلسفة الإسلامية" أنّ الشيعة والتيارات الباطنية المرتبطة بهم هي التي استخدمت الموروث القديم في معاركها الأيديولوجية مع السلطة المركزية التي

كانت تتمسك في الغالب بالمعقول الديني العربي البياني ايديولوجيا رسمية. وهكذا أخذت عناصر الموروث القديم مواقع لها في العلوم عن طريق كيمياء جابر بن حيان وعن طريق الطب الروحاني للرازي[٢٣] الذي لم تكن إشادته بالعقل وإنكار للنبوة إلا إشادة بنوع معين من العقل وهو العقل المستقيل الذي يقول بضرورة الحدّ من الهوى في إطار عملية التطهّر الهرمسية. كما أن إنكاره للنبوة من موقع غنوصي يتماشى مع الموقف الهرمسي الناكر للنبوة .

أما على مستوى العقائد فقد تسربت الشيعة الهرمسية من باب الشيعة وما ارتبط منها من تيارات باطنية، ومن باب التصوّف وبشقيه الشيعي والسنّي ، ومن باب الفلسفة الاسماعيلية تحديدا رسائل إخوان الصفا[٢٤] التي اعتبرها الجابري مدونة هرمسية كاملة ومن باب الفارابي ونظريته في السعادة وابن سينا وفلسفته المشرقية. يقول الجابري في كتاب نحن والتراث "لقد كرّس ابن سينا بفلسفته المشرقية اتجاها روحانيا غنوصيا كان له أبعد الأثر في رجة الفكر العربي الإسلامي وارتداده من العقلانية المتفتحة التي حمل لوائها المعتزلة والكندي[٢٥] وبلغت أوجها مع الفارابي[٢٦] إلى عقلانية ظلامية قاتلة لم يعمل

[٢٣] - فخر الدين محمد بن عمر بن الخطيب الرازي، ولد سنة ٥٤٣ وتوفى ٦٠٦ عالم في التفسير، جمع تفاسيره في مؤلف تحت عنوان "مفاتح الغيب".

[٢٤] - إخوان الصفا ،حركة دينية سياسية ذات نزعات شيعية متطرفة ظهرت في ٣٧٣ هـ/٩٨٣ م. لهم رسائل لشتات العلوم تبلغ ٥٢ رسالة .

[٢٥] - أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي عالم وفيلسوف عربي ولد سنة ٢ هـ/٨ م.توفى في أواسط القرن ٣ هـ/٩ م .

[٢٦] - أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي من أصل تركي سمي المعلم الثاني بعد أرسطو مات في داماس سنة ٣٣٩ هـ/٩٥٠ م.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الغزالي والسهروردي الحلبي وأمثالهما إلا على نشرها وتعميمها في مختلف الأوساط ذلك هو حكمنا على ابن سينا[٢٧] أكبر فيلسوف وأكبر طبيب أنتجته المدرسة الفلسفية دون تردد ولا مراعاة "[٢٨].

أما المكوّن الثالث فهو البرهان، وقد افتتح الجابري بحثه حول العوامل التي حيّنت لحظة انبثاق العقل وتنصيبه داخل الثقافة العربية الإسلامية بالسؤال التالي : كيف تم تنصيب العقل في الإسلام؟ . ورغم أنّه اعتبر أن عمليات تقنين اللغة والبيان عموما والفقه تقنينا للمشرع ذاته، أي العقل، فإنّه رأى أن عملية تعريب مقولات المنطق لأرسطو عاملا حاسما في انبثاق لحظة تنصيب العقل، وقد تأخر هذا التعريب تاريخيا عن زمن تسرّب عناصر الموروث العرفاني وأخذ بدوره عملية تنصيب العقل في الثقافة العربية الإسلامية. وعندما أصبحت المعرفة البيانية قاصرة عن الإحاطة بمختلف المسائل والمشكليات الطارئة بفعل التحولات المجتمعية التي شهدتها تلك المرحلة الخطيرة من تاريخ المجتمع الإسلامي، وهو ما أكد الحاجة إلى آليات معرفية جديدة يغني بها القديم، وجد فلاسفة الإسلام في المنطق الأرسطي ما يحقق هذه الحاجة فكان من المفروض عليهم أن يتبيّنوا قصور القياس البياني، وهو ما أنجزه الغزالي عندما برهن على أن الواسطة الحاملة على الحكم في هذا النوع من القياس ظنية لأنها غير مذكورة مثلما هو الشأن في القياس البرهاني ويُعدّ هذا الطعن من الطعون القاتلة التي وجهها إلى القياس البياني. ويستعرض الجابري في مرحلة أولى المواضيع التي تشكل الرؤية البرهانية منها الوجود،الماهية ، القدر، حدوث النفس وحقيقتها ،والمعرفة. وهي مواضيع لعامة فلاسفة المسلمين رأي فيها ومواقف ومنهم ابن سينا الذي شكلت هذه المواضيع منظومته السينوية، واستخلص أن همه لم يكن تأسيس البرهان كرؤية مستقلة ومكتملة لمثل هذه القضايا بل كان تقديم أجوبة صريحة أو ضمنية للقضايا التي تشغل جميع الاتجاهات والتيارات، أجوبة ترضيهم جميعا لذلك جاءت السينوية "تلفيقا بين إلاهيات الفارابي وأخرويات الإسماعلية، إضافة إلى ماعكسته من مشاغل المتكلمين المتصوفة "[٢٩].

---

[٢٧] - أبو علي الحسين بن الحسين بن علي بن سينا يكنى بالشيخ الرئيس ولد ٣٧٠ هـ/ ٩٨٠ م بأفنجة قرب بخارى.

[٢٨] -الجابري نحن والتراث ،ص ٣٩ -٤٠ .

[٢٩] - الجابري، بنية العقل العربي ص ٤٨١ -٤٨٢.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ويصل المفكر بهذا الكشف عن الدور الذي لعبته السينوية في إحداث التداخل والاختلاط من جديد لتفقد الرؤية البرهانية الأرسطية طابعها العقلاني وتنسحب إلى القاع إلى منتجات العقل المستقيل (العرفان) والأمر نفسه بالنسبة إلى الغزالي والفارابي، فقد "تبنى الغزالي فلسفة ابن سينا المشرقية فقدّمها على أنها المنقذ من الضلال والطريق إلى إحياء الدين فحاكمه باسمها وباسم الدين وجعل من ابن سينا الممثل الرسمي للفلسفة في الإسلام مستندين في ذلك على كتاب الشفاء والنجاة ساكتين عن "الإشارات والتنبيهات" و"الحكمة المشرقية"."[٣٠] وهكذا لم تقم في المشرق قائمة للفلسفة .

أما في بلاد فارس نجد أن الفلسفة العربية قد قطعت مع إشكالية المشارقة لتتبنى إشكالية المغاربة من أجل القضية نفسها "قضية العقل والمعقولية " لكن بعد أن تعيد طرحها من جديد بمنهج جديد وفي آفاق جديدة مع بداية الثقافة التي دشنها ابن تومرت[٣١] وواصلها خلفاؤه من بعد. يقول الجابري "لقد فشلت الفلسفة في تحقيق حلمها في المشرق وعليها أن تبدأ من الصفر في المغرب"[٣٢].

تنطلق الفلسفة في المغرب والأندلس من رفض الطريق الذي سلكه فلاسفة الشرق، فلقد استعاد ابن باجة[٣٣] وعي الفارابي ولكن بروح نقدية مما جعله أقل إغراقا في الحلم وهاهو ابن طفيل[٣٤] يتصدى في قصته حي ابن يقظان للكشف عن أسرار الحكمة المشرقية المشرقية التي ذكرها الشيخ الرئيس بنفس الروح النقدية الواقعية، فيربط تلك الحكمة بأصلها المشرقي الحراني بطريقة ذكية ويختم القصة بإبراز فشل المدرسة الفلسفية المشرقية في تحقيق مشروعها في إنشاء فلسفة يندمج فيها الدين ثم يقرر واقعا يفرض نفسه وهو أن لكل من الدين والفلسفة طريقه الخاص وإن كان يلتقيان عند الهدف.

فالمشروع الأندلسي أعاد ترتيب العلاقة بينه وبين البيان وأقصى العرفان إقصاء كاملا، وتظهر أهميته في خلوه من هاجس التوفيق بين النقل والعقل أو الدين والفلسفة،

---

[٣٠]- الجابري، نحن والتراث، ص ٤٠ .

[٣١] - المهدي ابن تومرت ،مؤسس الدولة الموحدية في ق ٦ ولد سنتي ٤٧١ -٤٧٤ هـ/ ١٠٧٨ -١٠٨٠ .

[٣٢]- الجابري، نحن والتراث، ص ٤٠ .

[٣٣] - ابن باجة : أبو بكر محمد بن يحي بن الصائغ الأندلسي ولد نهاية القرن ٥ وتوفى سنة ٥٣٣ هـ/١١٣٩ .

[٣٤] - ابن طفيل: أبو بكر محمد بن محمد القيسي فيلسوف مغربي توفي سنة ٥٨١ هـ/ (١١٧٥ -١١٧٦).

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وهو مشروع سار فيه ابن حزم[٣٥] بمذهبه الظاهري وخطا فيه ابن رشد خطوات هامة وطوره بمحاولته ذات المضامين العقلانية والنقدية، وأكدها ابن باجة الذي أنتج خطابا فلسفيا جديدا يتحرك داخل دائرة البرهان وحدها دون انشغال بنصرة البيان ولا تأسيس العرفان. كما سعى إلى قراءة أرسطو بواسطة أرسطو نفسه وهو ما قاد إلى تركيز النظر إلى الدين والفلسفة باعتبارهما بناءين مستقلين لكل منهما كيانه الخاص. ونجد الجابري ينتصر لهذا الصنف من الثقافة، يقول "إننا اخترنا بوعي التعامل مع الثقافة العالمة وحدها فتركنا جانبا الثقافة الشعبية من قصص وخرافات وأساطير وغيرها لأن مشروعنا مشروع نقد"[٣٦] .

٢ ـ ملامح مشروع الجابري النقدي

يرى محمد عابد الجابري أن الفكر العربي الحديث والمعاصر هو في مجمله فكر لا تاريخي يفتقد إلى الحد الأدنى من الموضوعية، لذلك كانت قراءته للتراث قراءة سلفية تنزه الماضي وتقدّسه وتستمدّ منه الحلول الجاهزة لمشاكل الحاضر والمستقبل . فالعرب جميعهم يقتبسون نهضتهم من نوع من الماضي: إما الماضي العربي الإسلامي، وإما الماضي – الحاضر الأوروبي، وإما التجربة الروسية أو الصينية، أو غيرها وهو على حدّ تعبير الجابري "النشاط الذهني الآلي الذي يبحث في الحلول الجاهزة لكل المشاكل المستجدة"[٣٧]

هذا النشاط الذهني يمثل جزءا من بنية العقل العربي الذي يتعيّن فحصه بدقة ونقده بكل صرامة قبل الدّعوة إلى تجديده أو تحديثه ،إنه لن يتجدد على أنقاض القديم إلا انطلاقا من نقد شامل وعميق.

لقد تمّ خلال العقود العشر الماضية تكريس نظريات تتعلق بالثقافة العربية ومختلف فروعها، وتعددت الآراء وتنوّعت وهو ما أدى إلى رسم تصورات معينة لتاريخ هذه الثقافة، قراءات استشراقية أو سلفية أو قومية أو يسارية توجهها نماذج سابقة أو شواغل

[٣٥] - أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي، عالم وفقيه ومؤرخ و شاعر ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ/١١٢٦ م.

[٣٦] - الجابري ،نحن والتراث ،ص ١٧ .

[٣٧] - الجابري ،نقد العقل العربي ،ص١٩ .

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أيديولوجية ظرفية مما جعلها لا تهتم إلا بما تريد أن تكتشفه أو تبرهن عليه. وبما أن العقل العربي هو العقل الذي تكوّن وتشكل داخل الثقافة العربية وهو الذي عمل على انتاجها وإعادة إنتاجها، فإن عملية النقد المطلوبة هي التحرر من أسر القراءات السائدة واستئناف النظر في معطيات الثقافة العربية الإسلامية بمختلف فروعها دون التقيد بوجهات النظر المتداولة.

فمشروع الجابري تجاوز المسائل الحافة بالثقافة والعوامل المؤثرة فيها ليسلط اهتمامه على تاريخ الثقافة العربيةالذي يحتاج فحصا دقيقا وبنية العقل نفسها، يقول "ومن هنا المهمة المضاعفة التي يطمح هذا المشروع إلى تدشين العمل فيها: استئناف النظر في تاريخ الثقافة العربية من جهة أولى وبدء النظر في كيان العقل العربي وآلياته من جهة"[٣٨].

يرى الجابري أن الموروث العربي الإسلامي الذي نتناقلته الأجيال منذ عصر التدوين إلى اليوم ليس صحيحا على وجه القطع بل هو صحيح فقط على شروط أهل العلم، فهو يكتسب صحته من خلال شروط واضعيه واتفاقهم عليه وليس من مطابقته للواقع وتطبيقه، ويمثل القياس أحد الممارسات النظرية التي ساهمت في تشكيل العقل العربي في عصر الانحطاط والذي كان قوامه قياس الشاهد على الغائب دون مراعاة الشروط التي تجعل القياس منهجا علميا. يقول الجابري "إن تجديد العقل العربي يعني في المنظور الذي نتحدث فيه إحداث قطيعة ابستيمولوجية تامة مع بنية العقل العربي في عصر الانحطاط وامتداداتها إلى الفكر العربي الحديث والمعاصر"[٣٩].

كما يدعو إلى استلهام إلى ما تمّ في عصر التدوين من تخطيط شامل للثقافة العربية قصد تشييد عصر تدوين نقوم فيه بإعادة بناء شاملة للثقافة القومية التي يجب أن تشمل اليوم كل الثقافات المحلية والشعبية داخل الوطن العربي مع التفتح على الثقافات الأجنبية الأخرى. فالعودة إلى عصر التدوين وآليات فكره باعتباره كان الفترة الذهبية في التاريخ الثقافي العربي يؤكد التواصل مع التراث لدى الجابري لأنه لا يدعو إلى القطيعة بمعناها الدارج "الفصل" وإنما التحرر من الرواسب التراثية في عملية فهم التراث. وعلى رأس

[٣٨]- الجابري ، نقد العقل العربي ،ص ٦ .

[٣٩]- الجابري ، نقد العقل العربي ص ٢٠.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

هذه الرواسب القياس الفقهي والنحوي والكلامي في صورته اللاعلمية التي تقوم بربط جزء بجزء ربطا ميكانيكيا لأن القياس يفصل الأجزاء عن الكلّ الذي ينتمي إليه وينقلها إلى كل آخر هو الحقل الذي ينتمي إليه المستعمل دون مراعاة خصوصيات المنقول والمنقول إليه.

يعتبر الجابري أن الموضوعية هي القضية الأساسية التي تواجه المنهج في الفكر العربي المعاصرفي تعامله مع التراث، فالسؤال المطروح هو : كيف نبني لأنفسنا فهما موضوعيا لتراثنا ؟

إن الشعوب تفكر بتراثها ولكن فرق شاسع بين من يفكر بتراث ممتد إلى الحاضر ويشكل جزءا منه، تراث متجدد يخضع باستمرار إلى المراجعة والنقد، وهنا المقصود الثرات الغربي، وتراث تفصله عن الحاضر مسافة علمية طويلة والمقصود التراث العربي. فالإنسان العربي يتلقى تراثه منذ ميلاده دون نقد يفكر بواسطته ومن خلاله ويستمد رؤاه واستشرافاته منه. وقد قدم صاحب الكتاب مثال اللغة العربية التي يقرأها القارئ العربي في التراث وفي ذات الوقت هي أداة يُقرأ بها التراث، فقد ظلت أربعة عشر قرنا أو ما يزيد تصنع الثقافة والفكر دون أن تصنعها الثقافة فبقيت بذلك الجزء الأكثر تراثية في التراث. وهذا ما نتج عنه ضرورة قراءة تذكّرية للنصوص العربية لا قراءة استكشافية مفهومة لها .

وأمام هذا الخلط بين وظائف الدارس والمدروس وجب ضرورة تحديد العلاقات في دراسة التراث في مستويين:

مستوى العلاقة الذاهبة من الذات إلى الموضوع : إن القارئ العربي مثقل بحاضره ويطلب السند في تراثه، يريد أن يجد فيه العلم والعقلانية والتقدم، وكلّ ما يفتقده في حاضره سواء على صعيد الحلم أو صعيد الواقع. لذلك نجده في قراءته يكبّل نفسه بالفهم الذي تؤسسه المسبقات التراثية أو الرغبات الحاضرة، ويسبق المعاني قبل الألفاظ خاصة المعاني التي تستجيب لحاجته، ويقرأ شيئا ويهمل آخر حسب ما يتوافق مع ميولاته، فيمزق النص ويحرّف دلالته ويخرج به عن مجاله المعرفي التاريخي.

فالقارئ العربي يعيش تحت ضغط الحاجة إلى مواكبة العصر ومزيد تأكيد الذات لذلك نجده على الرغم من أن التراث يحتويه يحاول أن يكيّف احتواء التراث له بالشكل

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الذي يجعله يقرأ فيه ما لم يستطع بعد إنجازه "إنه يقرأ كل مشاغله في النصوص قبل أن يقرأ النصوص"[٤٠]. ففصل القارئ عن المقروء مهم جدا في فهم التراث وكيفية التعامل معه ويكون ذلك عبر ثلاثة مراحل :

- المعالجة البنيوية : وتتمثل في معاملة فكر صاحب النص من خلال محورة فكره حول اشكالية واضحة قادرة على استيعاب جميع التحولات التي يتحرك بها ومن خلالها.
- التحليل التاريخي :يتمحور في ربط فكر صاحب النص الذي أعيد تنظيمه بمجاله التاريخي بكل أبعاده الثقافية والأيديولوجية والسياسية والاجتماعية قصد فهم تاريخي للفكر المدروس ولاختبار صحة النموذج البنيوي.
- الطرح الأيديولوجي : يعني الكشف عن الوظيفة الأيديولوجية (اجتماعية أو سياسية) التي أداها الفكر المعني الذي ينتمي إليه .والطرح الأيديولوجي مهم لأنه يدعم التحليل التاريخي الذي من دونه يبقى ناقصا وصوريا مجردا. يقول الجابري "إن الكشف عن المضمون الايديولوجي لفكر ما،هو الوسيلة الوحيدة لجعله معاصر لنفسه"[٤١] .

فعملية الفصل ستمكن من فهم النص من داخل النص من خلال نظام العلاقات القائمة بين أجزائها بعيدا عن إسقاط آراء القارئ وتأويلاته.

مستوى العلاقة الذاهبة من المقروء إلى القارئ: يدعو الجابري من خلالها إلى فصل المقروء عن القارئ بمعنى الدارس في تعامله مع موضوعه يتوخى جانبا من العقلانية ويبتعد عن التعامل العاطفي والانفعالي معه ويدرك أنه موضوع قابل للنقد والتحليل.

ويرى أن بتوفر هذين الشرطين يمكننا الحديث عن موضوعية ويمكننا أيضا إيجاد منهج يمكّننا من التعامل مع التراث لأن الموضوعية من أهم الإشكالات التي رافقت الفكر العربي على مداه الطويل. فحتى نتمكن من الخوض في مشكلة الحداثة والتراث يلزمنا توخي الموضوعية في دراستنا لهذه الإشكاليات، يقول "إن تحرير الذات من هيمنة النص التراثي لعملية تشريحية دقيقة وعميقة تحوّله بالفعل من موضوع للذات إلى مادة للقراءة"[٤٢]

---

[٤٠]- الجابري ، نقد العقل العربي ص ٢٤ .

[٤١] - الجابري ، نقد العقل العربي ص ٢٤ .

[٤٢]- الجابري ، نقد العقل العربي ص ٢٣ .

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

واستنتج الجابري أن الموضوعية وحدها غير قادرة على قراءة التراث وفهمه لأن التراث ليس انتاجا تاريخيا فحسب، أي صنعه التاريخ والمجتمع،بل هو أيضا عطاء ذاتي إنساني لشخصيات دخلت التاريخ لأنها استطاعت أن تتحرر ولو نسبيا من قيود المجتمع والتاريخ. إلا أن هذا العطاء لا يقدّم نفسه في شكله المباشر ولا يفصح عن نفسه إفصاحا مباشرا نتيجة الرقابة المادية والمعنوية للمجتمع، وقد قدّم أمثلة كتب لم تصل إلينا ككتاب "المضنون به على غير أهله" للغزالي و "الفلسفة المشرقية" لابن سينا وتطلعات أخرى يشار إليها من وراء الحجاب أو تلميحا أو رمزا كحديث ابن رشد عن الحكمة البرهانية والفارابي عن الحقيقة.

فاختراق اللغة والمنطق في هذه الحالة ضروري ومشروع لأن الذات ستعانق الذات القارئة عبر الحدس، والمقصود بالحدس الاستشراف الذي يمكّن الذات القارئة من قراءة ما سكتت عنه الذات المقروءة. ووسيلتها في ذلك ما في النص من علامات ومن جملتها ما تختفي وراء سياق التفكير ويتستر وراء مناورات التعبير. وهكذا نتمكن من قراءة المقدمات بنتائجها كما هو في المنطق والماضي بمستقبله وما كان بما سيكون فيندمج بذلك الموضوعي مع الأيديولوجي ويتحول المستقبل-الماضي الذي كانت الذات المقروءة تتطلع إليه إلى المستقبل-الآتي الذي تجري الذات القارئة وراءه فيصبح المقروء المعاصر لنفسه معاصرا لقارئه .

كما أكّد الجابري على ضرورة وحدة الفكر والمقصود بها وحدة الإشكالية . ولا يتحدد فقط بما تم التصريح به من قبل آراء المفكرين وأسئلتهم بل تتضمنه وتحتمله. وهذه الخاصية تجعل الإشكالية مطروحة ومفتوحة أمام أي مفكر لاحق ما لم تتجاوز. كما أكّد على تاريخية الفكر وهو يعني ارتباط الفكر بالواقع السياسي والاجتماعي والثّقافي والاقتصادي الذي أنتجه أو على الأقل الذي يتحرك فيه (المجال التاريخي- الحقل المعرفي- المضمون الأيديولوجي).

٣ ـ أهمية المشروع النقدي وحدوده

تكمن أهمية المشروع النقدي الجابري في ثلاثة نقاط ، أولها تمييزه بين المكونات الثلاث للتراث، فقد قام الجابري بتشريح الثقافة العربية وأعاد تقسيمها وترتيبها على أساس جديد، واستطاع أن يعيد تصنيف العلوم والمعارف التي شيّدها العقل العربي إلى ثلاث مكونات هي البيان والعرفان والبرهان. وقد تمكن بذلك من تجاوز التقسيم القديم

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

للعلوم إلى علوم عقلية /نقلية أو فلسفية /دينية والتصنيفات الحديثة للفكر العربي إلى مادي /مثالي، قديم/حديث، ثابت/متحول أو أصيل/دخيل.

ثانيها توجه الجابري بالنقد إلى العقل، فقد اهملت كل القراءات السابقة للتراث العقل في دراستها ذلك أن إصبع الاتهام وُجّه إلى كل المجالات المكوّنة للتراث كالمجال الديني والسياسي والثقافي والاقتصادي لكن أهمل العقل، هذه الأداة التي يفكر بها العربي ويقرأ من خلالها منتجاته ويحاكمها. فالجابري لم يستثن العقل في دراسته بل كان مقصده وغايته، لذلك حاكمه ونقده، يقول "لأن موضوعنا هو العقل ولأن قضيتنا التي ننحاز لها هي العقلانية،فإننا نقف من موضوعنا موقف الذات الواعية من نفسها. إن موضوعنا ليس موضوعا لنا بقدر ما تكون الذات موضوعا لنفسها في عملية النقد"[٤٣].

وقد توصل الجابري إلى حقيقة مهمة بعد أن قام بمقارنة مفهوم العقل في الثقافة اليونانية والأوروبية الحديثة والمعاصرة، وبين مفهوم العقل في الثقافة العربية مفادها أن الأولى قد ارتبطت بإدراك المعرفة فكانت العلاقة بين العقل والطبيعة علاقة مباشرة تؤمن بقدرة العقل على تفسيرها والكشف عن أسرارها في حين ارتبط معنى العقل في الثقافة العربية بالسلوك والأخلاق والقيم والدين أساسا. فنجد أن وظيفة العقل تنحصر في التمييز بين الخير والشر أو بين الضلالة والهداية.

ثالثها تجاوز القراءات السابقة، يُعدّ مشروع الجابري من أبرز المحاولات الفكرية وأكثرها جدية وغورا في أصول العقل العربي ومن أدقها كشفا لبُناه وآلياته، وهو ما جعله يتخلص من النمذجة المسبقة في التعامل مع التراث والتي سيطرت على الفكر العربي لمدة طويلة. فالتيارات الفكرية السابقة تناولت اشكالية التراث من الخارج بعدما تسلّحت بأحكام مجانية تحدّ من العقل القارئ ويؤثر سلبا في المقروء فلم تنتج سوى مغالطات وهو ما عبر عنه الجابري بالايديولوجيا . فالتيارات الفكرية السابقة مثلت غطاء للسياسة كالفكر الليبرالي والفكر القومي وفي هذا الإطار يتنزل نقد الجابري للخطاب السلفي قديمه وحديثه ولأقطابه من محمد عبده إلى سيد قطب وللقراءة الليبرالية ولأقطابها من حسين مروة إلى عبد الله العروي وللخطاب القومي من ساطع الحصري إلى ميشال غفلق.

[٤٣]-الجابري بنية العقل العربي ،ص ٧ .

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وقد مثلت قراءة الجابري من أبرز المحاولات الجادة والمهمة في تناول التراث لأنها حفرت طبقات الثقافة العربية وفكّكت نظمها المعرفية ولم تدرسه من الخارج، وهو ما يحملنا على إعادة النظر في المسائل الرئيسية في الثقافة العربية ويحثنا على البحث والتأمل في التراث لأن المؤلف من خلال إثارته عديد المشكلات يفتح أمامنا أبواب البحث وإعادة النظر في القراءات السابقة وفي التراث نفسه .

فخلاصة المشروع الدعوة إلى تجاوز حالة التخلف التي يعيشها العرب وتحقيق النهضة المأمولة التي ستنقلهم إلى الغد الأفضل و تسهم في تطورهم وتقدمهم. وهذان الأمران رهينان بإحداث ثورة لا في واقع الجمود المادي الملموس فحسب، بل ثورة في العقل العربي، في البنية الذهنية التي بواسطتها يفكر العرب ويتعاملون بها مع واقعهم الحالي.

إن تحديث العقل العربي مقدمة وشرط ضروري لايجاد الحلول اللازمة لمشكلات العرب المستعصية، فلا يمكن اقتحام المعاصرة وتحقيق النهضة المنشودة دون العمل على تحقيق الحداثة في بنية العقل، يقول الجابري متحدثا عن قراءته "إن عملية النقد المطلوبة أو على الأقل كما نريدها أن تكون تتطلب التحرر من أسار القراءات السائدة واستئناف النظر في معطيات الثقافة العربية الإسلامية بمختلف فروعها دون التقيد بوجهات النظر السائدة"[٤٤].

خاتمة: يعتبر مشروع محمد عابد الجابري الفكري من أهم القراءات التي تناولت التراث لأنه هدف إلى تأسيس نظرية في النقد من خلال نقده للعقل العربي والكشف عن أسسه المعرفية ونقده للخطاب العربي الحديث والمعاصر، إيمانا منه بأهمية العقل ومحوريته في عملية النهوض والتقدم، وهذا الأمر نلحظه في أغلب كتابات المؤلف و العناوين التي اختارها مثل "بنية العقل العربي"، "تكوين العقل العربي"، "العقل الأخلاقي العربي". وقد تمكن الجابري بفضل هذا التوجه من الإسهام في إثراء الفكر النقدي المغربي من خلال قراءته للتراث وحفر طبقاته ونقده الأدوات المعرفية التي

[٤٤]- الجابري ، نقد العقل العربي ص ٧ .

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

تحكمت في إنتاج المعرفة وترويجها رغم حداثة مشروعه. وكان لمؤلفاته قيمة معرفية هامة جمعت بين النقد والفلسفة وجميع المعارف المكونة للثقافة العربية الإسلامية، وأضافت إلى رصيد الموروث الفلسفي المغاربي.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

قائمة المصادر والمراجع

١- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط١،

٢- أفاية، محمد نور الدين ، في النقد الفلسفي المعاصر مصادره الغربية وتجلياته العربية، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١، ٢٠١٤.

٣- الجابري، محمد عابد ، التراث والحداثة :دراسات ومناقشات، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية ،١٩٩٩.

٤- الجابري، محمد عابد ، بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية،١٩٩٣.

٥- الجابري، محمد عابد ،نحن والتراث: قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، بيروت –الدار البيضاء،المركز الثقافي العربي،١٩٩٣.

٦- الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي ، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية،٢٠٠٢.

٧- الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم، تقديم عبد الله العلايلي، بيروت،دار الحضارة العربية، الطبعة الأولى، ١٩٧٤.

٨- حسن حنان قصاب ، النقد الأدبي، الموسوعة العربية، دمشق، هيئة الموسوعة العربية برئاسة الجمهورية، ط١، ٢٠٠٨.

٩- الزمخشري، أساس البلاغة، عين مليلة، الجزائر، دار الهدي ، ١٩٩٨.

١٠- زيادة، معن ، الموسوعة العربية، بيروت، معهد الإنماء العربي، ط١، ١٩٨٧.

١١- علواني، عبد الواحد ، مقال "الخطاب والنقد بين الوصاية والتواصل، مجلة كلمة، بيروت، لبنان، مؤسسة الفلاح ، عدد ٢٢، السنة السادسة، ١٩٩٩.

١٢- المسدي، عبد السلام ، الأدب وخطاب النقد، بيروت، لبنان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط١، ٢٠٠٤.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

العنوان في الرواية الإماراتية
أنماطه، ووظائفه

The title in the Emirati novel: its patterns and functions

إعداد

د. لطيفة الحمادي

Dr. Latifa Al Hammadi

جامعة الوصل، دبي، الإمارات

Doi: 10.21608/mdad.2025.445270

استلام البحث	١٤/ ٥ / ٢٠٢٥
قبول النشر	٢٠ / ٦ / ٢٠٢٥

الحمادي، لطيفة (٢٠٢٥). العنوان في الرواية الإماراتية: أنماطه، ووظائفه. ***المجلة العربية مـــــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٩ (٣٠)،٢٣-٤٠.

http://mdad.journals.ekb.eg

ISSN : *2537-0847* eISSN : *2537-0898*

العنوان في الرواية الإماراتية
أنماطه، ووظائفه

الملخص:

تتناول هذه الدراسة موضوع "العنوان في الرواية الإماراتية" بوصفه أحد العتبات النصية المهمة التي تشكل مدخلًا أوليًا وأساسيًا لفهم النص الروائي؛ لما له من دور في توجيه القراءة وتأطير التلقي. وتستعرض الدراسة تطور العنوان عبر مرحلتين رئيستين: المرحلة التقليدية التي اتسمت بالوضوح والمباشرة؛ حيث كان العنوان يحمل دلالة مباشرة تعكس مضمون الرواية أو شخصياتها أو أحداثها، ثم المرحلة التجريبية التي جاءت لاحقًا واتسمت بالغموض والرمزية والانزياح الدلالي؛ مما جعل العنوان أكثر تعقيدًا وتأويليًا، مرتبطًا بالتحولات الجمالية في بنية الرواية الإماراتية الحديثة.

كما تطرح الدراسة تساؤلات حول طبيعة العنوان، وعلاقته بالنص، وكيفية تطوره من مجرد تسمية إلى عنصر فني وجمالي يحمل دلالات متعددة. وقد اعتمدت في منهجها على الوصف والتحليل، إلى جانب توظيف المقاربة السيميائية في تصنيف العناوين وفق وظائفها كما حددها جيرار جينيت: التعيينية، الوصفية، الإيحائية، والإغرائية.

وتوصلت الدراسة إلى أن تطور العنوان في الرواية الإماراتية يعكس وعيًا متزايدًا لدى الكتّاب بأهمية هذا المكوّن، كجزء لا يتجزأ من البنية الفنية للنص السردي، ووسيلة للتأثير الجمالي والدلالي.

الكلمات المفتاحية: العتبات، العنوان، السيميائية، الرواية الإماراتية، السرد الخليجي.

Abstract:

This study explores the role of the title in Emirati novels as a crucial textual threshold that offers initial insight into the narrative. It examines the evolution of titles through two main phases: the traditional phase, marked by clarity and directness, and the experimental phase, characterized by ambiguity, symbolism, and

ISSN: *2537-0847* eISSN : *2537-0898*

semantic deviation. The study raises questions about the nature of titles in Emirati fiction, their relationship to the narrative content, and their shift from conventional forms to more experimental expressions. Using a descriptive-analytical method, the research analyzes a selection of Emirati novel titles and applies a semiotic approach based on Gérard Genette's classification (referential, descriptive, suggestive, and seductive functions). The findings reveal a clear progression of titles from being merely descriptive tools to interpretive and estranging elements, reflecting authors' growing awareness of the title's artistic function within the narrative structure.

Keywords: thresholds, title, semiotics, Emirati novel, Gulf narrative.

. . .

مقدّمة:

يُعد العنوان بوابة الدخول إلى النص الأدبي، وعلامته الأولى التي يتواصل من خلالها القارئ مع العمل. وقد حظي العنوان في الدراسات النقدية المعاصرة بمكانة متميزة، بوصفه مكونًا بنيويًا له وظيفة دلالية وجمالية وسيميائية. وفي سياق الرواية الإماراتية، التي شهدت تطورًا ملحوظًا منذ بداياتها حتى اليوم، يبرز العنوان كعنصر يعكس تحولات الخطاب السردي وتوجهات الكُتّاب الفنية والثقافية.

ورغم تعدد الدراسات النقدية حول الرواية الإماراتية، فإن العنوان لم يحظَ بدراسة مستقلة تكشف عن أنماطه ووظائفه السيميائية بشكل منهجي، الأمر الذي يطرح تساؤلات حول طبيعة العنوان في الرواية الإماراتية، ومدى ارتباطه بمضمون النص، وتطوره من المرحلة التقليدية إلى التجريبية. ولذلك تتمركز هذه الدراسات حول أسئلة أهمها:

- كيف تطور العنوان في الرواية الإماراتية من الشكل الكلاسيكي إلى الرمزي

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

والتجريبي؟

- ما أبرز الأنماط التي تتخذها العناوين في الرواية الإماراتية؟
- ما وظائف العنوان في هذه الرواية الإماراتية؟

وتكمن أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على عنصر العنوان بوصفه عتبة نصية دالة، تسهم في كشف مضامين الرواية الإماراتية وتحولاتها، كما أنها تفتح آفاقًا جديدة لفهم العلاقة بين الشكل والمحتوى في البناء السردي المحلي. كما أنها تهدف إلى:

- تحليل أنماط العناوين في الرواية الإماراتية.
- تتبع تطور العنوان بين المرحلتين التقليدية والتجريبية.
- دراسة الوظائف الدلالية والسيميائية للعناوين وفق المناهج النقدية الحديثة.

ولذلك انتهجت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، مع توظيف المقاربة السيميائية؛ لتحليل العناوين وفق وظائف "جيرار جينيت"، واستقراء تطورها من خلال نماذج مختارة من الرواية الإماراتية.

العنوان في الرواية الإماراتية:

يُعد العنوان من أبرز العناصر الموازية في النص الأدبي؛ إذ يشكل عتبة أولى تمهّد لدخول القارئ إلى عالم النص، وتُعدّ دراسته جزءًا أساسيًا من تحليل البنية النصية. وقد أولى النقاد والدارسون أهمية متزايدة للعنوان، خاصة بعد تطور المناهج النقدية الحديثة، ولا سيما المنهج السيميائي الذي يُعنى بتحليل العلامات والرموز داخل النص وخارجه.

وفي هذا السياق، يرى جيرار جينيت أن العنوان جزء من "العتبات" النصية التي تُحيط بالنص وتُسهم في تشكيل معناه، مؤكدًا أن العنوان ليس مجرد تسمية، بل هو عنصر دلالي يُوجّه القراءة، ويثير توقعات القارئ[1].

كما يشير الباحثون إلى أن العنوان يحمل وظيفة مزدوجة: جمالية وتواصلية؛ فهو من جهة أداة جذب وتشويق، ومن جهة أخرى مفتاح تأويلي، قد يضيء بعض ملامح

1 - Genette, G. Seuils. Paris: Éditions du Seuil.1987. p.5

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

النص أو يُعزز غموضه[٢].

ولذلك، فإن تناول العنوان في النصوص الأدبية لا يمكن أن ينفصل عن السياق الفني والدلالي للنص، بل يتداخل معه بوصفه جزءًا من البنية الكلية، مما يفرض على القارئ أن يُعيره اهتمامًا تأويليًا لا يقل عن اهتمامه بباقي مكونات النص.

والمتأمل في عناوين الرواية الإماراتية يجد أننا أمام مرحلتين من النشأة والتطور:

(١) العناوين الكلاسيكية (التقليدية):

وقد بدا للباحثة من خلال استقراء عناوين الروايات أنها "كانت مرآة تشخيصية للذات أو الواقع أو الأحداث"[٣]، فالعناوين في بداية هذه المرحلة غالبا تعبر عن محتوى الرواية دون غموض أو مواربة، وهي لا تبتعد عن طبيعة المرحلة التي تبحث عن القارئ، وتحبب هذا النوع النثري إلى نفسه، فتسلم له ابتداء من العنوان مفاتيح الدخول إلى النص دون غموض، ومن هنا يتناسب العنوان مع محتوى الرواية بوصفه العتبة الأولى للنص.

ومع تقدم هذه المرحلة، وتتابع الإنتاج الروائي، لاحظنا أن العناوين جاءت بأنواع مختلفة، أهمها:

أ. العناوين الدالة على شخصية:

تعد الشخصية في الرواية من المقومات الفنية المهمة؛ "لأنها المحرك الفعلي للأحداث، ومعنى عنوان يدل على شخصية إيحاء يدل على دور البطولة في الرواية"[٤]، وهذه الشخصية هي التي تدور حولها الأحداث منذ البداية حتى النهاية، ويكون النص الروائي مختزلا في صورة الشخصية.

وقد استوحت عناوين هذه المرحلة بنيتها من الشخصيات المحورية، سواء كانت محددة أو غير محددة، ومن الأمثلة الدالة: (شاهندة)، (زينة الملكة)، (الفران).

---

[٢]- عبد الملك مرتاض- في نظرية العنوان: مدخل إلى عتبة النص- ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر- ٢٠٠٠م- ص١٢.

[٣]- فارس البيل- الرواية الخليجية: قراءة في الأنساق الثقافية- شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع- ٢٠١٦م- ص٥٤.

[٤]- حميد لحميداني- بنية الخطاب السردي من منظور النقد الأدبي- ط٣- المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- ٢٠٠٠م- ص٥٠.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ب. العناوين الدالة على اسم مكان:

يمثل المكان فضاء جغرافيا مهما في البنية السردية للرواية، وقد يكون هو هدفها وموضوعها؛ حيث يصبح محددا أساسيا للمادة الحكائية وأحداثها المتلاحقة[٥].

والعنوان المكاني قد يحمل في طياته أبعادا دلالية تخبر عن حقبة زمنية معينة، فيكتشف القارئ العصر الذي وقعت فيه الأحداث، أو البيئة التي جرت عليها، أو الأشخاص الذين استوطنوا هذه الأمكنة وطريقة تفكيرهم[٦]. وممكن أن تحمل العناوين الدالة على المكان فكرة عن الرواية السياسية أو الإيديولوجية[٧].

واعتمدت العنونة في الرواية الإماراتية في هذه المرحلة على مكون الفضاء المكاني لوسم العمل الروائي، مثل: (طوي بخيتة)، و(رائحة البحر).

ج. العناوين الدالة على زمن:

يعد الزمن قيمة مركزية في النص الروائي؛ حيث نجد بعض النقاد يعرف الرواية بأنها: "فن الزمن بامتياز تلتقطه ترهنه تشكله وتتحايل عليه؛ لتخرجه منسجم المضامين السردية المتينة"[٨]. وعليه فإن العناوين الدالة على زمن تستثمره وتوظفه كشفرة تمثل أساس النص، والمرجع لحلها.

رغم أن الرواية الإماراتية في فترة النشأة لم تركز صراحة على الزمن في عناوينها، إلا أن عددا منها حمل رموزا زمنية خفية مثل عنوان: (الصمت) لشيخة الناخي يدل على زمن السكون أو القهر، وهو تعبير غير مباشر عن فترة زمنية اجتماعية مقموعة. أيضا (من يفتح الباب؟) لمحمد المر هو عنوان تساؤلي، يشير إلى الانتظار ومرحلة بين زمنين (ما قبل الانفتاح وما بعده).كذلك (طوي بخيتة) لشيخة الناخي، فكلمة الطوي (البئر)، تحيل إلى مكان من الزمن القديم، مرتبط بذاكرة ومرحلة تاريخية.

---

[٥] - إبراهيم عباس- تقنيات البنية السردية المغاربية- منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر- ٢٠٠٢م- ص٦٩.

[٦] - حميد لحميداني- بنية الخطاب السردي من منظور النقد الأدبي- مرجع سابق- ص٧٠.

[٧] - إبراهيم عباس- تقنيات البنية السردية المغاربية- مرجع سابق- ص٣٦، ٣٧.

[٨] - محمد سالم الطلبة- مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر : دراسة نظرية تطبيقية في سيمانطيقا السرد - ط١- الاستثمار العربي، بيروت- ٢٠٠٨م- ص٢٨١.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

د. أنماط أخرى:

- واللافت للنظر أن هذه المرحلة التقليدية اعتمدت العنونة على خصائص الرومانسية؛ فجاءت معظم العناوين مرتبطة بالمرأة، وبعضها مستوحاة من عناصر الطبيعة، وبعضها الآخر معبر عن مشاعر مختلفة: كالحب، والألم، والمعاناة، ومن أمثلة ذلك: (شاهندة)، (طوي بخيتة)، (زينة الملكة)، (رائحة البحر)، (غيمة على البيت)، (الصمت)، (الرحيل)... ولاحظنا أن بعض عناصر الطبيعة الواردة في العناوين لا تميز منطقة الخليج فقط، بل في بعضها ترد عناصر الطبيعة مشتركة بين البشر في العالم مثل: (غيمة على البيت)، وبعضها الآخر له حضور في البيئة الخليجية خاصة ما له علاقة بـــ: (البحر)؛ لارتباطه بالإنسان الخليجي وحياته، ووجدنا حضورا للبحر في مجموعة من عناوين الروايات الخليجية عموما في هذه المرحلة.

- ونلاحظ كذلك أن عناوين هذه المرحلة يغلب عليها نمط الجمل الاسمية، ويأتي على أوجه؛ إما أن يكون اسما مفردا معرفا بـ (أل): (الصمت)، (الفران)، (الرحيل)، أو معرفا بالإضافة: (زينة الملكة)، (طوي بخيتة)، أو أن يأتي العنوان مكونا من المبتدأ والخبر: (غيمة على البيت)... أما عناوين الجمل الفعلية تكاد تكون معدومة.كما تهيمن الجمل الخبرية على العناوين، أما الجمل الإنشائية فهي قليلة جدا، مثل: (من يفتح الباب؟).

(٢) التجديد في العنونة:

ظهرت في هذه المرحلة - إضافة إلى أنماط المرحلة السابقة- عناوين جديدة يهدف من خلالها الكتّاب إلى "التجريب والعصرية؛ لتوحي بالغواية والتأويل المغاير، علاوة على بلاغيتها واتساع دلالالتها"[٩]، فأصبحت العناوين ذات طابع غامض –نوعا ما- تحتاج إلى وقفة متأنية للفهم والتأويل، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال قراءة نص الرواية؛ ليفهم المتلقي العلاقة بين العنوان والمتن.

وقد اتخذت العناوين في هذه الفترة أشكالا متنوعة أبرزها:

[٩] - فارس البيل- الرواية الخليجية: قراءة في الأنساق الثقافية- المرجع السابق -ص٥٧.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أ. العنونة الرمزية:

بعض العناوين لا تعبر عن مضمون الرواية بشكل سطحي، بل تثير الاستغراب والدهشة؛ لغرابتها أو لكسرها أفق توقع القارئ، فهي تحتاج نظرة ثاقبة، وقراءة معمّقة لفك دلالات تلك العناوين الملغّزة، واستخراج دلالاتها العميقة، فهذا النوع من العناوين يتميز بـ"نظام سيميائي ذو أبعاد دلالية وأخرى رمزية، تُغري الباحث بتتبع دلالاته، ومحاولة فك شفرته الرامزة"[١٠]، كما في روايات: (الطين)، (كائن مؤجل)، (عتمة الوقت)، (سماء ثانية)، (حافة التيه)، (الياه).

ب. العنونة المجازية:

وهي العناوين ذات البنية الاستعارية المجازية، التي تتضمن انحرافا تركيبيا دلاليا "يحدثه المبدع في بينية تشكيلاته العنوانية، بوساطة الإسنادات المجازية، والانحرافات الدلالية اللامألوفة، أو غير المتوقعة التي تحدث في عتبات النص"[١١]، ولو دققنا في فاعلية هذه الانحرافات التركيبية المجازية، ومدى ارتباطها بحركة النص الداخلية، لوجدنا أنها تشكل البؤرة الدلالية، وتحرك الدلالات الأخرى على امتداد النص[١٢]. ومن أمثلة هذا النمط: (أشجار شاحبة)، (قوس الرمل)، (بنت المطر)، (خبايا اللال)، (حارس الشمس)، (مدينة الغيوم السوداء)، (رسائل من الورد).

ج. العنونة العجيبة:

هذا النوع من العناوين يخلق حيرة وتعجبا من شيء مألوف أو غير مألوف، فهو يقدم ما هو خارق، وينتج ذهولا، لذا فإن هذا العنوان "يخبرنا عن النص وهو في نفس الوقت يخبئ عنا عتبته بحسب تعبير ليو هوك"[١٣]، وهذا يظهر في روايات مثل: (خيطان في الهواء)، (قلب من طين)، (حين نسيت أن أموت)، (خرجنا من ضلع جبل).

---

[١٠]- بسام قطوس- سيمياء العنوان- ط١- وزارة الثقافة، عمان، الأردن- ٢٠٠١م- ص٣٣.

[١١]- عصام عبد السلام شرتح- جمالية الخطاب الشعري عند بدوي الجبل- ط٢- دار الخليج للصحافة والنشر، الأردن- ٢٠١٧م- ص١٤٦.

[١٢]- المرجع نفسه- ص١٤٨.

[١٣]- شعيب حليفي- هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل- ط١- دار الثقافة- ٢٠١٥م- ص٢٢.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

د. العنونة التاريخية:

يستند هذا النوع من العناوين على أسماء لشخصيات تاريخية أو أحداث تاريخية ذات تأثير استثنائي، فالمبدع يختزل أحداث التاريخ في عنوانه، لكن هدفه ليس إعادة كتابة التاريخ، وإنما استثماره في طرح أفكار جديدة تناسب المرحلة، وهذا النمط يجد تفاعلا لدى القارئ العربي؛ باعتبار هذه الشخصيات والأحداث التاريخية جزءا من وعيه وثقافته التاريخية، نجذ ذلك في العناوين الآتية: (زمن السيداف)، (سيح المهب)، (الرجال والبحار)، (سبعة أيام في البحر)، (آخر نساء لنجة).

ه. عنونة المفارقة الساخرة:

تقوم المفارقة بشكل أساسي على التضاد بين المعنى الظاهري والباطني، وكلما اشتد التضاد بينهما، ازدادت حدة المفارقة في النص، كما أن للمفارقة وظيفة مهمة في الأدب بشكل عام، فهي تتجاوز شد الانتباه، إلى خلق التوتر الدلالي في النص، وكشف دلالات التعارض بين المعنى الظاهر والمعنى الخفي الغائص في أعماق النص وفضاءاته البعيدة[١٤]، ومن عناوين المفارقات في الرواية الكويتية: (أكره الحب)، (سيف في علبة مكياج)، (نصف مواطن.. صالح للتلفزيون فقط).

❖ وظائف العنوان:

إن من الصعب تحديد وظيفة محددة للعنوان في النص؛ فالوظائف ممتزجة مع بعضها البعض، ويصعب الفصل بينها، لكن "معظم هذه الوظائف تدرك من خلال النص، فالنص هو الذي يحدد طبيعة هذه الوظائف"[١٥]، والباحث قد لايدرك دور العنوان أو وظيفته إلا بعد تمام القراءة[١٦]؛ "لأن العنوان مفتاح النص، عتبته وبوابته، والنص بدوره

[١٤] - دعاء علي عبد الله- البنية الدرامية في شعر محمد القيسي- دار غيداء للنشر والتوزيع، عمّان- ٢٠١٦م- ص٣٨.

[١٥] - عبد الله الغذامي- تشريح النص، مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة- ط١- دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان- ١٩٨٧م- ص١١٠.

[١٦] - المرجع نفسه- ص١١٠.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

حامل للعنوان ومبرمج له"[١٧]، فلايمكن فهم العنوان وإدراك مقصده إلا بالاقتران مع النص؛ فالعلاقة بينهما مترابطة متكاملة، وتثير الكثير من الجدل والنقاش بين الباحثين.

وبالاطلاع على الدراسات الخاصة بالعنونة نجد تصنيفات عديدة لوظائف العنوان عند الدراسين، في حين نجد أن أغلب النقاد في الدراسات الحديثة والمعاصرة اتفقوا على تصنيف (لجيرار جينت)، وهو تصنيف محصور في أربع وظائف "يمكن سحبها على أغلب النصوص"[١٨]، وهي:

١. الوظيفة التعيينية.
٢. الوظيفة الوصفية.
٣. الوظيفة الإيحائية (الضمنية المصاحبة).
٤. الوظيفة الإغرائية.

وسنحاول عمل مقاربة سيميائية للوظائف التي حددها (جيرار جينت) ونطبقها على عناوين الروايات الإماراتية.

- **أولا: الوظيفة التعيينية:**

تعد هذه الوظيفة من أكثر الوظائف انتشارا في العناوين بشكل عام، خاصة الأدبية منها باعتبارها تهتم بتسمية العمل الأدبي، وتحدد هويته؛ فتسهل على القارئ فهم محتويات النص فهما أوليا، فهي "تعين اسم الكتاب وتعرف به للقراء بكل دقة وبأقل ما يمكن من احتمالات"[١٩].

وتحضر هذه الوظيفة في عدد من عناوين الرواية الإماراتية، مثل: (شاهندة)، (زينة الملكة)، (قميص سارة)، (آخر نساء لنجة)، (يوميات روز)...

فمثلا في رواية (زينة الملكة) لعلي أبو الريش، يفصح الكاتب ابتداء من العنوان بأن الرواية عبارة عن أحداث تدور حول سيدة اسمها (زينة) يقدمها للقراء، وهي امرأة

---

[١٧] - بودربالة الطيب- قراءة في كتاب سيمياء العنوان للدكتور قطوس- محاضرات الملتقى الوطني الثاني السيمياء والنص الأدبي- منشورات جامعة محمد خضير، بسكرة- ٢٠٠٢م- ص ٢٧.

[١٨] - رحيم عبد القادر- علم العنونة: دراسة تطبيقية- ط١- دار التكوين، الجزائر- ص٢٢٤.

[١٩] - عبد الحق بلعابد- عتبات جيرار جينت من النص إلى المناص- ط١- الدار العربي للعلوم ناشرون- منشورات الاختلاف- ٢٠٠٨م- ص٨٧..

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

إماراتية من منطقة معيريض، تعيش حالة من الانفصال العميق عن واقعها بعد وفاة زوجها، ويستخدم الكاتب أسلوب تيار الوعي الذي يعكس تدفق أفكار زينة، ومشاعرها بشكل مباشر، دون ترتيب زمني واضح؛ مما يمنح القارئ فرصة للغوص في أعماق نفسيتها، وقد يكون الكاتب اختارها أنثى تحديدا؛ لاعتبارات أهمها أن المرأة عادة ما تخجل من الإفصاح عن معاناتها في المجتمعات العربية، ويبدو أن المرأة من وجهة نظره هي الأقدر على ذكر تفاصيل هذه المرحلة الصعبة أكثر من الرجل.

إن هذه العناوين توضح إلى حد ما ماهية الموضوع، وتكشف عنه، وتهيئ المتلقي للتعرف بشكل مبدئي على مضمون النص؛ "بسبب ما فيها من إشارات لغوية تترشح منها دلالات تتطابق مع دلالة المضمون"[٢٠].

- **ثانيا: الوظيفة الوصفية:**

هي من الوظائف التي لا يمكن الاستغناء عنها في العنوان، وقد عدها امبيرتو ايكو بمثابة مفتاح تأويلي[٢١]، يتمركز دورها في إعطاء إشارة قد يكون لها تأثير قوي يجذب المتلقي، كما تؤدي أيضا دورا إجباريا توجيهيا؛ أي توجه القارئ إلى فهم دلالات النص، و تقوده إلى استيعاب التأويلات المقدمة له.

وتحضر هذه الوظيفة بشكل بارز في الرواية الإماراتية، وتتداخل مع الوظائف الأخرى، فليس من السهل الفصل بينها؛ مما يجعل التمييز بينها يتطلب الدقة، والحكم هو النص بين هذه العناوين المتداخلة في الوظائف. ونمثل لهذه الوظيفة بعدد من العناوين أبرزها: (قوس الرمل)، (تمر الأصابع)، (حارس الشمس)، (بنت المطر)...

فمثلا عنوان عنوان رواية (بنت المطر) لفتحية النمر، يحمل دلالة وصفية رمزية؛ فهو يصف الشخصية الرئيسية كأنثى تتماهى مع المطر، ويقدم وصفا غير مباشر عن المرأة التي تحمل من داخلها مطرا من الحزن، لكنها قادرة على النمو من جديد؛ فهي ضعيفة وقوية في آن واحد، حنونة وثائرة، تنهمر وتزهر.

---

[٢٠] - فاضل التميمي- جماليات العنوان عند علي جواد الطاهر- دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد- ٢٠٠٧م- ص٨٤.

[٢١] - عبد الحق بلعابد- عتبات جيرار جينت من النص إلى المناص- مرجع سابق- ص٨٧.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

- **ثالثا: الوظيفة الإيحائية (الضمنية المصاحبة):**

يتمثل دورها في محاولة إيجاد أسلوب يلفت انتباه القارئ، وذلك من خلال قدرة الكاتب على تكوين لغة رمزية ذات جمالية فنية عالية، وهي تحمل بعضا من توجهات المؤلف في نصه، ولكونها غير مقصودة؛ يرى (جينت) أن الأجدر أن يتكلم عنها بوصفها ضمنية أو مصاحبة، تعتمد على قدرة المؤلف في الإيحاء والتلميح من خلال تراكيب لغوية بسيطة[٢٢]. وقد سميت بالضمنية؛ لأنها تحمل مضمونا غير واضح، وسميت بالمصاحبة؛ لأنها تقترن مع الوظيفة الوصفية.

وما يميز هذه الوظيفة أنها توحي بطريقة غير مباشرة إلى متن النص، نلمس ذلك في عناوين مثل: (الطين)، (أشجار شاحبة)، (قوس الرمل)، (خبايا الظلال)، (حارس الشمس)، (مدينة الغيوم السوداء)، (رسائل من الورد)، (القرية التي تنام في جيبي)، (أم الدويس)... فهذه العناوين لا تصف الروايات كل الوصف، لكنها تجعل المتلقي يستشعر من خلال الألفاظ فكرة النص ومضمونه، فمثلا رواية (القرية التي تنام في جيبي) للولوة المنصوري، يوحي العنوان بالمكان الرئيسي لمجرى أحداث الرواية وهو القرية، والجملة كلها توحي بأن الكاتبة تحمل ماضيها/قريتها في داخلها بشكل حميمي وخاص، وكأنها فكرة أو شعور لا يفارقها، يرافقها في جيبها كجزء من هويتها الذاتية.

وكذلك في رواية: (الطين) لميسون القاسمي، يوحي العنوان بالمنحى الديني في الطرح؛ فالرواية تستدعي الإشارات الدينية بشكل غير مباشر، ولا تستخدم الخطاب الديني بنصه، بل كرمز مستقى من مرجعيات قرآنية، كما في قوله تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ٧١)[٢٣]، وقوله تعالى: (خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ)[٢٤]. فالكاتبة ميسون القاسمي تستخدم هذا الرمز؛ لتقديم تأمل وجودي عميق، ينهل من الذاكرة الدينية، ويعيد تشكيلها أدبيا، فيصبح الطين في الرواية رمزا للأنوثة، الجسد، الخلق، التكوين، الضعف الإنساني، في مقابل الروح، الحياة، التجدد.

أيضا عنوان رواية (أم الدويس) لمريم الغفلي يحمل وظيفة إيحائية رمزية وثقافية

---

[٢٢] - كوثر جبارة- عتبة العنوان في قصص فرج ياسين القصير جدا (دراسة في بنيتها التركيبية)- مجلة كلية التربية الإسلامية، جامعة بابل- ع١٣- ٢٠١٣م- ص٥١٤.

[٢٣] - سورة ص، آية: ٧١.

[٢٤] - سورة الرحمن، آية: ١٤.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

عميقة، تستند إلى الموروث الشعبي الإماراتي؛ حيث يشير إلى شخصية أسطورية في الذاكرة الإماراتية وهي (أم الدويس)، وهي شخصية مخيفة توصف بأنها امرأة جميلة تغوي الرجال ثم تفتك بهم، وهو ما جعلها تصبح جزءا من القصص الشعبية التحذيرية؛ لتخويف الأطفال والرجال من الانجراف خلف الغواية. لذلك يوحي العنوان منذ البداية أن القارئ سيدخل عالما تتداخل فيه الأسطورة بالواقع، والأنثى بالخطر، والجمال بالموت.

- **رابعا: الوظيفة الإغرائية:**

تحاول هذه الوظيفة الإيقاع بالقارئ بمختلف الأساليب، وتعمل على فتح شهيته لاكتشاف الذّوق المميز للنص، وإثارة روحه للمطالعة، لهذا "يكون العنوان مناسبا لما يغري جاذبا قارءه المفترض لما يناسب نصه محدثا بذلك تشويقا وانتظارا لدى القارئ"[٢٥].

والوظيفة الإغرائية للعنوان تثير عدة تساؤلات في ذهن المتلقي؛ بسبب شكلها الانزياحي، مما يحرك فضول المتلقي؛ فيقوم بالبحث عن إجابات لتساؤلاته من خلال نص الرواية.

وهناك الكثير من العناوين الإغرائية في الرواية الإماراتية، التي تجذب القارئ، وتستحثه على الدخول في النص، ولقد اخترنا عينة منها، مثل: (قميص سارة)، (امرأة استثنائية)، (الغرفة ٣٥٧)، (لعله أنت؟)، (حارس الشمس)، (نصوص القسوة)، (خرجنا من ضلع جبل)... وغيرها من العناوين.

إن هذه العناوين تستفز القارئ؛ ليستكشف النص، وبراعتها تكمن في الانزياحات التي تثير أسئلة لدى قارئها، فلا يمكنه أن يصل إلى إجابة إلا بعد قراءة الرواية. ونستخلص من هذه العناوين مجموعة أسئلة، هي:

١. من هي سارة؟ ولم الاهتمام بقميصها؟
٢. من هي المرأة الاستثنائية؟
٣. ما مواصفات الغرفة ٣٥٧؟ ومن يسكنها؟
٤. هل للشمس حارس؟

[٢٥] - عبد الحق بلعابد- عتبات جيرار جينت من النص إلى المناص- مرجع سابق- ص٨٨.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

٥. كيف أصبحت النصوص قاسية؟

٦. هل للجبل جسد وأضلاع؟

نلاحظ أن الانزياحات غالبا هي التي أعطت العناوين السابقة قيمتها الإغرائية؛ نظرا للترابط اللامنطقي بين التراكيب اللغوية، ويعمل نص الرواية لاحقا على الإجابة عن هذه الأسئلة اللامنطقية.

ومن أوجه الانزياح كذلك التي لاحظناها في العناوين الإغرائية في الرواية الإماراتية أن يكون العنوان عبارة عن مفردة واحدة، مثل: (الياه)، (الديزل)، (أجوان)... هذه العناوين تنبه المتلقي إلى وجود حذف، مما يجعله غير قادر على تحديد مضمون النص ولو بإشارة بسيطة، وبالتالي تثير في ذهنه تساؤلات تحسمها القراءة[٢٦].

خاتمة:

وقد توصلت الدراسة في ختامها إلى النتائج الآتية:

١. مرّت عناوين الرواية الإماراتية بمرحلتين: تقليدية واضحة ومباشرة في البدايات، ثم تطورت إلى عناوين رمزية وغامضة تعكس التجريب والحداثة.

٢. تنوعت أنماط العناوين حسب الدلالة: فظهرت عناوين تعتمد على الشخصيات، والأماكن، والزمن، خاصة في المرحلة التقليدية، أما في مرحلة التجديد إضافة إلى الأنماط السابقة ظهرت العناوين: الرمزية، والمجازية، والعجيبة، والمفارقات الساخرة، والتاريخية.

٣. غلبت الجمل الاسمية على العناوين التقليدية، بينما اتجهت العناوين الحديثة إلى المجاز، والرمزية، والمفارقة؛ مما يتطلب تأويلاً عميقًا لفهمها.

٤. أدى العنوان في الروايات الإماراتية وظائف متعددة وفق تصنيف "جيرار جينيت": تعيينية، وصفية، إيحائية، وإغرائية، ويمكن أن تتداخل هذه الوظائف في العنوان الواحد.

٥. أصبح العنوان في الرواية الإماراتية عتبة تأويلية مهمة، لا يمكن فهمه بشكل كامل إلا

[٢٦] - لطيفة الحمادي- المقالة في أدب أحمد حسن الزيات، دراسة في المقومات الفكرية والبناء الفني- أطروحة دكتوراه- كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي- ٢٠١٥م- ص٢٥٨.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

بعد قراءة النص، مما يعكس وعي الكتّاب بأهمية جمالية العنوان.

التوصيّات:

- توصي الدراسة بإجراء المزيد من الأبحاث التي تتناول العناوين في الرواية الخليجية بشكل عام، والرواية الإماراتية بشكل خاص، من زوايا مختلفة مثل: البعد الثقافي، والنفسي، والاجتماعي؛ لما للعنوان من دور محوري في توجيه قراءة النص وتأويله.
- كما يُقترح توسيع نماذج التحليل؛ ليشمل روايات من أجيال مختلفة من الكتّاب الإماراتيين؛ بهدف تتبع التحولات الجمالية والفنية في بنية العنوان على مدى العقود.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

❖ **المصادر والمراجع:**

- القرآن الكريم.

- **المراجع العربية:**

١. إبراهيم عباس- تقنيات البنية السردية المغاربية- منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر- ٢٠٠٢م.

٢. بسام قطوس- سيمياء العنوان- ط١- وزارة الثقافة، عمان، الأردن- ٢٠٠١م.

٣. حميد لحميداني- بنية الخطاب السردي من منظور النقد الأدبي- ط٣- المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- ٢٠٠٠م.

٤. بودربالة الطيب- قراءة في كتاب سيمياء العنوان للدكتور قطوس – محاضرات الملتقى الوطني الثاني السيمياء والنص الأدبي- منشورات جامعة محمد خضير، بسكرة- ٢٠٠٢م.

٥. دعاء علي عبد الله- البنية الدرامية في شعر محمد القيسي- دار غيداء للنشر والتوزيع، عمّان- ٢٠١٦م.

٦. رحيم عبد القادر- علم العنونة: دراسة تطبيقية- ط١- دار التكوين، الجزائر.

٧. شعيب حليفي- هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل- ط١- دار الثقافة- ٢٠١٥م.

٨. عبد الحق بلعابد- عتبات جيرار جينت من النص إلى المناص- ط١- الدار العربي للعلوم ناشرون- منشورات الاختلاف- ٢٠٠٨م.

٩. عبد الله الغذامي- تشريح النص، مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة- ط١- دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان- ١٩٨٧م.

١٠. عبد الملك مرتاض- في نظرية العنوان: مدخل إلى عتبة النص- ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر- ٢٠٠٠م.

١١. عصام عبد السلام شرتح- جمالية الخطاب الشعري عند بدوي الجبل- ط٢- دار الخليج للصحافة والنشر، الأردن- ٢٠١٧م.

١٢. فارس البيل- الرواية الخليجية: قراءة في الأنساق الثقافية- شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع- ٢٠١٦م.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

١٣.فاضل التميمي- جماليات العنوان عند علي جواد الطاهر- دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد- ٢٠٠٧م- ص٨٤.

١٤.كوثر جبارة- عتبة العنوان في قصص فرج ياسين القصير جدا (دراسة في بنيتها التركيبية)- مجلة كلية التربية الإسلامية، جامعة بابل- ع١٣.

١٥.لطيفة الحمادي- المقالة في أدب أحمد حسن الزيات، دراسة في المقومات الفكرية والبناء الفني- أطروحة دكتوراه- كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي- ٢٠١٥م.

١٦.محمد سالم الطلبة- مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر : دراسة نظرية تطبيقية في سيمانطيقا السرد - ط١- الاستثمار العربي، بيروت- ٢٠٠٨م.

- **المراجع الأجنبية:**

17. Genette, G. Seuils. Paris: Éditions du Seuil.1987.

ISSN : *2537-0847* eISSN : *2537-0898*

المنطلقات اللسانية لعز الدين المجدوب

في كتابه: (المنوال النحوي)

The linguistic principles of Ezzedine Majdoub
In his book: (The Grammatical Model)

إعداد

أفنان هاجد المطيري

Afnan Hajed Al-Mutairi

باحثة ماجستير ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة القصيم – (السعودية)

Doi: 10.21608/mdad.2025.445271

استلام البحث	١٧/ ٥ / ٢٠٢٥
قبول النشر	٣٠ / ٦ / ٢٠٢٥

المطيري، أفنان هاجد(٢٠٢٥). المنطلقات اللسانية لعز الدين المجدوب في كتابه: (المنوال النحوي). ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٩ (٣٠)،٤١ـ ٨٤.

http://mdad.journals.ekb.eg

ISSN : *2537-0847* eISSN : *2537-0898*

المنطلقات اللسانية لعز الدين المجدوب في كتابه: (المنوال النحوي)

الملخص:

عزالدين المجدوب هو باحث لساني عربي تونسي، له إرث لساني لا يستهان به في مجال التأليف والترجمة. ويعد كتاب المنوال النحوي ثمرة من ثمار قراءاته وترجماته لكثير من الملفات اللسانية العربية، الأمر الذي أوحى إليه بتأليف كتاب المنوال النحوي، هذا الكتاب ضم بين دفتيه تأثره بكل من لسانيات دي سوسير، وآراء هيلمسليف، إضافة إلى نتائج إعادة قراءة التراث النحوي العربي من خلال بعض اللسانيين العرب، نذكر منهم على سبيل المثال : تمام حسان، وإبراهيم أنيس، والمخزومي وغيرهم، ليقف في نهاية قراءاته على كثير من المآخذ ،إن على المستوى اللساني الغربي، أو على المستوى اللساني العربي.

وبناء على قراءتي لما جاء في كتاب (المنوال النحوي) فقد وقفت بالدرجة الأولى على المنطلقات الأساسية لتأليف هذا الكتاب، والتي تمثلت في تأثر المجدوب بلسانيات كل من دي سوسير وهيلمسليف، وإن كان قد فضل أحدهما على الآخر لعدة اعتبارات سأذكرها في متن البحث الذي سأخصصه لهيلمسليف، لأن مساحة المقال لا تسمح بعرض كل ماجاء عن تأثر المجدوب بدي سوسير، وكذلك بتأثره بآراء هيلمسليف، وكذلك لأن المجدوب أخذ بآراء هيلمسليف أكثر من آراء دي سوسير.

ولقد اخترت المنهج الوصفي لأنه المنهج اللساني الأنسب لطبيعة التحليل التي سأقوم بها في هذا البحث. أما إشكالية البحث فإنها تتمثل في الأسئلة التالية:

- ماهي المنطلقات الأساسية لتأليف كتاب المنوال النحوي؟
- لماذا فضل المجدوب آراء هيلمسليف على الأب الروحي للسانيات دي سوسير ؟
- ماهي مواطن التشابه والاختلاف بين الدرس اللساني العربي والدرس اللساني الغربي؟

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

- كيف يمكن أن نسقط مبادئ اللسانيات الغربية على التراث النحوي العربي؟

أما أهداف البحث فتتمثل في:

- التعرف على اللسانيات الغربية من خلال دي سوسير وهيلمسليف.
- التعرف على ثنائيات دي سوسير وما يقابلها في اللسانيات العربية.
- التمكن من فهم مصطلحات اللسانيات الغربية التي قام المجدوب بترجمتها حتى تنسجم مع المضمون العربي.
- الوقوف على أوجه التشابه والاختلاف بين اللسانيات الغربية والنحو العربي الذي نعده المنطلق الأساس للسانيات العربية.

الكلمات المفتاحية: عزالدين المجدوب، المنوال النحوي، الترجمة اللسانية، المقارنة اللسانية، المنهج الوصفي.

Abstract:

Azeddine Al-Majdoub is a Tunisian Arab linguistic researcher whose contributions in authorship and translation form a significant legacy in the field of linguistics. His book Al-Manwāl al-Naḥwī (The Grammatical Model) is a result of his extensive readings and translations of many Arabic linguistic texts. These efforts inspired him to author Al-Manwāl al-Naḥwī, a work that reflects his influences from both Ferdinand de Saussure's linguistics and the theories of Louis Hjelmslev, in addition to the outcomes of re-reading the Arabic grammatical heritage through the lens of several Arab linguists such as Tammam Hassan, Ibrahim Anis, and Al-Makhzoumi, among others. Ultimately, his studies led him to identify several shortcomings, both in Western linguistic traditions and in Arabic linguistic discourse.

Based on my reading of Al-Manwāl al-Naḥwī, I have first and foremost identified the key motivations behind the writing of this book. These include Al-Majdoub's engagement with the linguistic

ISSN : *2537-0847* eISSN : *2537-0898*

theories of both Saussure and Hjelmslev, although he favored the latter for several reasons, which I will elaborate upon in the main body of the research paper I intend to dedicate specifically to Hjelmslev. The limited space of this article does not allow a full discussion of Al-Majdoub's engagements with both Saussure and Hjelmslev, especially since he adopted more of Hjelmslev's views than those of Saussure.

I have chosen the descriptive method for this study, as it is the most suitable linguistic approach for the type of analysis I intend to carry out.

The research problem centers on the following questions:

- What are the fundamental premises behind the writing of Al-Manwāl al-Naḥwī?
- Why did Al-Majdoub favor Hjelmslev's theories over those of Saussure, the founding father of modern linguistics?
- What are the points of convergence and divergence between Arabic linguistic thought and Western linguistic theory?
- How can the principles of Western linguistics be applied to the Arabic grammatical heritage?

The objectives of the research are as follows:

- To gain an understanding of Western linguistics through the works of Saussure and Hjelmslev.
- To explore Saussure's binary oppositions and their counterparts in Arabic linguistics.
- To comprehend the Western linguistic terminology translated by Al-Majdoub in a way that aligns with Arabic conceptual content.
- To identify the similarities and differences between Western linguistics and Arabic grammar, which we consider the foundational framework of Arabic linguistic thought.

Keywords: Azeddine Al-Majdoub, Al-Manwāl al-Naḥwī, linguistic translation, linguistic comparison, descriptive method.

. . .

ISSN : *2537-0847* **eISSN :** *2537-0898*

تمهيد:

إن أول ما نبتدئ به القول، هو أنه لا يمكن تجاوز ثنائيات ولا مبادئ دي سوسير اللسانية، وذلك أن آراءه التي قام طالباه بجمعها ونشرها في كتاب بعنوان **"دروس في اللسانيات العامة"** قد أحدثت ثورة معرفية في ميدان الدراسات اللغوية في العالمين الغربي والعربي بعد الترجمة وفهم المصطلحات، وقد تأثر كثير من الباحثين الغرب بنظرية دي سوسير اللسانية، لكن هناك من أيده وهناك من عارضه، وهناك فريق أضاف إضافات نوعية، مثل هيلمسليف الذي تأثر بلسانيات دي سوسير، لكنه خالفه في كثير من المواطن، التي رأى المجدوب أنها تتفق وماجاء في النحو العربي.

ـ توظيف عز الدين المجدوب لأسس ومبادئ هيلمسليف اللسانية:

تناول عز الدين المجدوب في كتابه المنوال النحوي العربي بابا عنونه بـ **(الفرضيات والمنوالات)** صرح فيى هذا الباب باستعمال التمييز الإبستمولوجي من قبل فلسفة العلوم وعلم المنطق في مصنفاتهم. ومن أهم تصريحاته وأشهرها هي: أن أول من أدخل التمييز الإبتسمولوجي إلى علم اللسانيات هو العالم الدانماركي **(لويس هيلمسليف)**، حيث وردت هذه الثنائية (الفرضيات والمنوالات) في نظرية الغلوسيماتيك، وعندما رأى المجدوب أن من سماتها (دحض التجريبية).[١] أراد أن يثبت دوره في عمل المنوال النحوي العربي بالابتعاد عن التجريبية لتقوية إمكانات المعرفة العلمية، فأقرّ بتوظيف التمييز الإبتسمولوجي لهيلمسليف، لاعتماده في قراءة التراث النحوي العربي،من أجل توضيح علاقته باللسانيات،[٢] الأمر الذي سمح له باكتشاف ثنائية الفرضيات والمنوالات.

وعلاوة على ذلك فقد حصن المجدوب نفسه من الوقوع في التجريبية من خلال تمسكه بالتمييز الإبتسمولوجي لهيلمسليف، وذلك بتوظيفه لأشهر أسس هيلمسليف المتمثلة في ثنائية الفرضيات والمنوالات، كما سبق الذكر؛ إضافة إلى الأسس التالية:

أ. إعادة هيلمسليف صياغة فرضيات دي سوسير بحيث تشمل الوحدات الدالة.
ب. عرض فرضيات هيلمسليف المتعلقة ببنية اللغة.

---

[١] ينظر: المنوال النحوي العربي. قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ط١. ص٤٩- ٥٢.
[٢] ينظر: المرجع نفسه. ط٢. ص ٥٦.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ج. الأسباب الداعية لاعتماد فرضيات هيلمسليف لتقييم المنوال النحوي العربي.

هذه هي الأسس التي سنتناولها بالدرس والتحليل. وأول ما نبتدئ به هو ثنائية الفرضيات والمنوالات التي أجمل المجدوب سماتها في ما يلي:

- **سمات التمييز الإبستمولوجي من وجهة نظر عز الدين المجدوب:**

استنبط المجدوب جملة من التصورات والأفكار اللسانية والإبستمولوجية باعتبارها مؤسسة على الفصل المنهجي بين الفرضيات العامة والمنوالات، ولعل أهم ما توصل إليه هو:

أ- تحديد خصائص المنهج العلمي الحديث، هذه السمة التي رأى المجدوب أنها تميز الممارسات العلمية المتقدمة عن الممارسات العلمية الحديثة[٣]، حيث قال: "إن الفرضيات تسمح ببناء منوالات ناجعة إجرائيا، ولكن بناء المنوالات يمكن من تعديل الفرضيات العامة أو مناقشتها أو الإضافة إليها"[٤].

ب- أما **السمة الثانية:** لهذا التمييز في نظر المجدوب فهي تمكّن الباحث من فهم أفضل لتاريخ علم اللسانيات، ولتوضيح هذا التمييز استعان المجدوب بأمثلة من تاريخ اللسانيات، حيث رأى أن هذه السمة هي "أداة إجرائية فعالة في إزاحة الغموض عن أول من بدأت معه البحوث اللسانية بمفهومها الحالي"[٥] قائلا: "نريد أن نبين أن اعتماد الثنائية يسمح بتفهم خلفيات مختلف المواقف، ويكتشف أن بينها نقاط التقاء ووشائج غير متوقعة من الوهلة الأولى"[٦]. يفهم من هذا القول؛ إن سمة التمكن من الفهم قائمة على الفرضيات والمنوالات، الأمر الذي يسمح للباحث بالتمييز والفصل المنهجي بين النظريات اللسانية السابقة واللاحقة، من أجل الوقوف على أهم

---

[٣] ينظر: النظرية الغلوسيماتيكية وتجلياتها في الدرس اللساني العربي- مقاربة إبستمولوجية. ابن شماني محمد. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس-. ٢٠١٤-٢٠١٥م. ص١٨٨.

[٤] ينظر: المنوال النحوي العربي. قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ط٢. ص ٦٦.

[٥] ينظر: النظرية الغلوسيماتيكية وتجلياتها في الدرس اللساني العربي- مقاربة إبستمولوجية. ابن شماني محمد. ص ١٨٨.

[٦] المنوال النحوي العربي. قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ص ٦٧.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الاستنتاجات التي ينبغي إسقاطها على التراث النحوي العربي خاصة، وعلى أي مادة تراثية عربية قديمة.

ج- أما **السمة الثالثة:** فهي أن التمييز الإبستمولوجي في نظر المجدوب يمكّن من فهم نقد اللسانيين الغربيين لتراثهم النحوي، وكما يمكن من تعيين أخطاء ما يسمى بالنحو التقليدي (Traditional grammar) وذلك من خلال اكتشاف الأخطاء التي وقعوا فيها في إسقاطهم لفرضياتهم على نحوهم القديم حتى نتجنبها نحن، لذلك وجدناه يقول: "إن اعتمادنا هذه الثنائية من شأنه أن يجنبنا إسقاط عيوب النحو الأوروبي على النحو العربي، ويجنبنا المماثلة المطمئنة بين النحو العربي والنحو الأوروبي"[٧]. ومما ألمح إليه الباحث (صابر حباشة): أن المجدوب اكتشف هذه السمة عندما كان يعيد صياغة مآخذ اللسانيين الغربيين على تراثهم، ثم يفصل بحسم فيقرر إشكالية الأطروحة بوضوح، قال: "ينتقل عز الدين المجدوب في الباب الثاني إلى تفصيل القول في الفرضيات العامة و المنوالات بما هما مستويا النظرية العلمية متخذا لويس هيلمسليف (Louis Hielmslev) اللساني الدانماركي مستندا مرجعيا، وقد أقام تمييزا بين نظرية وبراهين من ناحية وفرضيات من جهة أخرى، ويرى المؤلف أن اعتماد كل من الفرضيات والمنوالات هو عمل ناجع لفهم أفضل لتاريخ اللسانيات، وهو يعيد صياغة مآخذ اللسانيين الغربيين على تراثهم اللغوي، ثم إنه يفصل بحسم فيقرر إشكالية الأطروحة بوضوح"[٨]:

وعلى الأساس، يمكن طرح السؤال التالي: "ما هي قيمة المنوال النحوي العربي المتعلق بالجانب الآني بالمقارنة مع المقولات النحوية التي أحدثتها اللسانيات؟"[٩] يحيلنا هذا السؤال؛ إلى أنه لا يمكن إسقاط التطبيقات النحوية الغربية على تراثنا النحوي العربي كلها كما جاءت؛ لأن اللسانيين الغربيين أنفسهم قد وقعوا في أخطاء كثيرة حين محاولاتهم إسقاط مبادئ النظريات اللسانية الحديثة على نحوهم التقليدي.

د- **السمة الرابعة:** من منظور المجدوب: تمكّن هذه الثنائية المشتغل في حقل اللسانيات

---

[٧] المنوال النحوي العربي. قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ص٦٨.

[٨] ينظر: النحو العربي. المنوال النحوي العربي. لعز الدين المجدوب. نقدُ نقدِ المحدثين للنحاة القدامى. صابر الحباشة. https://saberhabacha.tripod.com

[٩] المنوال النحوي العربي. قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ص ٦٢.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

من قراءة التراث النحوي قراءة حديثة، كما تكمنه من الفهم الدقيق للمقصود بالتراث النحوي[١٠].

واستنادا إلى قول المجدوب: "يتخذ هذا التدقيق أهميته لتضمّن التراث النحوي اللغوي بالمعنى الواسع هذين الجانبين. وقد اتخذ الباحثون موضوع (الفرضيات العامة) أو ما يناظرها تارة، وموضوع (القواعد النحوية أو المناويل) تارة أخرى. ويكون من المفيد (التدقيق) لتوضيح عناصر القضية المعنية، لتيسير النقاش حولها، إلا أن استعمالنا لهذه الثنائية (الفرضيات والمنوالات) لفرز مادة التراث لا يعني أننا نسلم بوجود نظرية متكاملة في التراث العربي؛ ولا أننا نسلم ضرورة بوجود ترابط بين هذه الفرضيات العامة"[١١].

وعلى هذا الأساس؛ وجدنا أن هذه الثنائية بالنسبة للمجدوب تعد أمرا ضروريا وشرطا منهجيا إبستمولوجيا "لإقامة تبويب أولي للتراث النحوي العربي؛ يستند إلى خلفية نظرية متينة"[١٢]. وهي الخلفية الغلوسيماتيكية باعتبارها منطلقا قويا على الصعيد المنهجي، والصعيد الإبستمولوجي، والصعيد النظري فيما ذهب إليه المجدوب[١٣].

هـ - وفيما يخص السمة الخامسة : رأى المجدوب أن التمييز الإبستمولوجي يمكّن من إعادة صياغة أهداف مقاربات المحدثين للتراث النحوي، قائلا: "إن غايتنا في هذا العمل هي تقييم الجانب الإجرائي في النحو العربي؛ أي ما يوافق المنوال في النظرية اللسانية"[١٤]. وهذا حاصل بالفعل، وقد طبقه المجدوب في كتابه (المنوال النحوي العربي) الموجود في: **قسم الجملة، قسم أقسام الكلم، قسم الوظائف النحوية**، عندما أعاد المجدوب صياغة أهداف المحدثين العرب وفق **مبدأ هيلمسليف**. كما وجدناه في قسم

---

[١٠] ينظر: النظرية الغلوسيماتيكية وتجلياتها في الدرس اللساني العربي- مقاربة إبستمولوجية. ابن شماني محمد. ص١٨٩.

[١١] ينظر: المنوال النحوي العربي. قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ص ٦٨.

[١٢] المرجع نفسه. ص٦٩.

[١٣] النظرية الغلوسيماتيكية وتجلياتها في الدرس اللساني العربي- مقاربة إبستمولوجية. ابن شماني محمد. ص١٨٩.

[١٤] ينظر: المنوال النحوي العربي. قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ص ص٦٩.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الجملة قد عرض دعاوى المحدثين العرب المتعلقة بالجملة كما نقل لنا مؤاخذاتهم للنحاة القدامى في تصورهم وفي تطبيقاتهم النحوية عليها، ومن أبرز دعواهم أن المنوال النحوي العربي الذي سار عليه النحاة المتقدمون غير مطابق لمعطيات اللسان العربي، لذلك لجأ المجدوب إلى تعريف الجملة مبرزا نواتها وأصنافها، ثم انتقل إلى مناقشة المحدثين متخذا منهج هيلمسليف يبني عليه تصوراته، وليعرض أهم مآخذه على المحدثين أمثال: إبراهيم مصطفى حيث خطأ تعريف النحاة العرب للنحو؛ إذ قصروه على الكلم المفردة، كما قصروه على دراسة أواخر الكلم. فمثل هذا التعريف يغض الطرف عن التركيب من جهة، وعن وجود ألسنة كثيرة لا إعراب فيها من جهة أخرى، وهذا التقصير جعل التعريف التراثي غير ملائم، لذلك وجدنا المجدوب يناقش حجج (إبراهيم مصطفى) مستندا إلى المراجع التي اتخذها إبراهيم منطلقا لمحاكمة النحاة القدماء، مجرحا في اختيارها، قائلا بأنه لا يمكن الاطمئنان إليها في المناقشات النظرية لماهية العلم، ثم إنها ليست ممثلة للتفكير النحوي العربي القديم. وقد عاد المجدوب إلى المؤلفات الممثلة حقا للتفكير النحوي العربي القديم. فأورد نماذج تدل على اعتناء النحاة المتقدمين بالتركيب، وعدم اكتفائهم بالكلمة المفردة وقد استشهد بالزمخشري صاحب (المفصل) ورجع إلى الرضي الاستراباذي في كتابه: (شرح الكافية لابن الحاجب) بالإضافة إلى (الكتاب) لسيبويه[١٥].

وجدير بالذكر، أن الباحث (محمد ابن شماني) قد أكد على "تمكّن هذه الثنائية من تحديد المجال الذي تحركت فيه أهم القراءات اللسانية النقدية للنحو العربي ، وهو ما يفهم - فعلا - من كلام المجدوب عن الفرضيات والمنوالات التي يتعلق جلها المجال الإجرائي"[١٦].

و - السمة السادسة: وهي أن التمييز الإبستمولوجي يمكّن من صياغة القضية المطروحة للنقاش صياغة نهائية، وقد مثّل المجدوب لهذا التمييز بين الظاهرة الزمانية

---

[١٥] ينظر: النحو العربي. المنوال النحوي العربي. لعز الدين المجدوب. نقدُ نقدِ المحدثين للنحاة القدامى. صابر الحباشة. https://saberhabacha.tripod.com

[١٦] ينظر: النظرية الغلوسيماتيكية وتجلياتها في الدرس اللساني العربي- مقاربة إبستمولوجية. ابن شماني محمد. ص١٨٩.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

والآنية، قائلا: "إن علم اللسانيات بنى نوعين من المناويل حسب هذين المنظورين: مناويل تتناول الظاهرة زمانيا وهي الأسبق، ومناويل تتناول الظاهرة اللغوية في جانبها الآني"[١٧] وبذلك يكون المجدوب قد ميّز بين منهجين: الآني والزماني، وهو تمييز عائد إلى دي سوسير في دروسه.

وبناء على هذا التمييز؛ فقد بيّن المجدوب أن نظرية النحو العربي تبنت منوالا آنيا. قائلا: "إن العرب خلفوا منوالا نحويا آنيا واحدا، هو المنهج الآني للظاهرة اللغوية.وهو المنهج الذي طوّرته اللسانيات بدءا بدي سوسير، ولهذا يتساءل في نهاية مقدمة هذا المبحث عن قيمة المنوال النحوي العربي،؟ أي عن مدى أهميته وجدواه؛ مقارنة بما قدمته اللسانيات الحديثة. قائلا: "ما هي قيمة المنوال النحوي العربي المتعلق بالجانب الآني بالمقارنة مع المناويل النحوية التي أحدثتها اللسانيات؟"[١٨].

"تقتضي الإجابة على هذا السؤال الإحاطة بالشروط التي حددتها اللسانيات لصياغة المنوالات النحوية. وإذا تأملنا الأمر جيدا تبين لنا أن تحديد هذه الشروط مساو لتحديد فرضيات عامة متكاملة تتعلق ببنية الألسنة. ويستند هذا التأويل إلى الترابط المنطقي بين الفرضيات العامة والمنوالات في النظرية العلمية"[١٩].

ومن الآراء التي تثني وتدعم عمل عز الدين المجدوب في دحض التجريبية رأي (مصطفى غلفان) وهو باحث لساني مغربي، **خصص بحثا بعنوان (بيان ضد تجريبية الكتابة اللغوية العربية الحديثة)**، يثني فيه على المنوال النحوي العربي الذي فضله في معالجة قضايا اللغة العربية، حيث عدّ الباحث المنوال النحوي العربي رسالة معرفية ومنهجية صريحة ومباشرة إلى كل من يهمه محاورة التراث اللغوي القديم أو مقاربة اللغة العربية من منظور اللسانيات، حيث رأى أن تجريبية اللسانيات العربية قد فشلت في فهم مضامين التراث وفي إدراك أسس اللسانيات الغربية، وصرّح الباحث بأن صاحب المنوال قد نقد ضعف الأسس النظرية والمنهجية لدى اللغويين العرب المحدثين، كما أن غلفان يصرّح بأن المجدوب رسّخ معالم الطريق الصحيح الذي ينبغي أن يسلكه الباحثون

[١٧] ينظر: المنوال النحوي العربي. قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ص ٦٩-٧٠.
[١٨] المنوال النحوي العربي. قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ص٧٠.
[١٩] المنوال النحوي العربي. قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ص٦٣.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

العرب معرفيا[٢٠] قائلا: "وفي سياق الدرس اللساني العربي الحديث، يمكن القول بأن المنوال النحوي وهو يبرز خصوصية التراث النحوي العربي وقوته المعرفية في معالجة قضايا اللغة العربية؛ يعد رسالة معرفية ومنهجية صريحة ومباشرة إلى من يهمه الأمر من منظور اللسانيات، وهي رسالة تعد بمثابة بيان يمكن أن نسميه بيانا ضد تجربية اللسانيات العربية، التي فشلت في فهم مضامين التراث وإدراك أسس اللسانيات على السواء، حين اكتفى هؤلاء الرواد العرب باختصار المعرفة العلمية في حقل اللغة إلى مقولات بسيطة لا تتعدى حدود الفهم المشترك أو العام الذي لا يستطيع النفاذ إلى ما وراء المعطيات المادية المباشرة. وقد انتقد صاحب المنوال ضعف الأسس النظرية والمنهجية لدى اللغويين العرب المحدثين، ورسم لهم معالم الطريق الصحيح الذي كان ينبغي أن يسلكوها معرفيا..."[٢١].

وإلى جانب آراء غلفان حول جهود المجدوب في التأسيس للسانيات عربية، نجد الباحث **(محمد صلاح الدين الشريف)** يضم رأيه إلى غلفان مصرحا بأن التمييز الإبستمولوجي في علم اللسانيات كان من اهتمامات عز الدين المجدوب. قائلا: "فكان الاهتمام بين النظرية والمنوال في اللسانيات عموما، وفي اللسانيات التقليدية بالخصوص من نصيب المجدوب، إذ كانت دراسته على ما أعلم أول دراسة عربية تناولت النصوص النحوية القديمة من الجانب الابستمولوجي. وفيها تشبث على خلاف رأيي، بأن النحو العربي القديم يكون منوالا لا نظرية، في حين كنت أتشبث بأنه يعكس نظرية ضمنية متحققة في مناويل صغرى متقاربة. في رأيي إنّ البتّ في هذا الشأن يتطلب تجهيزا منهجيا قويا ومسحا عاما للنصوص، ومزيدا من النقاش والحجاج. إلا أننا تركنا منذ مدة هذا المجال من البحث، فقد انصرفنا عنه إلى أهداف تعليمية أخرى"[٢٢]. ومن زاوية أخرى لم يخالف محمد صلاح الدين عمل المجدوب السابق بل بيّن أهميته، وانصرف عن

---

[٢٠] ينظر: تجديد المنوال اللساني. بحوث محكمة. فدوى العذاري. بحث المنوال النحوي أو البيان ضد تجريبية الكتابة اللغوية الحديثة. مصطفى غلفان. الدار البيضاء- المغرب. ص١٦٥.

[٢١] المرجع نفسه. ص١٦٥.

[٢٢] ينظر: تجديد المنوال اللساني. فدوى العذاري. بحث: الوعي النحوي ولعبة المناوي: وجهة نظر نسبية في مشروع التجربة التونسية. محمد صلاح الدين الشريف. ص٨٧.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

نتائجه واستتباعاته بسبب مشاغل التدريس والبحث الأخرى، ليبقى البحث في مشروع المجدوب غير مكتمل.

انطلاقا من آراء كل من الباحثين مصطفى غلفان ومحمد صلاح الدين الشريف، نؤكد من منظورنا على تبني المجدوب رؤية منهجية خالصة في القسم الأول من كتابه (المنوال النحوي العربي) تمثلت في التمييز بين النظرية العلمية والنظرية اللغوية بشكل خاص، وقد أشار المجدوب إلى توظيفه في المنوال النحوي العربي لأهداف أخرى ذكرها في مقدمة الكتاب وهي كالآتي:[٢٣]

- تحديد دراسة التراث اللغوي تحديدا دقيقا.
- التمكن من توضيح القضية التي طرحها اللغويون العرب المحدثون عند نقدهم للتراث النحوي العربي.
- وتقديم الإجابة التي أرادوها والتي أخطؤوا بشأنها لافتقارهم للأدوات النظرية التي تمكنهم من إسقاط الفرضيات والمنوالاتاللسانية الحديثة على التراث النحوي العربي.

وعلى هذا الأساس؛ وجدنا أن آراء غلفان ومحمد الشريف تتفق مع ما ذهب إليه المجدوب، وتؤيد ما وصل إليه من نتائج من خلال **توظيفه لأسس هيلمسليف** وإسقاطها على النحو العربي جملة وتركيبا.

ولعل ما استنتجته من الآراء الثلاثة (المجدوب، مصطفى غلفان، ومحمد شريف) أن غاية كل من المحدثين كانت غاية تعليمية أما غاية المجدوب فمنهجية بالدرجة الأولى، لذلك فإننا نؤيد من موقعنا نتائج المجدوب؛ لأن التعليم لا يقوم إلا باتّباع منهجية علمية دقيقة، إذا ما رام الوصول إلى نتائج إيجابية.

وانطلاقا من غايات المجدوب، نجد أنه في قسم الوظائف النحوية قد أعاد صياغة مجموعة من الطعون قد وجهها للمحدثين بخصوص الإعراب الذي اعتقدوا أنهم قد بنوه - وفق مبدأ هيلمسليف - لذلك استدل المجدوب على أن الإعراب من ثوابت المضمون لا من ثوابت التعبير، محيلا إلى شرح الكافية ، محصول بقول الرضي في شرح قول ابن الحاجب: [٢٤] "الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد"[٢٥]، "قوله لمعنى مفرد: يعني به أن

---

[٢٣] ينظر: المنوال النحوي العربي- قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ط١. ص ٦.

[٢٤] المنوال النحوي العربي- قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ط١. ص٢٨٢-٢٨٤.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المعنى لا يدل لفظه على جزئه سواء كان لذلك المعنى جزء، نحو معنى ضرب، الدال على المصدر والزمان، أو لا جزء له كمعنى ضرب ونصر. فالمعنى المركب على هذا، هو الذي يدل جزء لفظه على جزئه نحو ضرب زيد، كذا لفظهما لأن اللفظ المفرد لا يدل جزؤه على جزء معناه واللفظ المركب الذي يدل جزؤه على جزء معناه"[٢٦].

١. توظيف المجدوب لفرضية إعادة هيلمسليف صياغة فرضيات دي سوسير بحيث تشمل الوحدات الدالة:

اشترك كل من (هيلمسليف وأولدال)*[٢٧] في بحث علمي لهما حاولا فيه أن يتميزا بموقف مخالف تماما لمدرسة براغ، وتعاونا على تطوير النظرية البنيوية للغة[٢٨]حيث اقترحا تسمية نظريتهما الجديدة في علم الأصوات باسم (الغلوسيماتيك)، التي تعني الوحدات النحوية الصغرى التي ليس من الممكن تجزئتها، واشتقا اسمها من الكلمة الإغريقية (glossa) التي تعني اللغة[٢٩]. وعلى هذا الأساس تعد (الغلوسيماتيك) تعد أول نظرية لغوية منسجمة حول أطروحات دي سوسير[٣٠].

وتجدر الإشارة إلى أن الغلوسيماتيك التي تدرس الوحدات النحوية الصغرى التي لا تقبل التجزئة -كما أنف الذكر- هي العلامة عند دي سوسير، وتنقسم عند هيلمسليف بدورها إلى قسمين: وحدات التعبير، وتقابل الدال، ووحدات المحتوى وتقابل المدلول[٣١]. ولهذا الصدد؛ يقول هيلمسليف: "من غير الممكن أن نجعل الخامة -خامة التعبير/خامة

---

[٢٥] شرح الكافية، رضي الدين الاستراباذي. ج ١. من عمل يوسف حسن عمر. منشورات جامعة بنغازي. ١٩٧٣م. ص ٢٢.

[٢٦] المرجع نفسه. ص ٣١.

[٢٧] هو هانز يورغن أولدال عالم لغوي دنماركي معروف بتطوير النظرية اللغوية لعلم اللسانيات مع هيلمسليف.

[٢٨] ينظر: لويس هيلمسليف. ويكيبيديا. https://ar.wikipedia.org

[٢٩] ينظر: المدرسة الغلوسيماتية. أسماء أبو حديد. ٢٠٢٣م. https://mawdoo3.com

[٣٠] ينظر: المدارس اللسانية الحديثة. الصديق حاجي. كلية الآداب واللغات. قسم الآداب واللغة العربية. جامعة الإخوة منتوري. قسنطينة- الجزائر. السنة الثانية. مج٣. https://fac.umc.edu.dz

[٣١] ينظر: المحاضرة السادسة. مدرسة كوبنهاجن الدنماركية (هيلمسليف). تروش حسين. مدارس لسانية. السنة الثانية. https://cte.univ-setif2.dz

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المحتوى- أساسا لوصف اللغة اللساني"[٣٢].

واعتمادا على القول السابق، نرى بأن هيلمسليف قد تأثر ببعض آراء دي سوسير وبخاصة ما تعلق بطبيعة اللغة التي تدرس الشكل وليس المادة. يقول: "لقد صرّح دي سوسير بعبارة واضحة بأن اللسان شكل وليس مادة، وهذا عموما يتطابق مع وجهات نظره العامة"[٣٣].

ولعل أهم ما وصل إليه هيلمسليف، استئناسا بما أجراه تروباتسكوي في علم وظائف الأصوات، هو توزيع العلامة إلى أربعة مستويات بعد أن كانت عند دي سوسير مستويان اثنان هما الدال والمدلول. فقد صار لكل طرف منهما شكل ومادة[٣٤].

فـ دي سوسير وهيلمسليف استبعدا الجوهر (المادة) من الدراسة اللغوية؛ لأنهما اعتبراها شيئا ثانويا (متغيرا)[٣٥]. خلافا لـ تشومسكي الذي أعطى الأولوية للمادة والبنية العميقة دون أن يهمل الشكل[٣٦]. وتماشيا مع ما تم ذكره: "انطلق هيلمسليف في نظريته من مفاهيم دي سوسير حول قضايا اللغة، التي وردت في محاضراته، غير أنه دقق في عرضها بدرجة كبيرة من التجريد النظري، وصياغة المفردات والمصطلحات، فـ هيلمسليف لم يكتف بمجرد عرض لأعمال دي سوسير... بل قام ببسط مفاهيمها والتدقيق في عرضها لصياغة نظرية بنيوية لسانية صارمة ذات توجه منطقي رياضي"[٣٧].

---

[٣٢] مداخل لنظرية اللغة. لويس هيلمسليف. تر: يوسف إسكندر. الناشر جامعة الكوفة. سلسلة دراسات فكرية. بيروت- لبنان. ط١. ٢٠١٨م. ص ١٠٧.

[33] L. Hielmslev: Essais, Linguistiques, Ed De Minuit Paris, 1971. P38

[٣٤] ينظر: مبادئ اللسانيات البنيوية. دراسة تحليلية إبستمولوجية. الطيب دبة. مطبعة رويغي. الأغواط- الجزائر. ط٢. ٢٠١٩م. ص ٢٠١.

[٣٥] ينظر: المدارس اللسانية، مدرسة الجلوسيماتيك، لويس هيلمسليف. https://youtub.be/HL3D48FZMDI?si=ho2NquPRfBBdzOTF

[٣٦] ينظر: مداخل إلى اللسانيات المعاصرة. حسني خالد. مطبعة آنفو. فاس- المغرب. ص ٨٦.

[٣٧] ينظر: المحاضرة السادسة. مدرسة كوبنهاجن الدنماركية (هيلمسليف). تروش حسين. مدارس لسانية. السنة الثانية. السداسي الثاني. https://cte.univ-setif2.dz

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ومن هذا المنطلق عرض عز الدين المجدوب في المحور السابق سمات تطوير منوال الصوتم -عند هيلمسليف- وما لها من فضل في تعديل أقوال دي سوسير وتدقيق صياغة الفرضيات المتعلقة ببنية الألسنة البشرية. وتعيين مبدأ الثوابت على مستوى الدال والمدلول؛ محيلا إلى عمل (هيلمسليف)، بقوله: "ويمكن أن نقول إنه أمكنه أن يتجاوز آراء دي سوسير في العلامة اللغوية زيادة على استفادته من تروباتسكوي بفضل استناده إلى إطار إبيستمولوجي واضح". الأمر الذي جعل المجدوب يأخذ بآراء هيلمسليف التي تجاوزت دي سوسير[٣٨].

واعتمادا على اقتناع المجدوب بأفكار هيلمسليف الذي أعاد صياغة فرضيات عامة في بنية اللغة التي اشتهر بها دي سوسير، ميّز المجدوب بين الأسس الإبيستمولوجية التي ينطلق منها هيلمسليف -أي المنطلقات العلمية العامة، والفرضيات اللسانية التي أنشأها - وقال بإمكانية الفصل بينهما حتى يستطيع الباحث لاحقا أن يبني فرضيات أخرى على الرغم من استناده إلى الأسس الإبيستمولوجية نفسها، فالمجدوب لا يدعو إلى الالتزام بها، ولكنه يتبنى مقولاته الإبيستمولوجية؛ أي يتبنّى الأسس العلمية لكل بحث علمي موضوعي[٣٩].

يتضح جليا أن المجدوب قد تبنى رؤية هيلمسليف، ولعله من المفيد أن نؤكد على ما تميزت به إبستمولوجيا هيلمسليف اللسانية في محورين، هما: المحور الفلسفي المنطقي الذي يضم الأفكار الفلسفية والمنطقية، والمحور اللساني البنيوي الذي يضم أفكار دي سوسير اللسانية وأهمها اللغة لأنها نسق مجرد من العلامات، لتحليل اللغة تحليلا نسقيا مغلقا على ذاته[٤٠].

ويبقى التساؤل المطروح هو ما الجديد الذي قدمه كل من هيلمسليف والمجدوب في علم الابستمولوجيا ما دام أن جهود كل منهما تعدُ وكأنها نسخة مطابقة من ناحية الإبيستمولوجيا على الرغم أن اللسانيات ذات "نتاج تفكير فلسفي وأسس منهجية

---

[٣٨] ينظر: المنوال النحوي العربي. قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ط١. ص ٨٩-٩٠.
[٣٩] ينظر: المنوال النحوي العربي. قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ط١. ص٩٠-٩١.
[٤٠] ينظر: النظرية الغلوسيماتيكية وتجلياتها في الدرس اللساني العربي. مقاربة إبستمولوجية. ابن شماني محمد. ص ٧٩.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

صارمة".؟[٤١]

ولعل الجواب يكمن في أن المجدوب فضل آراء هيلمسليف؛ لأنها ذات منهجية ابستمولوجية يمكن اعتمادها في المنوال النحوي العربي لدراسة عناصره (الجملة، التركيب، النص، ...). فالمجدوب من هذا المنظور عالم لساني إبستمولوجي. بسبب تأثره بـ هيلمسليف، وعلى هذا الاعتبار فكلا العالمان متفقان في نظرتهما المنهجية، ويعود السبب في منظورنا إلى فضل علم الفلسفة وتأثيرها على علم اللسانيات[٤٢]، مع العلم أن المفهوم الإبستمولوجي للنظرية اللسانية البنيوية يرجع إلى (دي سوسير) الذي ترك تأثيرا عميقا في النظرية اللسانية الغلوسيماتية،[٤٣] وكذلك في ذهن الباحثين. وعلى هذا الاعتبار فقد خلصنا إلى أنّ اللسانيات منذ ظهرت كعلم قائم بذاته، وهي في تطور مستمر وتأثير ممتد عبر الزمن؛ إذ على المستو الغربي أو المستوى العربي.

٢. توظيف المجدوب أدوات التحليل التي اعتمدها هيلمسليف لصياغة فرضياته:

وبعد عرض رأي اعتماد المجدوب على فرضية إعادة الصياغة عند هيلمسليف، ننتقل لعرض فرضية أخرى من فرضيات هيلمسليف المتعلقة ببنية اللغة المتمثلة في: ١- نظام التعريفات، ٢- المبدأ الإبستمولوجي للتحليل، ٣- الشكل الذي سيكون عليه التحليل.[٤٤]

يشير المجدوب إلى أن هيلمسليف قد خصص الفصل الحادي عشر -من كتابه مداخل لنظرية اللغة- لأدوات التحليل التي اعتمدها في صياغة فرضياته،[٤٥] وهي كالآتي:

١- التعريفات والمصطلحات:

تميزت مدرسة الغلوسيماتيك بمجموعة من المصطلحات الجديدة، إضافة إلى إعادة

---

[٤١] السؤال الإبستمولوجي اللساني عند عبد السلام المسدي. حسين مهني. محمد مدور, جسور المعرفة. جامعة غرداية- الجزائر. مج١٠. ع٢. ٢٠٢٤م. ص ٢٥٦.

[٤٢] ينظر: المرجع نفسه. ص٢٥٥.

[٤٣] ينظر: النظرية الغلوسيماتيكية وتجلياتها في الدرس اللساني العربي- مقاربة إبستمولوجية. ابن شماني محمد. ص٢٠.

[٤٤] ينظر: المنوال النحوي العربي. قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ط١. ص٩٠-٩١.

[٤٥] ينظر: المرجع السابق. ص٩٢.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

استعمال بعض المفردات القديمة بحلة جديدة[٤٦]. فقد شهدت المفاهيم والمصطلحات الهيلمسليفية تغييرات كثيرة من عام ١٩٢٨م إلى عام ١٩٧٣م، ولم تكن التغييرات هامشية؛ بل كانت تمس في بعض الأحيان المفاهيم الأساسية في الخطاب الغلوسيمي، مثل البنية وثنائية التعبير والمضمون والدلالة/الوظيفة واللغة نفسها والسيمياء[٤٧].

ومن بين شروط هيلمسليف لنظرية اللغة التي ذكرها المجدوب؛ تدقيق المفاهيم التي تستعملها بهدف أن تكون منطلقاتها صريحة، وقد صرّح المجدوب بأن هيلمسليف تميّز بتدقيق (١٠٨) مصطلحا بحيث كون نظاما من التعريفات، وخير مثال على ذلك: إعادة تعريفه لمبدأ التجريبية الذي يعد أنموذجا من نظام التعريفات، فهيلمسليف - حسب تصريح المجدوب - لديه قسمان في نظام التعريفات؛ قسم يعيد تعريف مفاهيم سابقة، وقسم يوّلد مصطلحات جديدة. وقد تناول المجدوب مثالا على القسم الأول لهيلمسليف؛ تمثل في إعادة تعريف العلاقات السياقية/العلاقات الجدولية بصياغة (الحدثان/ والنظام). كما صرّح بأن الكثير من اللسانيين انتقدوا نظرية هيلمسليف إلا أنه لم يوافقهم؛ لأنه رأى أنّه من الصعب تصور نظرية من غير نظام للمصطلحات. وعلى هذا الأساس؛ فقد أكّد رفضه هذا من خلال قوله: "... ولعل دقة هذا الجانب الاصطلاحي تفسر قلة من تصدى لتقديمها مفصلة في المداخل الأعجمية إلى اللسانيات وفقدانه عند العرب"[٤٨].

يتضح جليا أنّ المجدوب قد أعجب أو تأثر بفرضية هيلمسليف لذلك تبناها وبعيدا عن هذا الإعجاب أشار (حسني خالد) إلى تدني نظرية مدرسة كوبنهاجن في الانتشار العلمي على الرغم من محاولاتها العلمية بسبب صعوبة نظام التعريفات والمصطلحات،[٤٩]كما صرّحت (شفيقة علوي) بأن (هيلمسليف) و(أولدال)، قاما بتطوير وتعقيد المصطلحات

---

[٤٦] ينظر: المحاضرة السادسة. مدرسة كوبنهاجن الدنماركية (هيلمسليف). تروش حسين. مدارس لسانية. السنة الثانية. https://cte.univ-setif2.dz

[٤٧] ينظر: مشروع نظرية اللغة عند هيلمسلاف ومشروعية الجبر الغلوسيمي. جمال بلعربي. كلية الآداب والفنون والإنسانيات. منوبة- الجزائر. ٢٠١٤م. ص٦٦.

[٤٨] ينظر: المنوال النحوي العربي. قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ط١. ص ٩٢-٩٣.

[٤٩] ينظر: مدخل إلى اللسانيات المعاصرة. حسني خالد. ص ٤٤.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

مع ندرة في شرح أفكارهم[٥٠].

والملاحظ أن هناك تباينا في الآراء السابقة بين مؤيد ومعارض، لكن يبقى التساؤل المطروح على أي حال دّعم المجدوب نظام التعريفات لـ هيلمسليف؟ وهي في الأصل مفاهيم دي سوسير هي التي وسعت الآفاق العلمية للسانيين، كما فتحت بابا جديدا لنظام التعريفات عند هيلمسليف.

عندما أعاد هيلمسليف صياغة مصطلحات دي سوسير (ثنائية الدال والمدلول، وثنائية اللغة والكلام، والعلاقات السياقية والجدولية، وغيرها) تبنى نظاما جديدا للمصطلحات استنادا إلى المفاهيم السوسيرية، وقد حاولنا الفصل بين عمل كل من دي سوسير وهيلمسليف، إلا أننا قد وجدنا بأنهما متماثلان علميا وما بينهما وهو مجرّد اختلافات بسيطة.

ومن هذا المنبر؛ نعد اللسانيات البنيوية منبع كل الدراسات اللسانية الحديثة؛ إذ أقامت عليها النظرية الغلوسيماتية أركانها؛ لذلك يعد هيلمسليف من أشد شراح دي سوسير وتعلقا به، وأكثرهم إحالة إليه في جميع مؤلفاته، وهو الأكثر تجريدا في نظره، بل كان مؤسسا على أرضية رسم دي سوسير حدودها[٥١].

ومن خلال تتبعي لآراء المجدوب حول تأثره بفرضيات هيلمسليف اللسانية، استنتجت أنها امتداد لفرضيات وثنائيات دي سوسير بلا منازع.

٢- مبدأ التحليل:

عندما ننظر في كتابات رواد مدرسة كوبنهاجن يظهر لنا مدى تأثر روادها بآراء دي سوسير، خاصة في مسألة الدراسة العلمية للغة، بالإضافة إلى اعتمادهم على منهج تحليل

---

[٥٠] محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة. شفيقة العلوي. أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع.ط١. ٢٠٠٤م. ص٢٥.

[٥١] ينظر: "ملخص نظرية اللغة" لهيلمسليف وإشكالية التحليل الغلوسيمي. جمال بلعربي. مجلة إشكالات في اللغة والأدب. مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية. مج١٢. ع٤. ٢٠٢٣م. ص٢٧٠.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

علمي دقيق،[٥٢] إذ "يعتمد هيلمسليف باستمرار في تطوير تصوره على دي سوسير الذي يعد أول من طالب بمقاربة بنيوية للغة، أي بوصف علمي للغة في مصطلحات العلاقة".[٥٣]

لذلك يتبع هيلمسليف فكرة دي سوسير في مسألة التحليل؛ لكن هيلمسليف لديه شرط وهو أن يكون التحليل مستنفدا للعناصر اللغوية.[٥٤] وبهذا الشأن يقول هيلمسليف: "لكي يكون التحليل مستنفدا، يجب أن ينظم بحيث نقوم بالتحليل في كل مرحلة، إلى الأجزاء التي هي ذات مدى أوسع، أي ذات الرقم المنخفض".[٥٥] يدل هذا القول على أن يستند التحليل (أي الكلام)، في نظر هيلمسليف، إلى مكونات المكونات، إلى أن يستنفد عملية التحليل، فيكون قد وصل إلى جزيئات لا تقبل مزيدا من التحليل.[٥٦] مثالنا على هذا:

أن منهج هيلمسليف هو منهج تحليلي استنباطي، أي يعتمد على الانتقال بالتحليل من الكل إلى الجزء عكس ما كان سائدا في الدراسات اللغوية من قبل، تلك التي اعتمدت على المنهجية الاستقرائية في الانتقال من الجزء إلى الكل.[٥٧] وعلى هذا الأساس وجدنا أن

---

[٥٢] ينظر: منهجية سوسير وأثرها في لسانيات كوبنهاجن. محمد ظاهر محمد. خالد حميد صبري. مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية. مج ٦١. ع ٤. الملحق ١. ٢٠٢٢م. ص ٤٣.

[٥٣] تاريخ علم اللغة الحديث. جرهارد هلبش. تر: سعيد حسن بحيري. مكتبة زهراء الشرق. القاهرة- مصر. ط١. ٢٠٠٣م. ص١١٥.

[٥٤] ينظر: منهجية سوسير وأثرها في لسانيات كوبنهاجن. محمد ظاهر محمد. خالد حميد صبري. ص ٤٣.

[٥٥] مداخل لنظرية اللغة. لويس هيلمسليف. تر: يوسف إسكندر. ص٨٦.

[٥٦] ينظر: مشروع نظرية اللغة عند هيلمسلاف ومشروعية الجبر الغلوسيمي. جمال بلعربي. ص ٦٣.

[٥٧] ينظر: دروس في المدارس اللسانية. أمال كعواش. كلية الآداب والحضارة الإسلامية. قسم اللغة العربية. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية. الجزائر. ٢٠١٩-٢٠٢٠م. ص ١٨.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

النظرية الغلوسيماتية تهدف إلى وصف الظواهر اللسانية وتقوم بتحليلها وتفسيرها بطريقة علمية ورياضية.[٥٨]

ولقد تناول المجدوب مبدأ التحليل عند هيلمسليف وأكّد على أن اللغة تنبني على مجموعة من العلاقات، ذكرها في قوله: "أما هيلمسليف فيتنكّب هذا الرأي ويعلن بقوة أن الأشياء ومختلف الكيانات المادية وما يوجد فيها من عناصر وأقسام لا توجد إلا بمقتضى ما يوجد بينها وبين أقسامها من علاقات مجردة".[٥٩] حيث إنّ موقف هيلمسليف منسجم مع المبادئ التي انطلق منها ولم يخالفها أثناء تحليلاته، كما لاحظ بأنّ قول هيلمسليف الذي "يبين أن نظرية اللغة ينبغي لها أن تعتمد مبدأً على قدر كبير من التجريد يكون أساسا للبحث حتى يكون التحليل مطابقا للمعطيات التي يباشرها؛ وهو يسمي كل ظاهرة أخضعها للتحليل سواء كانت ألسنة بشرية أو غيرها نصّا".[٦٠] وقريب من أقوال دي سوسير. يقول المجدوب:[٦١] "ولا نراه بعيدا من قول دي سوسير في فصل موضوع اللسانيات: "ونحن أبعد ما نكون عن القول بأن الشيء سابق لوجهة النظر، بل قد يبدو أن وجهة النظر هي التي تخلق الشيء"[٦٢]. ونلفت انتباه القارئ هنا إلى أن المقصود من قول هيلمسليف: إن العلاقات هي التي توجد الأشياء أي توجدها معرفيا، وهو التدقيق نفسه الذي يجب أن يضاف إلى قول دي سوسير. فيكون المقصود: "إن وجهة النظر هي التي تخلق الشيء [معرفيا]"[٦٣].

ولتأكيد رأي المجدوب حول انسجام فرضيات هيلمسليف مع فرضيات دي سوسير،

---

[٥٨] ينظر: مدرسة كوبنهاجن. حداد موسى. كلية الحقوق والعلوم السياسية. جيجل. الموسوعة العربية للدراسات الاستراتيجية والأمنية. ٢٠١٦م.

[٥٩] ينظر: المنوال النحوي العربي. قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ط١ . ص ٩٤.

[٦٠] ينظر: المرجع نفسه. ب. ص٩٣.

[٦١] المنوال النحوي العربي. قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ط١. ص٩٤.

[٦٢] ص٢٣ من C.L.G

[63] Amacker René Linguistique Sassurienne-Librairie Droz- Genève:Paris, 1975. P: 28.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أتى بالقولين السابقين لدي سوسير في هذا المحور لغاية تفسير رأي هيلمسليف. وذكر المجدوب بأن التحليل في نظر هيلمسليف يجزئ بنية اللغة إلى أشياء ليكتشف العلاقات التي تربط بين هذه الأشياء، ليجد أن ما يربطها هو السياق والعلاقات الجدولية[٦٤]. ثم عرض المجدوب مصطلحات هيلمسليف وهي الصنف، ومكونات الأشياء، ثم السلمية، وهنا يقصد هيلمسليف أن المركبات أصناف، والكلمات أصناف، والمقاطع أصناف، لذلك فهو يميز بين (الحدثان والنظام) وعلى هذا الاعتبار يكون هيلمسليف قد انفرد بمصطلحات خاصة به، مثل المقطع، والمركب، والجزء، والمكون، والفرد[٦٥].

مثال على ذلك: "سنشير بواسطة المشتقات إلى عدد من الفئات التي من خلالها تكون قائمة على فئتها المشتركة الدنيا. فإذا كان العدد صفرا، فتكون المشتقات من الدرجة الأولى؛ وإذا كان العدد واحدا فتكون المشتقات من الدرجة الثانية؛ وفي المثال الذي وضعناه آنفا، فإن مجاميع المقاطع حللت إلى مقاطع، وهذه إلى أجزاء المقاطع، ستكون المقاطع إذن مشتقة من الدرجة الأولى لمجموعات المقاطع، على أن أجزاء المقاطع ستكون مشتقات من الدرجة الأولى للمقاطع، ومشتقات من الدرجة الثانية لمجاميع المقاطع. فالمشتقات من الدرجة الأولى والمكون هما بالنتيجة مصطلحان متكافئان"[٦٦].

٣- توظيف المجدوب لفرضية الشروع في تقديم الغلوسيماتيك حول بنية اللغة:

وظّف المجدوب فرضيات هيلمسليف حول بينة اللغة وصرّح المجدوب بأن هيلمسليف يعتمد فرضيات دي سوسير، وكانت غايته مناقشة فرضيات دي سوسير وتعديلها حيث توصلت غايته إلى إعادة صياغة تلك الفرضيات، ومن تلك الفرضيات التي أعاد هيلمسليف صياغتها هي ما يلي:[٦٧]

٤- فرضية التعبير والمضمون:

تبنى العالم الدانماركي مقولات عالم جنيف، ولكنه أعاد صياغتها من ناحية، وأنشأ

---

[٦٤] ينظر: المنوال النحوي العربي. قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ص ٩٤-٩٥.
[٦٥] ينظر: المرجع نفسه. ص ٩٦-٩٧.
[٦٦] مداخل لنظرية اللغة. لويس هيلمسليف. تر: يوسف إسكندر. ص ٥٥.
[٦٧] المنوال النحوي العربي- قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ط١. ص٩٨.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

جهازا اصطلاحيا ثانيا من جهة أخرى. وبناء على ذلك اقترح هيلمسليف استبدال مصطلح الدال مصطلح التعبير واستبدال مصطلح المدلول بمصطلح المضمون إذ عناصر العلامة اللغوية تربطها علاقة تضامن يسميها هيلمسليف (الوظيفة السيميائية)[٦٨]. فالعلاقة بين التعبير والمضمون استمدها هيلمسليف من دي سوسير، وهي ألَّا يستغني أحدهما عن الآخر حيث قال: "إن العلاقة بين التعبير والمحتوى، أو الدال والمدلول تتجسد إذا فكرنا دون تعبير، فإن تفكيرنا في هذه الحالة لن يكون محتوى لسانيا، وإذا تكلمنا بدون تفكير بإنتاج أصوات لا معنى لها، فلن نحصل على تعبير لساني"[٦٩].

وعليه يندرج اهتمام المجدوب بـ(هيلمسليف) في سياق تبنيه للمبادئ الإبيستمولوجية التي تعود إليه، والتي يمكن أن يبني استنادا إليها منوالا نحويا عربيا، وكما ذكرنا من قبل لا تستدعي هذه المبادئ الإبيستمولوجية الفرضيات النظرية نفسها؛ بل يمكن بناء فرضيات أخرى وتأسيس منوال مختلف استنادا إلى أداة منهجية؛ هي تلك المبادئ التي تعود إلى هيلمسليف وإلى موضوع مختلف هو اللغة العربية. ولهذا السبب عرض المجدوب في صفحات طويلة قراءة هيلمسليف لدي سوسير. ومن إضافات هيلمسليف التي نالت إعجاب المجدوب هي التمييز بين شكل المضمون ومادة المضمون، إذ يقول: "إن هذا التمييز بين شكل المضمون ومادة المضمون هي من أهم ما أضافه هيلمسليف لنظرية العلامة عند دي سوسير وبناء عليه يمكن أن نقول إنه أضاف على مستوى المدلول ما سبق أنه أضافه تروباتسكوي على صعيد الدال"[٧٠]. "وأبرز مثال (لا أعلم) التي قارنها مع مختلف الألسنة الممكنة؛ وهي اللغة الدانماركية والإنجليزية، والفرنسية، والفلندية والإسكيمو؛ فهذه الألسن على الرغم من تباينها إلا أنها يجمعها جامع يجعلها تشترك فيما بينها، يقول موضحا ذلك: "إن هذه الألسنة على الرغم من كل اختلافاتها لها عامل مشترك هو الذي نسميه معنى واحدا، وهي تسمية الحدسية لما يحصل عند من قولي بأي لسان من هذه الألسن (لا أعلم)، إلا أنها تصوغ هذه التجربة البشرية وتحللها وتنظم وحداتها تنظيما يختلف من لسان إلى آخر. - مثال - ففي العربية

---

[٦٨] ينظر: وصف الألسنة وبنية العلامة عند هيلمسلاف شكل التعبير وشكل المضمون. جمال بلعربي. ص٣١٢.

[69] Hielmslev, Polégomènes á une théorie du langage. Ed. I'Hjarmattan, Paris 2002. p9

[٧٠] ينظر: المنوال النحوي العربي. قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ط١. ص ١٠٠-١٠١-١٠٢-١٠٣-١٠٤-١٠٥.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

لنا في بداية الملفوظ حرف نفي يليه فعل مضارع يدل تارة على الحاضر وتارة على المستقبل حسب المقام، ثم ضمير يدل على الفاعل مستكن في اللفظ ويقدره النحاة بعد الفعل ولا وجود لمفعول به. وفي الدانماركية نلفي في بداية الملفوظ ضميرا للمتكلم jeg يساوي أنا ويليه فعل مصرف في الزمن الحاضر من صيغة الإخبار ved (indicatif) وهي صيغة ليس لنا ما يقابلها في العربية. ويلي ذلك مفعول (det) يقابل تقريبا ضمير النصب دون أن نعلم إن كان هذا اللسان يميز مثل العربية بين ضمائر نصب متصلة وأخرى منفصلة أم لا. ويعقبه شيء يدل على النفي ikke تعودنا في العربية أن نبدأ به الكلام"[٧١].

ومما لا شك فيه هو أن حصر البنيويون تركيزهم على دراسة الشكل قبل هيلمسليف وأنهم لم يهتموا بالجانب المادي من العلامة اللغوية إلا إذا كان الجانب المادي معاونا للبنية الشكل، فالجانب المادي لا تتمثل قيمته إلا في التمييز بين المدلولات، وقد اعتمد هيلمسليف على دراسة الشكل ولعل الذي يميزه عن دي سوسير هو توسيعه لمفهوم الشكل في العلامة اللغوية ليشمل المدلول أيضا[٧٢]. "وقد استبدل هيلمسليف ثنائية الدال والمدلول بـ (التعبير والمحتوى) التي يخضع كل مستوى منها لثنائية الشكل والمادة"[٧٣].

٥- فرضية الصوتم:

تأثر علماء مدرسة براغ -ومنهم تروباتسكوي- بما جاء به دي سوسير من المفاهيم المتصلة بالفونيم، والتي تمثل القاعدة التي قامت عليها مبادئ مدرسة براغ؛ وفي الشأن نفسه برزت أعمال هؤلاء اللسانيين في ميدان الفونولوجيا؛ وأشهرها عمل تروباتسكوي (مبادئ الفونولوجيا)[٧٤]. إذن يتعلق الأمر في هذه الفرضية بعمل تروباتسكوي الصوتي لأنّه استحدث مفهوم الصوتم؛ إضافة إلى اهتمام هيلمسليف بمنوال الصوتم أعاد صياغة

---

[٧١] المرجع نفسه. ط١. ص ١٠٢.

[٧٢] ينظر: التصور البنيوي لمدلول الكلمة في الدلالة المعجمية. منجي العمري. منشور دروس في اللسانيات. ٢٠٢٠م. https://www.facbook.com

[٧٣] أثر لسانيات دي سوسير فيما تلاها من مناهج ونظريات. فوزية دندوقة. ندوة المخبر، اللسانيات: مائة عام من الممارسة. قسم الآداب واللغة العربية. كلية الآداب واللغات. محمد خيضر- بسكرة. ص٥.

[٧٤] ينظر: مبادئ اللسانيات البنيوية. دراسة تحليلية إبستمولوجية. الطيب دبة. ص١٧٨-١٧٩.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المنوال. كما أكّد المجدوب على أن الصياغة الجديدة لمنوال الصوتم عند هيلمسليف "مكنت من تعيين مبدأ يسمح باعتماد تعيين الثوابت على مستوى المدلول ... كما سمح بذلك منوال الصوتم -عند تروباتسكوي - على مستوى الدال"[٧٥].

أما الآن في هذه الفرضية فما فعله هيلمسليف هو طرد إجراءات تروباتسكوي في ميدان المدلول. أي تثبيت الصوتم عند هيلمسليف، وهو يقصد الاحتفاظ بالثوابت في التعبير الذي مضمونه تركيب الجملة. وقد تحدث المجدوب عن فرضية (طرد إجراءات تحديد الصوتم على الوحدات الدالة) عند هيلمسليف، وبما تميّز به العالم الدانماركي تحت هذا المحور كما يلي[٧٦]:

- الاحتفاظ بالثوابت وتمييزها عن المتغيرات.
- اهتمام هيلمسليف بمنوال الصوتم الذي اتخذهُ من مدرسة براغ.
- أهم إضافات هيلمسليف التي نالت إعجاب المجدوب هي (طرد إجراء الاستبدال) لما لها من فضل في تحديد الثوابت والمتغيرات بالنسبة إلى كل لسان، ولأنها تحمي الباحث من إسقاط بنية لسانه بصفة لا واعية على الألسنة التي يصفها: "وإذا حللت صعيد المضمون بدون اعتماد الاستبدال كنت في نهاية الأمر كمن يحلله دون أن يأخذ بعين الاعتبار علاقته بصعيد التعبير في اللغة. وهي علاقة تقتضيها الوظيفة السيميائية"[٧٧]. وقد اتضح إجراء الاستبدال عند النحاة العرب في اعتبارهم أنّ الفعل المضارع يصلح أكثر من غيره للوقوع موقع الاسم[٧٨].
- أما الإضافة الثانية فهي إقرار هيلمسليف بالمقياس التمييزي (الإفادة)، وهو تطوير لمبدأ القيمة عند دي سوسير، إضافة إلى الحذر المنهجي من المعنى. وخلاصة القول

---

[٧٥] ينظر: المنوال النحوي العربي. قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ط١. ص ٨٩.

[٧٦] المنوال النحوي العربي. قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ط١. ص ١٠٥- ١٠٦. ١٠٧.

[٧٧] الدلالات الموجهة لإعراب الفعل المضارع- صورة لتضامن التعبير والمضمون. منصور على عبد السميع. مجلة بحوث كلية الآداب. جامعة المنوفية. كلية الآداب- جامعة حلوان. ع٥١. ٢٠٠٢م. ص٥.

[٧٨] المرجع نفسه. ص٣١.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

هي أنّ المجدوب قد تبنى رؤية هيلمسليف التي طوّرت رؤية دي سوسير[٧٩].

- حديث المجدوب عن الصوتم/ "لقد كان لصياغة منوال الصوتم أبعاد إبستمولوجية كبيرة سمح خاصة بتعديل أقوال دي سوسير وتدقيق صياغة الفرضيات المتعلقة ببنية الألسنة بشكل متكامل يشمل وجهي العلامة اللغوية"[٨٠].
- حديث هيلمسليف عن الصوتم/ "يصادف الباحث اختلافا بين الثوابت والمتغيرات التابعة لصعيد التعبير عندما يجد بينها تعالقا يناسبه تعالقا آخر على صعيد المضمون (أي العلاقة إمّا وإمّا التي تختار بمقتضاها ضرورة بين مقداري المضمون اللذين تمثلهما "قال" و "سال" بحيث توجد علاقة بين التعالق الملاحظ على صعيد التعبير والتعالق الملاحظ على صعيد المضمون. إن هذه العلاقة هي نتيجة المباشرة للوظيفة السيميائية ولتضامن شكل التعبير وشكل المضمون[٨١].

أدركنا من خلال تفاصيل المحور السابق أن تلك الإضافات التي تناولها هيلمسليف جُلُّها مأخوذ من الدراسات البنيوية التي سبقته، إلا أنّه قد قام بتطويرها وفق مبادئه الإبستمولوجية؛ ولقد رأينا أنّ المجدوب قد تأثر بأفكار هيلمسليف اللسانية وبخاصة ثنائية (التعبير/المضمون)، و(الصوتم) و تتبع إجراءاته كما تبيّن لنا في المحور السابق فالطابع المنهجي موروث عن بعضهما؛ وقد رسّخ المجدوب معالم هيلمسليف اللسانية في ذهنه حيث تتبع هذه المعالم هنا وهناك، ولا يفوتنا أن ننوه بأن أعمال هيلمسليف هي جزء من أفكار دي سوسير، وأشهرها على الإطلاق المفهوم الصوري للغة والتحليل اللساني[٨٢].

٤- اعتماد المجدوب فرضيات هيلمسليف لتقييم المنوال النحوي العربي:

نشير في هذا المحور أنّ المجدوب في نهاية القسم قرر الاعتماد على فرضيات هيلمسليف حول بنية اللغة، وفضلها ذاكرا مبرراته للأخذ والاستناد قائلا: "بفضل استناده

---

[٧٩] ينظر: المنوال النحوي العربي. قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ط١. ص ١٠٦-١٠٧.

[٨٠] المرجع نفسه. ص٨٩.

[٨١] ص ٦٨ من P.T.L

[٨٢] ينظر: الدراسة اللغوية عند فرديناند دي سوسير. ساجية قوباع. نصيرة تيفرين. معهد اللغات والأدب العربي. قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة البويرة. الجزائر. ٢٠١٣-٢٠١٤م. ص٣١.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

إلى إطار إبستمولوجي ومعرفي واضح وإلى تصور دقيق لخصائص النظرية العلمية كان عالم جنيف يتفقده".[٨٣] لذلك رجح المجدوب فرضيات هيلمسليف وميّزها عن غيرها[٨٤] بسبب:

١- استنادها إلى خلفية معرفية جيدة توضح خصائص صياغة النظريات العلمية وما ميزها من ضدها.

٢- ثانيا أنّها تقوم بتفسير كل من أخطاء الأوروبيين القدامى[٨٥] على مستويي التعبير والمضمون. والإشكالات المعرفية التي أوقعت الأوروبيين فيها. وفي النهاية تتجاوز فرضيات هيلمسليف ما سبق؛ لأنها - حسب تفسير المجدوب - حاصلة على الكفاية الوصفية بالنسبة إلى كل منوال يعتمدها.

ومن البدهي أن يتبنى المجدوب فرضيات هيلمسليف ويؤسس عليها قراءته للمنوال النحوي العربي على صعيدي التعبير (أي الأصوات) والمضمون (أي التقطيع المزدوج)، وفي هاتين الصفحتين يذكر أهم المبادئ التي يبني عليها هذه القراءة؛ وهي:

- الحذر من استعمال مصطلح المعنى، لكونه مصطلحا عاما غير دقيق.
- الربط الوثيق بين التعبير والمضمون.

وعلى هذا الاعتبار؛ وجدنا أنّ منوال المجدوب يقوم على أربع مستويات:[٨٦]

- الجملة.
- أقسام الكلم.
- العلاقات بينها أي الوظائف النحوية (الفاعلية والمفعولية...).
- الوحدات الدنيا التي لا تقبل مزيدا من التحليل (الأصوات عامة).

ولعله من المفيد أن نؤكد على ذلك من خلال رأي (الطيب دبة) عندما أثنى على نظرية هيلمسليف؛ فهي تعد في نظره من أبرز الأعمال اللسانية التي قدمت خلال القرن

---

[٨٣] المنوال النحوي العربي. عز الدين المجدوب. ص٨٩.

[٨٤] المرجع نفسه. ص ١٠٨-١٠٩.

[٨٥] ومن أخطائهم وصفوا اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية بنظام اللاتينية والإغريقية. عز الدين المجدوب.

[٨٦] ينظر: المنوال النحوي العربي. عز الدين المجدوب. ص ١٠٩.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

العشرين عدة سمات؛ بحيث تميزت ببحث جاد، وجرأة علمية، وقراءة عميقة للمفاهيم السوسيرية وشرحها وتوسيعها. ويوصي الباحثين المهتمين في دراسة اللسانيات البنيوية على ضرورة قراءة أعمال هيلمسليف[٨٧]. كما أشار (جورج مونان) إلى أشهر إسهامات نظرية هيلمسليف وهي "دفع بعض اللغويين إلى التفكير في الأسس المنهجية لممارستهم العلمية"[٨٨].

فالتساؤل المطروح ما الغرض من عرض فرضيات وأسس دي سوسير في كتاب المنوال النحوي العربي والاعتماد الأول والأخير على فرضيات هيلمسليف؟

ولعلنا سنجيب على النحو التالي: إنّ اعتماد المجدوب على فرضيات هيلمسليف إنما يدّل على تثبيت الركن الأول للسانيات الحديثة ولا غنى عنه في الدراسات اللسانية، وهي (اللسانيات البنيوية) التي شكلت دورا هاما في الدراسات اللغوية والتي تدل على أنها منبع الدراسات اللسانية الأخرى ومنها اللسانيات الشكلانية حيث أثنى المجدوب على فرضيات هيلمسليف كونها تقوم على الكفاية الوصفية؛ وإذا تأملنا هذا الموقف جيدا نجد أن مبدأ الأصل هو الدراسات البنيوية التي تقوم على "نظام وصفي لا يستمد أحكامه وتقريراته إلا من نتائج ما يستقريه في واقع اللغة الاستعمالي من ظواهر وقوانين"[٨٩]، ونشير هنا إلى أنّ هيلمسليف لم يهتم بنقد مفاهيم دي سوسير بل ركز على فهمها بشكل جيد[٩٠].

"لقد شرع دي سوسير في معرض توضيحه لدالة العلامة، بالاهتمام بالتعبير والمحتوى كلا على حدة من دون الاهتمام بدالة العلامة"[٩١] لذلك عزم هيلمسليف على "إنّ التمييز بين التعبير والمحتوى وتفاعلهما في دالة العلامة أساسي في بنية أي لغة. فأي علامة، أي نظام من العلامات، أي نظام من المعبرات المرتبة لغرض العلامات، أي لغة، تضم بنفسها شكل تعبير وشكل محتوى"[٩٢].

---

[٨٧] ينظر: مبادئ اللسانيات البنيوية. دراسة تحليلية إبستمولوجية. الطيب دبة. ص٢٢٥-٢٢٦.

[٨٨] علم اللغة في القرن العشرين. جورج مونان. تر: نجيب غزاوي. مؤسسة الوحدة. سوريا. ص١٣٦.

[٨٩] مبادئ اللسانيات البنيوية- دراسة تحليلية إبستمولوجية. الطيب دبة. ص١١٥.

[٩٠] ينظر: قراءة هيلمسليف من سيمولوجيا دو سوسير إلى السيميائيات العرفانية. جمال بلعربي.٢٠٢٠م. ص ١٠.

[٩١] مداخل لنظرية اللغة. لويس هيلمسليف. تر: يوسف إسكندر. ص٧٤.

[٩٢] المرجع نفسه. ص٨٦.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المدارس الغربية التي اعتمدها عز الدين المجدوب:

من خلال قراءتنا لكتاب المنوال النحوي العربي؛ رأينا أنّ المجدوب يتحدث عن مبادئ وأسس عالمين غربيين هما: دي سوسير، وهيلمسليف، وهو في الأصل لم يستخدم مصطلح مدرسة جنيف، ولا مدرسة كوبنهاجن، بل اكتفى بذكر العالمين ومساهمتهما في الدرس اللساني الغربي. وهذا ما لاحظناه في الباب الثاني من القسم الأول من كتاب المنوال النحوي العربي.

وانطلاقا من قراءتنا وجدنا أنّ المجدوب قد اعتمد اعتمادا شبه كلي على فرضيات هيلمسليف وإن كانت مستمدة من دي سوسير؛ لذلك كانت البداية الأولى مع باب عنوناه: (الفرضيات والمنوالات) لأهميته الإبستمولوجية، ويضم هذا الباب محاور عديدة عرض فيها المجدوب قراءته لدراسة هيلمسليف مقدما إياه على محاور قراءته لدراسة دي سوسير، لأنه فضل عمل هيلمسليف على عمل دي سوسير اللساني من ناحية الإطار الإبستيمولوجي.

لذلك قرر المجدوب أن يعتمد على فرضيات هيلمسليف في قراءة النحو العربي المتمثلة في الأقسام النحوية التالية (قسم الجملة، قسم أقسام الكلم، قسم الوظائف النحوية) وهذا يدل على أن المدرسة التي اعتمد عليها المجدوب هي مدرسة كوبنهاجن، التي سنقدم عنها لمحة موجزة كالآتي:[٩٣]

- **مدرسة كوبنهاجن:**

تعد مدرسة كوبنهاجن من المدارس اللسانية الحديثة التي ظهرت في أوروبا في القرن العشرين[٩٤]، قد استمدت مبادئها من مدرسة جنيف وأغرقت في أغلب تفاصيلها، حيث بنيت مبادئها على يد العالمين الدانماركيين (فيجو بروندال، ولويس هيلمسليف). وهما رائدان من رواد اللسانيات البنيوية. ومؤسسي اللسانيات الفلسفية المنطقية؛ والذي يهمنا في هذا البحث هو تسليط الضوء على هيلمسليف الذي حاز على نظرية جديدة أسماها (الجلوسيمتك)، التي تعد من أبرز إسهاماته اللسانية. وجدير بالذكر أنّ هيلمسليف لم ينطلق من الفراغ ولا من ذاته؛ بل إنّه قد تأثر بمبادئ دي سوسير اللسانية، واعتمد عليها في دراساته اللسانية وبخاصة عندما ركز على المفاهيم السوسيرية؛ في حين أخرى

---

[٩٣] ينظر: المنوال النحوي العربي. عز الدين المجدوب. ص ٤٩- ١٠٩.

[٩٤] ينظر: اللسانيات النشأة والتطور.أحمد مؤمن. ديوان المطبوعات الجامعية. بن عكنون- الجزائر. ط٢. ٢٠٠٥م. ص١٥٧.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أعاد صياغة تلك المفاهيم وبسط قضاياها[٩٥]. وحتى تتضح الغايات والمقاصد أكثر؛ سنعرض أهم المبادئ اللسانية التي ميزت هيلمسليف عن دي سوسير وعن غيره من الباحثين اللسانيين الغرب وهي كالآتي:

أولا- مبادئ هيلمسليف اللسانية الخاصة:[٩٦]

أ- **مبدأ التجريبية:**

صاغ هيلمسليف مبدأ تجريبيا ليقيس الكفاية الوصفية للنظريات اللسانية عموما ونظرية الغلوسيماتيك بشكل خاص، ويتكون هذا المبدأ في نظره من ثلاثة مفاهيم تعد ضرورية في كل وصف لساني، وهي عدم التناقض، والشمولية، والبساطة. وبهذا تكون الكفاية الوصفية للنظرية اللسانية مرهونة باجتماع المفاهيم الثلاثة، وقد تميزت الكفاية الوصفية في نظره بدرجة عالية من دقة الوصف لموضوعها؛ بحيث يكون الوصف غير متناقض، وشامل، وبسيط أيضا[٩٧]. قائلا: "إننا نشترط على سبيل المثال من النظرية اللغوية بأن تسمح بوصف غير متناقض وشمولي"[٩٨]. وقد تفطن المجدوب إلى أهمية هذا المبدأ لأنّه يدقق ويوضح علة ترتيب تلك الشروط[٩٩] إضافة إلى أنّه يمكن إسقاطها على قراءة التراث النحوي العربي.

ب- **مبدأ الإحكام والملاءمة:**

وضع هيلمسليف في نظريته (الغلوسيماتيك) خاصيتين أساسيتين هما:

الإحكام والملاءمة، فالأول ورد في محاضرات دي سوسير بمعنى الاعتباطية، وعنده بمعنى الإحكام، لهذا فرض هيلمسليف شرطين منطقيين؛ وهو ألّا تكون النظرية بكامل قوامها إلا إذا خضعت لمعيار الإحكام. وأيضا ألّا تكون النظرية ناجحة إلا أن

---

[٩٥] ينظر: مبادئ اللسانيات البنيوية- دراسة تحليلية إبستمولوجية. الطيب دبة. ص٢٠٠. ٢٠١. ٢٠٢.

[٩٦] ينظر: المحاضرة السادسة: مدرسة كوبنهاجن الدنماركية (هيلمسليف). تروش حسين. مدارس لسانية. السنة الثانية.https://cat.univ-setif2.d

[٩٧] ينظر: النظرية الغلوسيماتيكية وتجلياتها في الدرس اللساني العربي. ابن شماني محمد. ص١١٠.

[98] L. Hielmslev . prolégomènes. p19.

[٩٩] ينظر: النظرية الغلوسيماتيكية وتجلياتها في الدرس اللساني العربي. ابن شماني محمد. ص ١٨٣.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

تكون ملاءمة أي أن تحقق شروط التطبيق على عدد كبير من المعطيات[١٠٠].

ثانيا ـ اعتماد هيلمسليف على المفاهيم اللسانية السوسيرية:

لم يكتف هيلمسليف بشرح مفاهيم دي سوسير فقط؛ بل قام ببسط مفاهيمه ودققها ليصل إلى غايته؛ وهي صياغة نظرية بنيوية لسانية صارمة ذات توجه منطقي رياضي بحت[١٠١]. إذ كل دراسة علمية تبني رؤيتها الجديدة من خلال الدراسات السابقة لها؛ لتنتج منهجا جديدا قائما بذاته، وهذا ما حدث عند هيلمسليف وغيره من الباحثين.

ثالثا ـ أنشأ هيلمسليف مسارا لسانيا قائما بذاته مختلفا عن غيره:

أحيا هيلمسليف من الدراسات اللسانية السابقة المفاهيم اللغوية القديمة الموجودة في علم المنطق والفلسفة[١٠٢]. وتأكيدا على ذلك فقد صرّح المجدوب بأن التمييز الإبستمولوجي ـ الفرضيات والمنوالات ـ "قد استفاد منه حتى الفلاسفة والمختصون في فلسفة العلوم ونشروها في كتبهم ومصنفاتهم"[١٠٣] ولذلك أعاد هيلمسليف إحياءها وأدخلها في علم اللسانيات.

رابعا ـ أسس دراساته اللسانية على مبادئ منطقية رياضية:

حرص هيلمسليف على بناء دراساته اللسانية على أسس إبستمولوجية صارمة؛ لأنّه تأثر بالمنطق الرياضي والمنهج العلمي[١٠٤]، والحقيقة إن دراسة هيلمسليف اللسانية قامت بالاعتماد على علمين هما علم اللسانيات البنيوية، وعلم المنطق والفلسفة. لينشأ علم جديد قائم بذاته هو الجلوسيماتيك.

خامسا ـ قامت النظرية الغلوسيماتية بوصف الظواهر اللسانية وتحليلها وتفسيرها بطريقة علمية ورياضية منطقية[١٠٥]: وبهذا الشأن يقول هيلمسليف: "إنها تهدف إلى إرساء منهج إجرائي، يمكن من فهم كل النصوص من خلال الوصف المنسجم والشامل

---

[١٠٠] اللسانيات النشأة والتطور. أحمد مؤمن. ص ١٦٤.

[١٠١] ينظر: مبادئ اللسانيات البنيوية- دراسة تحليلية إبستمولوجية. الطيب دبة. ص٢٠٢.

[١٠٢] ينظر: المرجع نفسه. ص٢٠٥.

[١٠٣] المنوال النحوي العربي. عز الدين المجدوب. ص ٤٩.

[١٠٤] ينظر: المحاضرة السادسة: مدرسة كوبنهاجن الدنماركية (هيلمسليف). تروش حسين. مدارس لسانية. السنة الثانية. https://cat.univ-setif2.dz

[١٠٥] ينظر: المحاضرة السادسة: مدرسة كوبنهاجن الدنماركية (هيلمسليف). تروش حسين. مدارس لسانية. السنة الثانية. https://cat.univ-setif2.dz

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

من خلال إحصاء كل إمكانيات التأليف بين عناصر اللغة الثابتة"[١٠٦].

من خلال القول السابق نزعم بأن هيلمسليف قد ارتكز على المنهج الإجرائي لدي سوسير وقام بدراسته ووسعه بشكل أكبر من خلال الاستناد على طرف آخر وهو دراسة المفاهيم السوسيرية بطريقة علمية ورياضية.

سادسا ـ اعتمد على الطريقة الاستنباطية:

فعندما ننظر إلى أقوال هيلمسليف يتبين لنا بأنه يميل إلى توظيف المنهج الاستنباطي؛ وهذا ما اكتشفناه في كتاباته اللسانية، حيث جعل الاستنباط مقابلا للاستقراء[١٠٧]. قائلا: "نستطيع تعريف هذا المنهج بإيجاز، باعتباره معبرا من الفئة إلى الأجزاء، وليس مثل المنهج الاستقرائي، إنه الحركة التي تحلل وتعين وليست الحركة التي تركب وتعمم، إنه عكس المنهج الاستقرائي كما تعرفه اللسانيات التقليدية"[١٠٨]. وعلى هذا الاعتبار نرى أن هيلمسليف لا ينكر الطريقة الاستقرائية بل يفضل عليها الطريقة الاستنباطية ويعتمدها في دراسته للغة لفائدتها العلمية، وقد تبعه تشومسكي في هذا المنهج؛ إذ يعد أحد الداعين إلى بناء نظرية لسانية تقوم على الطريقة الاستنباطية[١٠٩].

سابعا- اقترح هيلمسليف مجموعة جديدة من المصطلحات:

دقق بها نظرية العلامة اللغوية، ومن المصطلحات التي عوض بها مصطلحات دي سوسير. (الدال= التعبير)، (المدلول/المضمون)، (مادة الدال= مادة التعبير)، (مادة المدلول= مادة المضمون)[١١٠]، حيث إنّ مصطلحات هيلمسليف هي في الأساس عائدة إلى مفاهيم دي سوسير ومصطلحاته (الدال والمدلول).

وبعد هذا العرض البسيط لمبادئ ومنهج هيلمسليف؛ تدعونا طبيعة البحث إلى تناول

---

[١٠٦] اللسانيات النشأة والتطور. أحمد مؤمن. ص١٥٩-١٦٠.

[١٠٧] ينظر: النظرية الغلوسيماتيكية وتجلياتها في الدرس اللساني العربي. ابن شماني محمد. ص٩٤.

[108] L. Hielmslev . prolégomènes. P22.

[١٠٩] ينظر: النظرية الغلوسيماتيكية وتجلياتها في الدرس اللساني العربي. ابن شماني محمد.. ص ٩٧

[١١٠] ينظر: مفاهيم دلالية ولسانية لوصف العربية. عز الدين المجدوب. قسم اللغة العربية وآدابها-كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية. جامعة القصيم. بريدة.١٤٤٠هـ. ص ٨٧.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أهم أعماله التي نسخها عن دي سوسير ثم قام بتطويرها.

١.أهم أعمال هيلمسليف اللسانية التي اتخذها من أفكار دي سوسير:

لاحظنا فيما سبق؛ أنّ هيلمسليف قد استعار ثنائيات دي سوسير، وبخاصة (الدال والمدلول) ليقابلهما (التعبير والمضمون). إلّا أنّه قد رغب في إعادة صياغة المفاهيم السوسيرية فتعمق فيها وفق ما تتطلبه المبادئ الإبيستمولوجية[١١١]. فكانت كالتالي:

١- موضوع الدراسة اللسانية عند هيلمسليف: اللغة شكل وليست مادة.

نجد أن موضوع علم اللسانيات عند هيلمسليف ينظر إلى اللغة على أنها شكل وليست مادة، وقد صرح بأن جميع اللغات تشترك في أنها تعبر عن محتوى، وما دامت اللغة (بنية) و(شكلا) و(نظاما) فريدا قائما بذاته، فقد استدعى ذلك أن توضع لتحليلها كنظرية صورية رياضية تصدق على جميع اللغات[١١٢]؛ يقول هيلمسليف: "لقد صرّح دي سوسير بعبارة واضحة بأن اللسان شكل وليس مادة، وهذا عموما يتطابق مع وجهات نظره العامة"[١١٣].

نفهم من هذا القول؛ أنّ هيلمسليف يكمل مالم يستطع دي سوسير عمله، أو لم يسعفه العمر كي يشرح أكثر نظريته اللسانية التي مهدت لهيلمسليف وغيره من اللغويين اللاحقين.

٢-استبدال ثنائية الدال والمدلول بمصطلح ثنائية التعبير والمضمون:

قام هيلمسليف بتطوير نظرية العلامة اللغوية عند دي سوسير بحيث وضحها، وأعاد صياغتها بمصطلحات خاصة به، وكانت بداية تطويره أن انطلق من مسلمتي دي سوسير:

[إن اللسان توليف بين مادة الأفكار ومادة الأصوات، وإن ذلك التوليف شكل لا مادة]. واستنتج هيلمسليف من الجمع بين المسلمتين لازمة منطقية، فكانت إضافته اللسانية الجديدة هي: أن يتكون الدال من مادة وشكل، ويتكون المدلول من مادة وشكل، مقراً أنّه لا

---

[١١١] ينظر: الأسس الإبيستمولوجية للنظرية اللسانية. محمد محمد العمري. دار أسامة للنشر. عمّان-الأردن. ط١. ٢٠١٢م. ص ١٠١.

[١١٢] ينظر: مدخل إلى اللسانيات المعاصرة. حسني خالد. مطبعة آنفو - برانت. الليدو - فاس. المغرب. ص٤٤.

[١١٣] L. Hielmslev: Essais. p38.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

يمكن بناء وصف لغوي بالاعتماد على مادتي التعبير والمضمون بشكل منفصل، بل يجب أن يكون الاعتماد على ترابطهما الأمر الذي أدى إلى ميلاد الوظيفة السيميائية[١١٤].

٣-ضبط ثنائية اللغة والكلام:

عندما قرأ هيلمسليف ثنائيات دي سوسير وجد مشكلة أثارت انتباهه وأصبح في حيرة من أمره؛ وهي محاولة التعرف على نوع الوظيفة في ثنائية (اللغة/ الكلام)، فقرر بعد ذلك إجراء تحليل علمي دقيق يمس المفاهيم ويقود إلى كل طرف في الثنائية، حيث دخّل معان مختلفة إلى كل طرف، لأن هذه الثنائية في نظره يمسها شيء من الغموض؛ وهو عدم معرفة الحدود التلقائية الدقيقة بين الطرفين، ولعله هو العامل المساهم في إحداث كل الصعوبات[١١٥]؛ وبناء على ذلك أكد الباحث (الطيب دبة) على إسهام هيلمسليف في ضبط الثنائية (اللغة/الكلام) بهدف الكشف عن العلاقة الوظيفية بينهما[١١٦] لذلك أضاف هيلمسليف بعض المصطلحات الخاصة به: المخطط، المعيار والاستعمال. وأما الكلام فقد سماه هيلمسليف بالاستعمال الفردي للغة؛ وهو يساوي الكلام عند دي سوسير. قائلا: "إن هذه الميزات التي قمنا بتوضيحها يتمثل فضلها في كونها تبصرنا بالعلاقات الممكنة بين اللغة والكلام بالمفهوم السوسيري، ونحن نعتقد أنه في مقدرونا نسيان هذه العلاقات التي لا يمكنها أن تحدد دفعة واحدة، وأن اللغة، واللغة المعيار واللغة الاستعمال، لا تعمل بالطريقة ذاتها في مواجهة الفعل الفردي الذي هو الكلام"[١١٧].

٤-التحليل اللساني لهيلمسليف:

وانطلاقا من الرغبة في إعادة صياغة مصطلحات دي سوسير؛ سلك هيلمسليف طريقة دي سوسير في مسألة التحليل اللغوي، لكنه اشترط أن يكون التحليل مستنفدا للعناصر اللغوية[١١٨]، إذ يقوم تحليله على تحليل وتقطيع النص اللغوي إلى مكونات المكونات، إلى أن يصبح من غير ممكن استمرار التحليل دون الخروج عن مجال اللغة،

---

[١١٤] ينظر: العودة إلى سوسير. حافظ إسماعيل علوي. وآخرون. بحث: تطور نظرية العلامة اللغوية بعد دي سوسير. عزالدين المجدوب. ص٦٢.

[١١٥] ينظر: سوسير ولسانيات الكلام-هل كان يدرك؟. نعيمة سعدية. ندوة المختبر. قسم الآداب واللغة العربية. كلية الآداب واللغات. محمد خيضر- بسكرة. ص١٢.

[١١٦] الطيب دبة. ص٢١٢.

[117] L. Hielmslev, Essais, p80-81.

[١١٨] منهجية سوسير وأثرها في لسانيات كوبنهاجن. محمد ظاهر محمد. ص١٣٤٣.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وكانت غاية هيلمسليف من التحليل هي استخراج وجرد وتصنيف العلاقات القائمة بينها من جهة، وبينها وبين مجمل النسق من جهة أخرى... فالعلم اللساني في نظر هيلمسليف هو علم العلاقات وليس علم الجزيئات؛ وبناء عليه؛ يتضح أن علم اللغة عنده هو علم للغة في حد ذاتها، وهو علم للشكل كما أسس لذلك دي سوسير[١١٩].

ويطلق الغلوسيماتيك على الأشكال الصغرى التي حصرها التحليل، على أنها ثوابت لا تقبل التجزئة على مستويي التعبير والمضمون، وإذا قمنا بتطبيق مفاهيم هذه المدرسة، فإننا نجد أنها لا تختلف كثيرا عن مفاهيم سوسير إلا على مستوى التأكيد على الوظيفة التركيبية للوحدات[١٢٠].

وكان رأي المجدوب في ذلك هو "إن المبدأ الأساسي للتحليل ضمن الواقعية الساذجة الذي يحدد كيفية مطابقة المعطيات للنظرية، يجعل التحليل مجرد تجزئة شيء ما إلى أقسام هي بدورها أشياء أو كيانات مادية. ثم تقطع هذه الأشياء التي حصلنا عليها بعد عملية التجزئة الأولى إلى أقسام بدورها أشياء من حجم آخر"[١٢١].

ويبدو من خلال ما ذكرنا؛ أنّ المجدوب لمّا اطلع على كل ما أتى به دي سوسير وكل ما أتى به هيلمسليف وبعد المفاضلة التي أجراها بينهما؛ اقتنع بتحليل هيلمسليف وتلك الإضافات التي أضافها هيلمسليف لذلك وجدتاه قد مال للاعتماد على مبادئ هيلمسليف وهو مقتنع بأنها امتداد الصياغة لنظرية دي سوسير مع شيء من إعادة.

- **اعتماد المجدوب على مبادئ مدرسة هيلمسليف في المنوال النحوي العربي:**

تميز المجدوب بأعماله اللسانية الشهيرة لذلك وقف على مباحث لسانية تطرق إليها هيلمسليف ولم يتوقف عندها غيره من اللسانيين العرب، وقد رأى بأن التراث النحوي العربي ليس له إشكال أن يتخذ الطريقة الغلوسيماتية؛ ويؤكد لنا بأن تطوير التراث ومحاورته ودراسته بعمق ووعي لا طريق له إلا عن طريق الفصل بين الفرضيات والمنوالات على الصيغة الهيلمسليفية، وكما رأى أنّ تلك الدراسة هي شرط علمي وإبستمولوجي لدراسة النحو العربي ولأنّ لا أحد -من منظور الباحث- لم يقدم دراسة نقدية للنحو العربي؛ فقد تكفل المجدوب هو بنفسه بهذه المهمة معتمد على نظرية وأفكار

---

[١١٩] ينظر: "ملخص نظرية اللغة" لهيلمسليف وإشكالية التحليل الغلوسيمي. جمال بلعربي. ص ٢٧٣.

[١٢٠] ينظر: مدخل إلى اللسانيات المعاصرة. حسني خالد. ص٤٤.

[١٢١] المنوال النحوي العربي. عز الدين المجدوب. ص ٩٤.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

هيلمسليف بدل دي سوسير؛ لأنه أهمل دراسة المضمون واهتم باللغة كشكل فقط [١٢٢].
ومن أشهر مبادئ هيلمسليف التي طبقها المجدوب في الأقسام النحوية العربية هي:

(أ) تضامن التعبير والمضمون:

عرض المجدوب في القسم الأول خاصة الباب الثاني - الفرضيات والمنوالات - تفاصيل حول عناصر العلامة اللغوية عند هيلمسليف، إلا أنه تميّز بعرضه لأنه أتى بمقولة صاحبها كما هي[١٢٣]، أما في الأقسام النحوية -قسم الجملة، فقسم أقسام الكلم، ثم قسم الوظائف النحوية- ليطبق نظرية تضامن التعبير والمضمون على النحو العربي، وتتمثل هذه التقسيمات على الشكل الآتي:

(ب) مراعاة النحاة العرب لتضامن التعبير والمضمون في قسم الجملة:

شاهدنا في هذا القسم -بالتحديد المحور العاشر- بأن المجدوب أعاد صياغة مآخذ المحدثين على النحاة القدامى، مستندا إلى النموذج النظري الذي تبناه من نظرية هيلمسليف: ليثبت بأنّ العرب القدامى قد راعوا تضامن التعبير والمضمون؛ عكس ما تم ادعاؤه من قبل النحاة المحدثين، في قوله: "وضمن مقاربة أولى، نقول إنّ بعض المعطيات التي أوردناها للاستدلال على تبلور إجراءات تقطيع النص عند النحاة العرب تدل على أن القدماء راعوا تضامن التعبير والمضمون"[١٢٤] وقد أشار في هذا الصدد إلى بعض من النماذج النحوية منها ما هو[١٢٥]. واضح بالتحديد في محور - **إجراءات تقطيع النص شاهد أول على مراعاة القدماء للوظيفة السيميائية عند منوالهم** - حينما جمع شواهد نحوية عربية ليثبت للمحدثين بأن النحاة العرب من خلال تقطيعهم للنص اللغوي راعوا تضامن التعبير والمضمون[١٢٦]، ومنها شاهد من كتاب مغني اللبيب لابن هشام[١٢٧] وهو:

---

[١٢٢] ينظر: النظرية الغلوسيماتيكية وتجلياتها في الدرس اللساني العربي. ابن شماني محمد. ص١٧٩-١٨٠.

[١٢٣] ينظر: النظرية الغلوسيماتيكية وتجلياتها في الدرس اللساني العربي. ابن شماني محمد. ص١٩٤.

[١٢٤] المنوال النحوي العربي. عز الدين المجدوب. ط١. ص١٦٨.

[١٢٥] المنوال النحوي العربي" لعز الدين المجدوب. نقدُ نقدِ االمحدثين للنحاة القدامى. صابر حباشة. https://saberhabacha.tripod.com

[١٢٦] المنوال النحوي العربي- قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ص ١٦٨-١٦٩.

[١٢٧] المرجع نفسه. ص١٦٩.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

عَلَى الحكِمَ الـمَأتِي يَوْماً إِذَا قَضَى قَضِيّتَهُ أنْ لاَ يَـجُورَ وَيَقْصِدُ

قـائلا "فقـد وضـح القـدماء أنـه يتعـين القطـع بـين الفعلـين أن/ لا يجـور/ و/ يقصـد/ بالمخالفة بينهما في اللفظ وعدم الإشراك بينهما في النصب حتى لا ينتقض المعنى ويؤول إلى الإحالة وفي هذا مراعاة للوظيفة السيميائية"[١٢٨].

ففـرض المجـدوب رأيـه علـى أن الشـاهد السـابق، "قـد تبـدو مراعيـة للتضـامن بـين التعبير والمضمون في هذه الشواهد واضـحة وجليـة لا لـبس فيهـا؛ لأن التغيـر فـي التعبيـر يؤدي إلى تغير كلي للمعنى المقامي المحصل أو إلى نقضه وهو كذلك، وقد يبدو أن هذه هي الصورة الوحيدة لمراعاة تضامن التعبير والمضمون"[١٢٩].

ثم ذكر شواهد أخرى تراعـي تضـامن التعبيـر والمضـمون "دون أن تقتـرن ضـرورة بتغير في المعنى المقامي المحصل" ومنها ما أورده سيبويه في باب اشتراك الفعل فـي أن وانقطاع الآخر من الأول الذي عمل فيه أن:

"فـالحروف التـي تشـرك: الـواة والفـاء وثـم وأوْ: وذلـك قولـك: أريـد أن تـأتيني ثـم تحـدثني... ولـو قلـت أريـد أن تـأتيني ثـم تحـدثني جـاز كأنـك قلـت: أريـد إتيانـك ثـمّ تحدثني"[١٣٠].

(ج) مراعاة النحاة العرب لتضامن التعبير والمضمون في قسم أقسام الكلم:

عرض المجدوب في القسم الثالث - أقسام الكلم - وهو نقد للمحدثين للتقسيم الثلاثـي للكلم[١٣١]، ثم ترجم أقوال المحدثين وفق الإطـار النظـري الـذي اعتمـد عليـه، وكـان هدفـه فحص مدى مطابقة أقسام الكلم عند المحدثين لمعطيات اللغة العربية [١٣٢]، وبعد ذلك "خلص المجدوب إلى استنتاج أن أهم أقوال المحدثين تذهب إلى اعتبار التقسيم الثلاثـي لا يلائم شكل المضمون للسان العربي، لأن حدود النحاة القدامى المعتمدة في التقسيم الثلاثـي لم تكن حدودا جامعة مانعة، ولأن المحدثين قد ابتكروا أصنافا أخرى أقرب إلى شكل

[١٢٨] المنوال النحوي العربي- قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ص١٦٩.
[١٢٩] المرجع نفسه. ص ١٧٠.
[١٣٠] المرجع نفسه.
[١٣١] المرجع نفسه. ص١٨١- ٢٠٤.
[١٣٢] المرجع نفسه. ص ١٧٧.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المضمون في اللسان العربي فيما يرى الباحث"[١٣٣].

فكان ردّ المجدوب عليهم هو أن المصادر التي اعتمد عليها المحدثون هي مصادر نحوية تعليمية وليست من أمهات الكتب النحوية الأصيلة، وأن الحدود التي استعملها هي حدود نجمت عن تأثر النحو العربي بالمنطق اليوناني، وأن حجج المحدثين سبقهم إليهم القدماء[١٣٤].

(ت) أعاد المجدوب صياغة أقوال المحدثين إلى فرضيات هيلمسليف:

وجد المجدوب إشكالا منهجيا وهو **اختلاف عبد الرحمن أيوب وتمام حسان في الإجراءات الكفيلة بتحديد أقسام الكلم تحديدا يلائم المضمون**، ومكن هذا الاختلاف هو "أن عبد الرحمن أيوب يدعو إلى إقامة التبويب بناء على ما سماه بالخصائص الشكلية، وسماه القدماء الخصائص والعزوف عن التعريف بالمعنى؛ ويقصد بذلك حدود الاسم والفعل والحرف. أما تمام حسان فيدعو إجرائيا إلى مراعاة ما سماه المبنى والمعنى؛ ويدعو إلى تضامنهما[١٣٥]". وبناء على كل من دعوة عبد الرحمن أيوب، وتمام حسان، نجد أنّ المجدوب قد خطّأهما؛ لأنهما انحرفا عن تبويب النحاة العرب لأقسام الكلم؛ لذلك وجد أنّ الحلّ هو اعتماد فرضيات هيلمسليف، قائلا: "ليس لنا من حل لرفع هذا الإشكال إلا أن نرجع هذين الموقفين إلى فرضيات هيلمسليف ونقلبهما من جديد في ضوئها ونترجمها على مقتضياتها حتى نعرف أكثرهما تماشيا مع منطلقاتنا سيميائية[١٣٦] فوضع شواهد نحوية تدل على مراعاة القدامى لتضامن التعبير والمضمون، نذكر بعضها:[١٣٧]

أ- نص الرضي:*[١٣٨] الذي قال في شرحه للمعنى المفرد: "المعنى الذي لا يدل لفظه على جزئه، سواء كان لذلك المعنى جزء، نحو: معنى (ضرب) الدال على المصدر والزمان، أو لا جزء له كمعنى: ضرب، نصر، فالمعنى المركب على هذا هو الذي

---

[١٣٣] المنوال النحوي العربي" لعز الدين المجدوب. نقدُ نقدِ االمحدثين للنحاة القدامى. صابر حباشة. https://saberhabacha.tripod.com

[١٣٤] المنوال النحوي العربي- قراءة لسانية جديدة. عز الدين المجدوب. ص ٢١١-٢١٨.

[١٣٥] المرجع نفسه. ص٢٢٠.

[١٣٦] قراءة معاصرة لقضايا في التراث اللغوي والأدبي والبلاغي. جامعة القصيم. بحث مفاهيم النحو العربي في ميزان مكتسبات النظرية اللسانية. عز الدين المجدوب. ص٢٩٠.

[١٣٧] المنوال النحوي العربي. عز الدين المجدوب. ص٢٨٢-٢٨٣-٢٨٤.

[١٣٨] نجم الدين محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، عالم نحوي عربي. من أهل استراباذ. اشتهر بكتابيه (الوافية في شرح الكافية، لابن الحاجب) و(شرح مقدمة ابن الحاجب) المسماة بالشافية في علم الصرف، ت (٦٨٦هـ).

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

يدل جزء لفظه على جزئه... واللفظ المفرد لا يدل جزؤه على جزء معناه"[١٣٩].

ب- نص ابن يعيش:*[١٤٠] عندما قال: "الكلمة هي اللفظة الدالة على معنى"[١٤١]. وذكر بأن لفظ (زيد) دال على مسمى، ولو أفردت حرفا منه لم يدل على معنى. وأما ضربوا فإن كل جزء دال فيها على كلمة مستقلة، فالفعل كلمة، والواو كلمة؛ لأنها تفيد المسند إليه وأما إذا سمينا بهذا اللفظ المركب شخصا كـ (عبدالله)، أو غيره صار كلمة واحدة تدل على معنى مفرد[١٤٢].

ولعل المغزى من إيراد المجدوب لهذه الشواهد هو أنها تعد من الشواهد الرئيسة التي تدل على مراعاة القدماء لتلاحم صعيدي التعبير والمضمون عند تحليلهم للنصوص النحوية، ووعيهم بخطورة الاتكاء على جانب المعنى وحده دون اللفظ؛ لأن ذلك سيوقعهم في مزالق مادة المضمون وتضليلها[١٤٣].

أتى المجدوب بالاستدلال الثاني على نجاعة القدماء في تمييزهم بين تغير حركات الإعراب وتغير حركات البناء؛ إذ إن القول بأن الإعراب هو الاختلاف الحاصل في آخر الكلمة بسبب اختلاف العوامل هو الشرط الثاني والثالث من شروط عبد القاهر الجرجاني[١٤٤].

وبناء على تأثر المجدوب كثيرا "بثنائية التعبير والمضمون وترجمة تغير علامات الإعراب بشبكة مصطلحات هيلمسليف"[١٤٥]، فقد قال: "هذا القيد يميز تغير الكلم من

---

[١٣٩] شرح الكافية، الرضي الدين الاستراباذي. من عمل يوسف حسن عمر. ج١. جامعة بنغازي. ١٩٧٣م. ص٢٢.

[١٤٠] أبو البقاء موفق الدين، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، ويعرف بابن الصائغ، الأسدي، الموصلي، عالم نحوي عربي. من أشهر كتبه: شرح المفصل، وكتاب شرح التصريف الملوكي، وكتاب تفسير المنتهى من بيان إعراب القرآن. توفي سنة (٦٤٣هـ).

[١٤١] شرح المفصل، لابن يعيش. ج١. عالم الكتب. بيروت. بد: ط. بد: ت. ص١٨-١٩.

[١٤٢] ينظر: المرجع نفسه. ص١٨-١٩.

[١٤٣] ينظر: تجديد المنوال اللساني. فدوى العذاري. بحث التطور التفسيري للعلامة الإعرابية في العربية: عز الدين المجدوب أنموذجا. معاذ الدخيل. ص ٢٨٢.

[١٤٤] ينظر: المنوال النحوي العربي. عز الدين المجدوب. ط١. ص ٢٨٨.

[١٤٥] ينظر: تجديد المنوال اللساني. فدوى العذاري. بحث التطور التفسيري للعلامة الإعرابية في العربية: عز الدين المجدوب أنموذجا. معاذ الدخيل. ص٢٨٢.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

حيث هو عنصر من عناصر صعيد المضمون، تحيط به القوانين الميسرة لائتلاف ثوابت صعيد المضمون حسب مستويات التركيب، وتغير أواخر الكلم من جهة أخرى بوصفها عناصر تابعة لصعيد التعبير تحيط بها القوانين الميسرة لائتلاف عناصره من حروف وحركات وأنواع مقاطع، فهي قوانين تبط التوليفات الممكنة، والتوليفات الممتنعة حسب شكل التعبير الخاص باللسان العربي"[١٤٦].

ومن الآراء التي خالفت موقف المجدوب السابق رأي الباحث (معاذ الدخيّل) في مسألة (حركات البناء تابعة لصعيد التعبير)، حيث يتمثل رأي الباحث في أن حركات البناء لا تكون حاملة لدلالة تختص بصعيد المضمون بالمعنى الواسع، ونقصد تعليل حركات البناء في الأسماء المبنية وفي بعض حالات الفعل التي تحمل دلالات تفسيرية تبيّن مدى رسوخ الكلمة في قسم الكلم الذي تنتمي إليه، فتكون الأسماء المبنية على السكون أكثر رسوخا في الحرفية من الأسماء المبنية على الحركة، كما أنّ بناء الفعل الماضي على الحركة وبناء فعل الأمر على السكون له صلة بموقع هذين الفعلين من مقولتي الاسم والحرف. وتكون الحركة بهذا التفسير ذات مضمون صرفي يحدد موقع الكلمة بين أقسام الكلم الثلاثة[١٤٧]. والحقيقة نجد بأن المجدوب باحث لساني يدعم منهج هيلمسليف إبستمولوجيا ولسانيا، ليخرج بدراسة علمية لسانية لم يأت بها أحد من قبله؛ وهو دحض التجريبية عند قراءة التراث النحوي العربي. وقد فاز بها وتميز عن غيره من الباحثين العرب بقراءة لسانية جديدة خالية من النقص المنهجي.

ومن الآراء التي تؤكد على نجاعة المجدوب في إخراج الدرس النحوي العربي من النقص المنهجي؛ رأي (ابن شماني) الذي عدّ بأنّ كتاب المنوال النحوي العربي" فريدا في بابه المقارنة مع الكتابات اللسانية العربية التي تلقت الغلوسيماتيك، فقد انتهج فيه صاحبه طريقا إبستمولوجيا وعلميا في عرض نظرية هيلمسليف ومقاربتها؛ لذا لم يكن يشبه ما تقدم من الكتابات اللسانية التي وقفنا عليها"[١٤٨].

وخلاصة ما سبق ذكره، يتضح جليا أن المجدوب قد انفرد بعمل نحوي لساني جديد وهو مقاربة التراث النحوي العربي بالدراسات اللغوية الغربية من خلال اعتماده على

---

[١٤٦] المنوال النحوي العربي. عز الدين المجدوب. ص ٢٨٩.

[١٤٧] ينظر: تجديد المنوال اللساني. فدوى العذاري. بحث التطور التفسيري للعلامة الإعرابية في العربية: عز الدين المجدوب أنموذجا. معاذ الدخيل. ص٢٨٣.

[١٤٨] النظرية الغلوسيماتيكية وتجلياتها في الدرس اللساني العربي- مقاربة إبستمولوجية. ابن شماني محمد. ص١٧٨.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

مبدأين مهمين هما: قراءة التراث العربي الأصيل، والإطار النظري المتكامل الذي حظي به أحد علماء اللسانيات - هيلمسليف - لتصحيح أقوال المحدثين العرب عند قراءتهم لتراث لقياس نسبة تأثرهم في التراث العربي، فقد قام المجدوب بتطوير نظرية النحو العربي من خلال الاعتماد على المبدأين السابقين ولكن لم يطبقها ميدانيا في مراحل التعليم بل بقيت مجرد بحوث يقرؤها المتخصصون وطلاب العلم. كما أثبت من خلال مسيرته النحوية اللسانية بأن الركن الثابت والمعتمد هو التراث النحوي العربي القديم وعلماؤه الأجلاء، ثم بيّن أن المحدثين العرب من خلال تطورهم المعرفي قاموا بتفكيك ما هو محفوظ لغويا ونحويا، لذلك سار المجدوب على خطى النحاة العرب القدامى بمبادئهم وضوابطهم النحوية فالشاهد على ذلك استدلالته النحوية في كتابه المنوال النحوي العربي؛ إضافة إلى ميوله في الدراسات اللسانية للبحث عن ما يماثلها في التراث النحوي العربي.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

قائمة المصادر والمراجع:

العربية والمترجمة:

- أحمد مؤمن : اللسانيات :النشأة والتطور.ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون - الجزائر، ط ٢، ٢٠٠٥..
- أمال كعواش. دروس في المدارس اللسانية. كلية الآداب والحضارة الإسلامية. قسم اللغة العربية. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية. الجزائر. ٢٠١٩-٢٠٢٠م.
- جرهارد هلبش، تاريخ علم اللغة الحديث، ت: سعيد حسن بحيري. مكتبة زهراء الشرق. القاهرة- مصر. ط١. ٢٠٠٣م.
- جمال بلعربي. قراءة هيلمسليف من سيمولوجيا دو سوسير إلى السيميائيات العرفانية. ٢٠٢٠م.
- جمال بلعربي. مشروع نظرية اللغة عند هيلمسلاف ومشروعية الجبر الغلوسيمي. كلية الآداب والفنون والإنسانيات. منوبة- الجزائر. ٢٠١٤م.
- جمال بلعربي. ملخص نظرية اللغة" لهيلمسليف وإشكالية التحليل الغلوسيمي. مجلة إشكالات في اللغة والأدب. مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية. مج١٢. ع٤. ٢٠٢٣م.
- جمال بلعربي.وصف الألسنة وبنية العلامة عند هيلمسلاف شكل التعبير وشكل المضمون.
- جورج مونان: علم اللغة في القرن العشرين. جورج مونان. تر: نجيب غزاوي. مؤسسة الوحدة. سوريا.
- حافظ إسماعيل علوي: العودة إلى سوسير. وآخرون. بحث: تطور نظرية العلامة اللغوية بعد دي سوسير.
- حداد موسى. مدرسة كوبنهاجن. كلية الحقوق والعلوم السياسية. جيجل. الموسوعة العربية للدراسات الاستراتيجية والأمنية. ٢٠١٦م.
- حسني خالد: مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، مطبعة آنفو- فاس، المغرب، دون تاريخ.
- حسين مهني، محمد مدور: السؤال الإبستمولوجي اللساني عند عبد السلام المسدي، جسور المعرفة. جامعة غرداية- الجزائر. مج١٠. ع٢. ٢٠٢٤م.
- ساجية قوباع. نصيرة تيفرين. : الدراسة اللغوية عند فرديناند دي سوسير. معهد اللغات والأدب العربي. قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة البويرة. الجزائر. ٢٠١٣-٢٠١٤م.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

- شفيقة العلوي. محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع.ط١. ٢٠٠٤م.
- ابن شماني محمد: النظرية الغلوسيماتيكية وتجلياتها في الدرس اللساني العربي :مقاربة إبستمولوجية. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة جيلالي ليابس – سيدي بلعباس، ٢٠١٥.
- ابن الصائغ: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.
- الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، دراسة تحليلية إبستمولوجية، ط٢، مطبعة رويغي، الأغواط - الجزائر، ٢٠١٩.
- عز الدين المجدوب:مفاهيم دلالية ولسانية لوصف العربية، جامعة القصيم، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها، بريدة، ١٤٤٠هـ.
- عز الدين المجدوب: المنوال النحوي العربي. قراءة لسانية جديدة، ط، ١، دار محمد على الحامي للنشر،١٩٩٨م.
- فدوى العذاري: تجديد المنوال اللساني. بحوث محكمة
- فوزية دندوقة: أثر لسانيات دي سوسير فيما تلاها من مناهج ونظريات. ندوة المخبر، اللسانيات: مائة عام من الممارسة. قسم الآداب واللغة العربية. كلية الآداب واللغات. محمد خيضر- بسكرة.
- لويس هيلمسليف، مداخل لنظرية اللغة: ت: يوسف إسكندر، الناشر جامعة الكوفة، سلسلة دراسات فكرية، بيروت- لبنان. ط١. ٢٠١٨م.
- محمد ظاهر محمد: خالد حميد صبري. منهجية سوسير وأثرها في لسانيات كوبنهاجن. مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية. مج ٦١. ع ٤. الملحق ١. ٢٠٢٢م.
- محمد محمد العمري: الأسس الإبيستمولوجية للنظرية اللسانية، دار أسامة للنشر، عمّان، الأردن، ط١، ٢٠١٢.
- منجي العمري: التصور البنيوي لمدلول الكلمة في الدلالة المعجمية ".منشور ضمن:دروس في اللسانيات ٢٠٢٠.
- منصور على عبد السميع: الدلالات الموجهة لإعراب الفعل المضارع- صورة لتضامن التعبير والمضمون. مجلة بحوث كلية الآداب. جامعة المنوفية. كلية الآداب- جامعة حلوان. ع٥١. ٢٠٠٢م.
- نجم الدين محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي: شرح الكافية، تحقيق يوسف حسن عمر،

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ج ١، منشورات جامعة بنغازي، ١٩٧٣.
- نعيمة سعدية: سوسير ولسانيات الكلام – هل كان يدرك؟ "ندوة المختبر، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر- بسكرة.
- ابن يعيش.شرح المفصل، ج١. عالم الكتب. بيروت. د: ط. د: ت.

ثانيًا: المراجع الأجنبية

- Amacker René Linguistique Sassurienne- Librairie Droz -Genève: Paris, 1975.
- Hjelmslev, Louis Essais: linguistiques, Éditions de Minuit, Paris, 1971.
- Hjelmslev, Louis .Prolégomènes à une théorie du langage. Éditions de l'Harmattan, Paris, 2002.
- Helbich, Gerhard. *Geschichte der Sprachwissenschaft im 20. Jahrhundert*. Translated by Said Hassan Bahiri, Maktabat Zahra' al-Sharq, Cairo, 2003.
- Monin, Georges. *La Linguistique au XXe siècle*. Translated by Najib Ghazzawi, Mu'assasat al-Wahda, Syria.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الأفعال التأثيرية في ديوان
أبي الفضل محمد بن عيسى بن صالح الحارثي

"Perlocutionary Acts in the Diwan of
Abu al-Fadl Muhammad ibn Isa ibn Salih al-Harthi"

إعداد

د. محمد بن سالم بن محمد الجامودي

Dr. Mohammed bin Salem bin Mohammed Al-Jamudi

أستاذ لسانيات مساعد، ـ جامعة الشرقية ـ (سلطنة عمان)

Doi: 10.21608/mdad.2025.445272

استلام البحث	٢٤ / ٥ / ٢٠٢٥
قبول النشر	٣٠ / ٦ / ٢٠٢٥

الجامودي، محمد بن سالم بن محمد (٢٠٢٥). الأفعال التأثيرية في ديوان أبي الفضل محمد بن عيسى بن صالح الحارثي. ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٩ (٣٠)،٨٥-١٠٢.

http://mdad.journals.ekb.eg

ISSN : *2537-0847* eISSN : *2537-0898*

الأفعال التأثيرية في ديوان أبي الفضل محمد بن عيسى بن صالح الحارثي

الملخص:

يتناول هذا البحث الأفعال التأثيرية، الواردة في (ديوان أبي الفضل) للشيخ محمد بن عيسى بن صالح الحارثي، ويهدف إلى الإجابة على عدد من التساؤلات العلمية، أهمها:

١- ما مدى حضور الفعل التأثيري في قصائد الديوان؟

٢- ما هي أصناف الأفعال الكلامية التي جاء عليها الفعل التأثيري.

٣- ما الأغراض الشعرية التي برز فيها الفعل التأثيري؟

٤- ما هي صور الفعل التأثيري التي وظفها الشيخ في قصائده للتأثير في المتلقي؟

وقد ابتدأ البحث بالتعريف بالفعل التأثيري- كونه أحد أعمدة نظرية أفعال الكلام - ضمن المدرسة التداولية التي تدرس المعطى اللغوي في سياقه الاستعمالي. ثم الشروع في تحليل عينة ممثلة من قصائد الديوان للوقوف على: نوع الفعل التأثيري، غرض الفعل التأثيري، أسلوب الفعل التأثيري وصوره، وواسم القوة في المحمول اللغوي.

وبعد تحليل العينة البحثية من الديوان، وُجِدَ أن الفعل التأثيري كان حاضرًا في قصائده، وكان أكثر بروزًا في قصائد المطارحات الشعرية بين الشاعر وأقرانه من الشعراء، والعلماء، وأقاربه. وجاء الفعل التأثيري، من صنف (الإخباريات) و(التوجيهيات)؛ أكثر من بقية أصناف الفعل الكلامي، كما توصل البحث إلى أن الشيخ قد أتى بصنف (التعبيريات) في صورة فعل كلامي إخباري؛ ليزيد من مستوى التلطيف، والتأثير، ونجاح المقصد من الفعل التأثيري.

ولم يرد الفعلان الكلاميان من النوع: (الإعلانيات)؛ إذ إن الشاعر كان أقرب إلى المصلح منه إلى المشرّع. ونوع: (الإلزاميات)؛ ويبدو أن مكانة الشيخ الدينية والاجتماعية، وثقة الناس به؛ أغنت عن التزامه، وأقرت كلامه. وتفتح نتائج هذه الورقة البحثية لدراسة مستقبلية في أفعال الكلام غير المباشرة في هذا الديوان.

الكلمات المفتاحية: الفعل التأثيري/ أفعال الكلام/ التداولية/ أبي الفضل الحارثي.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

Abstract:

This research addresses a fundamental principle, found in the Diwan of Abu al-Fadl by Sheikh Muhammad bin Issa bin Saleh al-Harthi. It aims to answer several questions, the most important of which are:

1- To what extent is psychological influence present in the poems of the collection?
2- What are the types of speech from which the influential material comes?
3- What is the poetic theme in which the abstract is prominent?
4- What are the influential images that the Sheikh employed in his poems to influence the recipient?

The research began with a definition of harm one of the readings of sentence concepts within the educational school that studies linguistic data in its therapeutic concepts. It then proceeded to analyze the representative representations of the poems in the collection to identify: the type of effective influence, the effective beneficiary, the effect of influence and its forms, and the sign of power in the mobile phone.

After analyzing the research sample from the collection, it was found that psychological influence was present in the poems and was most prominent in the poems of debates between the poet and his fellow poets, scholars, and relatives. The effective results, from the category of "informatives" and "directives," provided more than enough linguistic sentence elements. The research also concluded that the Sheikh had used the category of "expressives," in the form of a speech act that he wanted you to achieve, to increase the subtle level, influence, and success of the goal from the targeted level. The two decisions were not rejected from the category of "declaratives," as the poet was quicker to approach the reformer than the legislator. The category of "obligations" emphasized the possibility of the Sheikh's social and personal status, and the people's trust in him, which made his promise unnecessary and confirmed his words. The results of this study open the way for future study into the unrecovered rules of speech in this collection.

Keywords :illocutionary verb - speech acts - pragmatics -Abu al-Fadl al-Harithi.

ISSN : ***2537-0847*** **eISSN :** ***2537-0898***

المقدمة:

لقد تبنَّى عدد من علماء الفلسفة التحليلية، دراسة اللغة الطبيعية، المستعملة في حياتنا اليومية؛ ومن جهودهم وأبحاثهم في هذا المجال انبثقت التّداوليّة التي عُنيت بدراسة العلاقة بين اللغة ومستعمِليها، والتي كان من أبرز أعلامها العالم والفيلسوف اللغوي "جون أوستين" ، الذي أدخل مفهوماً أصبح محوريًا في التداوليّة فيما بعد، وهو ما عُرف بأفعال الكلام، والذي بلوره في نظريّة حددت، المفاهيم، والمصطلحات، وآليات المعالجة، وظهرت في كتابه " نظرية أفعال الكلام العامّة ، كيف ننجز الأشياء بالكلام؟"، وقد رأى في كتابه هذا أن اللغة ليس لها وظيفة وصفيّة فحسب، بل إنّ لها وظيفةً عمليّةً ، تسعى من خلالها إلى إنجاز أفعال في الواقع ، كما رأى إنَّ إحداث التّلفظ هو إنجازٌ لفعلٍ، وإنشاءٌ لحدث[١]. و" إن الاعتقاد بأن الكلام ما هو إلا حدث قوليّ وتجنب طابع «الفعليّة» فيه؛ فيه مجانبة للصّواب، وينطوي على إضعافٍ ضمني لأهميّة اللغة في حياتنا"[٢]. ذلك أنّه لا يمكن أن تكون اللغة مجرد محاكاة بسيطة للعالم؛ بل هي أيضاً اقتحام فيه[٣].

فهي تدرس: "كل ما يعود، في معنى العبارة، إلى المقام الذي استخدمت فيه العبارة، وليس فقط إلى البنية اللسانية للجملة المستخدمة "[٤]، بل تتعدّى ذلك، إلى جوانب أخرى ذات علاقة مباشرة وغير مباشرة بالسياق.

ومن خلال التقعيد، والتأصيل لنظرية أفعال الكلام العامة؛ نجد أن أبرز علمائها قد بيّنوا أنه عند التلفظ بالكلام، فنحن بالضرورة نحقق ثلاثة أفعال في آنٍ واحد، وهي: فعل التلفظ، وفعل الإنجاز (المضمن في القول)، والفعل التأثيري؛ الذي نحققه بواسطة قولنا شيئًا ما[٥]. والمتتبع للدراسات والمباحث التطبيقية في هذا المجال؛ يجد أن معظمها

---

[١]- جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامّة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، (١٩٩١)، ص١٧.

[٢]- محمد محمد يونس علي، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى (نحو بناء نظريّة المسالك والغايات)، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط ١، ٢٠١٦، ص ١١٤.

[٣]- ينظر، جان جاك لوسركل، عنف اللغة، ترجمة: محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦، ص ١١٢.

[٤]- أوزوالد ديكرو- جان ماري شافّار، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة / منذر عياشي، جامعة البحرين ، ٢٠٠٣ ، صـ١٧٥ .

[٥]- جاك موشلر- آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداوليّة، ترجمة (مجموعة من الأساتذة والباحثين)، إشراف/ عز الدين المجدوب، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠، صـ٦٥.

[٦]- أبي الفضل، محمد بن عيسى بن صالح الحارثي، ديوان أبي الفضل، مسقط، سلطنة عمان: مكتبة الضامري، ط١، ١٩٩٥، المقدمة.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ينصَبُّ في دراسة الفعل الإنجازي، وتأتي هذه الورقة متناولة الفعل التأثيري.

واختيار الديوان ليكون مدونة لهذه الورقة البحثية هو من باب الاهتمام بالشعراء العمانيين ودواوينهم، والتطبيق العملي للنظريات اللغوية الحديثة، في النّص الأدبي العماني، وسبر أغواره، وفتح نوافذ البحث فيه.

أولًا: التّعريف بالشاعر:

هو الشيخ محمد بن عيسى بن صالح الحارثي، شاعر وأديب عمانيّ، ولد في بلدة القابل، في شرقية عمان، كان على علم بالأدب وفنونه، وعلى معرفة بتأريخ العرب. تتلمذ على يد والده الشيخ عيسى بن صالح الحارثي، وعبدالله بن غابش الحبشي، وعبدالله بن حميد السالمي، وكان مولعًا بالخيل، وفنون الفروسية، سافر إلى أفريقيا، وبمبي. أصبح مرجعًا في أمور الإصلاح بعد وفاة والده، فقام بالأمر خير قيام، توفي في عام ١٣٤٥هـ وعمره خمسون عاما [٦].

ثانيًا: التّعريف بالديوان:

وسم الديوان في غلافه بـ: **ديوان أبي الفضل**، تأليف الشيخ محمد بن عيسى بن صالح الحارثي، وورد في نهاية الديوان، ما نصه" هذا كتاب أقراط درر البيان في تشنيف المسامع والآذان يحتوي منظومات الشيخ الأمير الفصيح محمد بن عيسى الحارثي"[٧]، ولم أجد ضبطا لهذا الأمر في مقدمة الديوان.

يشتمل الديوان على مجموعة من القصائد توزعت بين: قصائد للشاعر خاصة، ومطارحات بينه وبين أقرانه من شعراء عصره، وأسئلة في اللغة والفقه صيغة في قالب شعري. كما توزعت أغراض الديون بين المدح، والوصف، والرثاء.

ثالثا: الفعل التأثيري:

مصطلح الفعل التأثيري (Perlocutionary Act)، يستعمل في نظرية الفعل القولي (أوستين)؛ ليصف التلفظ الذي يحدث تأثيرًا في أفعال المستمع وأفكاره ومشاعره[٨] ، وكان رأى (أوستن)، أنه لكي نتلفظ بشي ما، فنحن نحقق بالضرورة ثلاثة أفعال [٩]:

---

[٧]- السابق، ص ٤٦٨.

[٨]- برونوين ماتن، و فليزيتاس رينجهام، معجم مصطلحات السميوطيقا، ترجمة عابد خزندار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة ١، ٢٠٠٨، ص ١٤٧.

[٩]- ينظر، جاك موشلر - آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، صـ٦٤-٦٥.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أ- فعل التصويت؛ ومفاده إنتاج بعض الأصوات.
ب- فعل الصياغة؛ ومفاده إنتاج بعض الألفاظ في تركيب معين وتنظيم معين.
ج- فعل التبليغ؛ ومفاده استعمال بعض التراكيب بدلالة معيّنة وهذه الدلالة تتكون من معنى مكوّنات التركيب المستعمل وإحالتها.

وبما أن هذه الأفعال نأتي بها عند أيّ إنتاج لغوي ذي دلالة؛ اقترح (أوستن) تمييزًا آخر:

أ- فعل التلفظ، الذي نحققه حين نتلفظ بشيء ما.
ب- الفعل المتضمن في الملفوظ، وهو الذي نحققه في تلفظنا بشيء ما؛ لنحقق غرضًا أو ننجز فعلاً.
ج- فعل التأثير بالملفوظ، الذي نحققه بواسطة قولنا شيئًا ما.

وعدّل (سيرل) هذه الأفعال وجعلها أربعة أصناف [١٠] :

أ- فعل إلقاء الملفوظ: وهو يقوم على التلفّظ بالكلمات والجمل.
ب- الفعلان القضويان: الإحالة والحمل.
ج- الأفعال المتضمنة في الملفوظ.
د- فعل التأثير بالملفوظ.

ومما يظهر أن العناية بالفعل التأثيري، والاهتمام به، كان واردًا منذ البدايات الأولى لنشأة التداولية، ففي تقسيم شارل. موريس (Charles w. Morris) (١٩٣٨)، الثلاثي الذي كان يميّز في تطوّر كلّ لغة (شكليّة كانت أو طبيعية)، بين ثلاثة ميادين، وهي:

(١) التركيبية وتهم علاقات العلامات بالعلامات الأخرى.
(٢) الدّلالة وتدرس علاقاتها بالواقع.
(٣) التداولية وتهتمّ بعلاقات العلامات بمستعمليها واستعمالها وآثارها [١١]

فهو يربط - عند تعريفه للتداولية - بين استعمال اللغة، وتأثيرها في المتلقي، أو المخاطَب.

ولإنتاج فعل تأثيري؛ لا بد من الاعتماد هنا إلى فعل القول، والفعل الإنجازي المضمن في القول؛ إذ الفعلان لهما دور في إيجاد الآثار في الخارج[١٢] ، متمثلا في الفعل

١٠- المرجع السابق، صـ٦٧-٦٨.

١١- باتريك شارودو- ودمينك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة/ عبدالقادر المهري، وحمّادي صمّود؛ المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠٠٨، صـ٤٤٢.

١٢- ينظر، محمد الشّيباني، من قضايا تصنيف الأعمال اللغوية (مشروع قراءة)، مكتبة علاء الدين، تونس، ط١، ٢٠١٥، ص ١٣٢.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

التأثيري، عليه فالفعلان - فعل القول، والفعل المضمن في القول- وضعيان، مرتبطان بالمعطى اللغوي، بينما الفعل التأثيري؛ غير وضعي، يتلمس في الخارج، بالاستناد إلى معطيات النّص، وسياقه، وهنا مكمن الصعوبة، والطرافة ؛ إذ واسم الفعل الإنجازي غير مصرح به، و" لا نجد أفعالًا مصدّرة بفعل إنشائي صريح – تمكّن وضعيًا من انتاج عمل تأثير بالقول- على نحو يجعلها إنجازًا لعمل الإقناع والتّخويف وغيرها من الآثار التي تُرصد في مشاعر الغير وأفعاله ومعتقداته"[١٣]. والأمر في هذا البحث أقرب إلى نظريات الدّلالة الطبيعية؛ التي تفهم الدّلالة من منظور نفسي سلوكيّ، انطلاقًا من علل إنتاجه عند القائل، والآثار المعيّنة في الخارج لدى المخاطَب [١٤].

ويمكن إيضاح الفعل التأثيري، وموقع تموضعه، في الفعل الكلامي، من خلال الخطاطة الآتية:

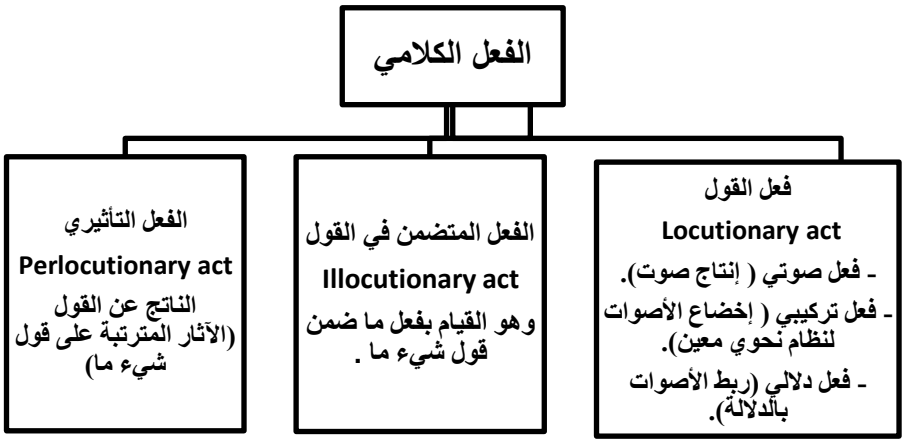

ولربط التحليل الآتي في قصائد الديوان بالفعل الكلامي التأثيري؛ لابد من حصول (جدية العبارة)؛ والتي ذكرها أوستين؛ في بيانه أن الصورة الخارجية للتلفظ بالعبارة، إنما تهدف إلى وصف وقوع الحدث الباطني وصفًا إنجازيًا، صحيحًا كان ذلك الوصف أم خاطئًا [١٥] . ويهدف هذا البحثي - مما يرمي إليه - إلى وصف معضّدات تحقق جدِّية العبارة، ونجاحها، في سياق المعطى اللغوي، ومعززات المقام؛ المتجلّية في القصائد،

[١٣]- المرجع السابق، ص١٣٤.

[١٤]- ينظر، المرجع السابق، ص١٤٩.

[١٥]- جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، صـ ١٩-٢٠.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الحاملة للفعل الكلامي؛ القائم على مقصد تأثيري في المخاطَب أو المتلقي.

رابعا: دور السياق [١٦] في إبراز الفعل التأثيري:

لقد تمكّنت النّظريات التّداولية من إرساء قواعدها وتطوير آلياتها وفق مبادئ عامة تراعي تضافر العلاقة، بين ما هو داخلي في اللغة، وما هو خارجي عنها، وذلك بتوظيف مفهوم جديد للسياق، يرتبط بالعوامل الخارجيّة التي تتحكم في عمليات التخاطب[١٧]، وقد كان لهذا المفهوم دورٌ مهمٌ في إبراز دلالة الأقوال ومعانيها [١٨]، واستعمل مصطلح (المقام - situation) للملابسات غير اللغوية (من خارج اللغة)، التي يتحقق فيها التّلفظ ممثلا في "الإطار المكاني والزماني ، والظروف الاجتماعية والسياسيّة والثقافيّة وغيرها، التي تحف بالأقوال فضلا عن القائلين والمخاطَبين، وما يحدد هويتهم ورؤيتهم للعالم وما حصل لديهم من معارف لغوية وغيرها، وتجارب، وما سبق القول من أقوال وأحداث "[١٩]. فـ «موشلار وريبول» قد جعلا المقام بمعنى السياق في المفهوم الأول، وعني بالسياق هنا الجوار اللغوي. ويرى حماسة أن السياق اللغوي هو تراصف الجمل بعضها مع بعض في نصٍ معين. وهو ما يؤدي إلى وجود سياق معيّن للنص. وأما ما يقال من السياق الثقافي، أو معرفة العالَم أو الأشياء التي تكون محيطة بالنّص من خارج النّص اللغوي، فإنها تكون متضمّنة في النص اللغوي بطريق ما؛ لأن معرفتنا بالعالَم تشكل جزءًا من النّظريّة النّحويّة، ومعرفتنا بالسياق الثّقافي الذي يكون محيطًا بنا

١٦- ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً وسياقاً (ابن منظور، اللسان، مادة: س و ق)؛ أي حثها للسير، وموجها إيّاها لوجهة معلومة.

١٧- ينظر، عبد السّلام عشير، عندما نتواصل نغيّر (مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليات التّواصل والحجاج)، أفريقيا الشّرق، المغرب، د.ط، ٢٠٠٦، ص ٢٥.

١٨- لقد استعمل مفهوم (السياق) في التراث العربي لدى كل من اللغويين والبلاغيين والمفسرين استعمالات مختلفة وقابلة للتباين ، فمنهم من استعمله للدّلالة على السياق اللغوي ، ومنهم من قصد به المقام أو الموقف ، ومنهم من استعمله للدلالة على المفهومين وأطلق عليهما (سياق النّص)، و(سياق الموقف) .ومنهم من استعمله مرادفاً للغرض أو قصد المتكلم من إيراده للكلام .(ينظر، ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي ، دلالة السياق ، معهد البحوث العلميّة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٤(٢٠٠٣)، ص ٤١-٤٥) .كما ذكر ردة الله تعريفاً لـ (بروس أنغام، الزمن والجهة في اللغة العربية والإنجليزية، ضمن السجل العلمي للندوة الأولى لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، ١٣٩/١) يقول " السياق يعني واحدًا من اثنين: أولاً:السياق اللغوي؛ وهو ما يسبق الكلمة وما يليها من كلمات أخرى، وثانياً: السياق غير اللغوي: أي الظروف الخارجيّة عن اللغة التي يرد فيها الكلام " ص ٥١.

١٩- آن ريبول، وجاك موشلار، التداولية اليوم، ص ٢٦٥.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

يُتضمَّن في داخل المفردات التي تُستعمل في هذه الجملة أو تلك[٢٠]. فكل سياق إنما هو في الواقع سياق لغوي بطريقٍ ما. فلا نَعنِي سياقًا آخر غير السياق اللغوي؛ لأن ألوان السّياقات الأخرى، مُتَضَمَّنَةٌ في داخل المفردات وفي داخل النظام الذي تكون فيه هذه اللغة أو تلك. ويفهم من كلامه هذا أن السياق اللغوي كفيلٌ بأن تُقرَأ فيه السياقات الأخرى، وكأنه جعل السياق واحدًا؛ هو السّياق اللغوي بالمفهوم الواسع للغة الذي يعني النظام اللغوي العام الذي يجمع المتحدثين بلسان ما.

خامسًا: مظاهر الفعل التأثيري في الديوان:

بعد تحليل العينة البحثية من قصائد الديوان، وُجِدَ أن الفعل التأثيري كان حاضرًا، ومتجليًا في قصائد العينة، وإن تفاوت وروده، حسب صور الفعل الكلامي، والتي ظهرت في السياق، ودلت عليها قرائن القول التي استدعت فعلًا كلاميًا، جاء ليغيّر شيئًا ما في الواقع، أو يؤثر فيه، فإن " إحداث التلفظ هو إنجاز لفعل وإنشاءٌ لحدث"[٢١].

سادسًا: أصناف الأفعال الكلامية التي جاء عليها الفعل التأثيري في العينة من قصائد المدونة:

١ - الإخباريات (Assertives) [٢٢] :

الغرض الإنجازي لهذا النوع من الأفعال هو نقل الواقع نقلاً أمينًا، ذلك أنه إذا تحققت الأمانة في النقل فقد تحقق شرط الإخلاص، وإذا تحقق شرط الإخلاص أُنجزت الأفعال إنجازًا ناجحًا أو تامًا[٢٣]، وقد ركزنا فيما جاء منها منجِزًا لفعل، وإن لَبِس لِباس الإخبار، واستبعدنا ما تمحّض لوصف الواقع دون التأثير فيه، وهي حالة خاصّة جدًا، فـ " أن تقول كذا .. هو أن تفعل.. " [٢٤] والإنجاز في هذا الصّنف يتحقق من خلال الإخبار أو الوصف، بوصفهما غرضين إنجازيين شأنهما شأن أي غرض آخر كالرفض والقبول،

---

[٢٠]- يُنظر، محمد حماسة عبد اللطيف، ندوة، النّحو: مدخلاً للنص الشعري، ج١، نشر في ٢٠١٤/٦/٢٤. على موقع: www.youtube.com .

[٢١]- جون أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، ترجمة، عبدالقادر قينيني، صـ١٧.

[٢٢]- توجد اختلافات في ترجمة المصطلح إلى العربية فقد ترجم بـ (الاثباتيّات، والاخباريّات، والتقريريّات، والتمثيليّات)، ينظر في ذلك:

- جون سيرل ، العقل واللغة والمجتمع، صـــ١٨٣.
- جال موشلر و آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، صـــ٧٦.
- شكري المبخوت ، نظرية الأعمال اللغوية، صـــ٩٢.

[٢٣]- محمود نحله، آفاق جديدة، صـــ١٠٣.

[٢٤]- جون أوستين، نظرية افعال الكلام العامّة، ١٧٣.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وقد يظهر هذا الإنجاز في البنية السطحيّة، أو متضمّنا في البنية العميقة[٢٥] ،وتبقى إشكالية التمييز بين كونها للـ (الإخبار) المحض القابل للصّدق والكذب ، أم هي لفعل إنجازي له أثره في الواقع ومن ذلك الجملة الآتية : « طلّقت زوجتي »، فهي قد تكون للإخبار المشار إليه ، وقد تكون للإنجاز، فالبنية التركيبيّة هنا غير معينة في تحديد المقصد ، وفي مثل هذه الحالة تكون قرآئن الأحوال هي المعيار في الحكم على إنشائيّة تلك الجملة أو خبريتها[٢٦]. وقد كانت الإخباريات أكثر شيوعا في المدونّة، وعند البحث عن سبب شيوعها؛ تبيّن أن غرض (النّصح والإرشاد) هو الشائع في هذا النوع، وهو أمرٌ يتطلب عدم المباشرة؛ ليجد قبولا في النفس، واستجابة من المخاطب، الأمر الذي يرفع من نسبة نجاح الفعل التأثيري. ومن أمثلة ذلك:

١- ما ورد في قصيدة الرائية المحكمة في نظم منثور الحِكم:

- سبع يقال من اللذات لذّتها ليست تُمل فدقق غامض الفِكر [٢٧].

البيت غرضه النصح والإرشاد، وابتدأ بتشويق المتلقي لما سيأتي، وواسم القوة في البيت الفعل (يُقال)، بالبناء لما لم يسمَّ فاعله؛ لغرض لدى الشاعر، وتشويق للمتلقي.

- والمستحقون صفعا هم ثمانية لا لوم في صفعهم يوما على بشر [٢٨].

والبيت كذلك غرضه النصح والإرشاد، وابتدأ بتشويق المتلقي لما سيأتي، وواسم القوة في البيت الفعل (المستحقون صفعا)، وأسلوبه قائم على تشويق المتلقي قبل الفعل التأثيري.

- وعشرة هي تُروَى من مكار مِ أخلاق الرجال فخذها صاح وابتدر[٢٩].

والبيت كذلك غرضه النصح والإرشاد، وابتدأ بتشويق المتلقي لما سيأتي، وواسم القوة في البيت الفعل (عشرة / تُروى/ خذها / ابتدر)، وأسلوبه قائم -كذلك-على تشويق المتلقي قبل الفعل التأثيري.

٢- ما ورد في قصيدة سفره إلى زنجبار:

- ديار قد حوت من كل حسن جواهره وآراما تهادى[٣٠].

---

[٢٥]- علي محمود الصّرّاف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص ٦١.

[٢٦]- ينظر، مسعود صحراوي، التداوليّة عند العلماء العرب، ص ٨١.

[٢٧]- ديوان أبي الفضل، ص ١٢.

[٢٨]- ديوان أبي الفضل، ص ١٣.

[٢٩]- ديوان أبي الفضل، ص ١٥.

[٣٠]- ديوان أبي الفضل، ص ١٦.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

غرض الفعل التأثيري في البيت، تبيان سبب حبه لزنجبار، وولعه بها. والأسلوب الذي اتَّبعه الشاعر، هو ذكر مناقب زنجبار ومحاسنها، وواسم القوة في البيت تجلّى في تشبيه زنجبار بفتاة حسناء.

٢- التَّوجيهيَّات (Directives)[٣١] :

"الهدف المتضمّن في التوجيهات، هو أنّ المتكلم يسعى إلى أن يجعل المخاطَب يقوم بشيء ما، بالوقوف على معطيات الواقع، والموقف الموافق لشرط النزاهة هو الرغبة، والمحتوى القضويّ هو أن المخاطب يجب أن يفعل شيئا ما " [٣٢]، والتوجيه قد يكون بإنجاز فعل، أو ترك فعل، ومن مجالاته: (الأمر، والنهي، والاستفهام، والالتماس، والحضُّ، والتشجيع، والنصح، والتنبيه، والتوبيخ والتهديد، والدعاء) [٣٣].

وقد حلّت التوجيهيات ثانيًا من حيث الشيوع في العيّنة؛ وقد يكون مرجع ذلك تعدد أغراضها- الآنف ذكرها- ونمثل لها بالآتي:

١- ما جاء في رده على سؤال الشيخ أحمد بن حمدون الحارثي، وكان سؤال الشيخ بشأن زيادة (ال) التّعريف على الأعلام، من نحو (العلي)، و(الحمود):

يقول بها لمّا تنظّم عقدُها كمثل فتى فرُوخ لم يشتك بُرحُ.
فبرح على أي المذاهب رَفْعه لقافيةٍ أم ذاك وجهٌ مصرحُ[٣٤].

هنا تم صياغة السؤال في قالب شعري. وواسم القوة قوله: (لما تنظم عقدها)؛ فقد أثنى الشاعر على القصيدة الواردة إليها، وفي ذلك ثناء على قائلها.

- كما ورده سؤال فقهي من الشيخ عبدالله بن علي الخليلي:

أسائل الحبر الأبر محمد الزاكي السِّير[٣٥].

فرد عليه الشاعر:

فها أنا ذا حيران حيرة وامق أرد فأجفو أم أُجيب فأُمسك.

---

[٣١]- يطلق عليها كذلك (الطلبيات) ، ينظر، خالد ميلاد، الإنشاء في العربية، ص ٥٠٦، وابتسام بن خراف، أفعال الكلام في قصة كليم الرحمن موسى عليه السلام، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، الجزائر، ع/١٢، ٢٠١٣، ص٣٤٨.

[٣٢]- جاك موشلر و آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، صـ٧٦.

[٣٣]- ينظر، علي محمود الصّرّاف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص ٢٤٠-٢٤٦.

[٣٤]- ديوان أبي الفضل، ص ٢٣.

[٣٥]- ديوان أبي الفضل، ص ٧٠.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وهنا يظهر تواضع الشاعر، وتأثره بالفعل القضوي المحمول في سؤال السائل.

- كما قال مخاطبًا بعض إخوته:

قف بي أسائل ركبا جاء من جهة الأحباب أسائل عنهم كيف حالهم؟[٣٦]

واسم القوة، وصف إخوته بـ (الأحباب)

- وفي صلحه بين بني عُرابة وطي، قال:

أنشدكم أن تسألوا القواضبا وتبحثوا السيوف والكتائبا.
بالله عن أسلافكم سلوها مؤرخا فيها ألا فاتلوها[٣٧].

وحتى يحقق الفعل التأثيري، غرضه بنجاح قام الشاعر بتذكيرهم بمناقب آبائهم، ومآثرهم؛ لاستنهاض هممهم؛ لنبذ التخاصم والشقاق، وقبول الصلح، واستعمل واسمات القوة في الفعل من مثل: (أُنشدكم/ أسلافكم / سلوها).

- وقال في رثاء الفرس المسماة بـ (المصنَّة):

يا دهر ويحك ما أبقيت جوهرةً من خيلنا واخترمت العين والكَبدا[٣٨].

وهنا ينادي الدّهر توجعًا وتحسرًا، مبدئا تحسره ومشاركًا غيره هذه المشاعر، باستعمال واسمات: (ما أبقيت/اخترمت /العين/ الكبدا).

٣- التعبيريّات (Expressives)[٣٩]**:**

وهي أفعال كلامية يعبِّر بها المتكلم عن مشاعره في حالات الشكر والتهنئة والرضا

---

[٣٦]- ديوان أبي الفضل، ص ١٨٢.

[٣٧]- ديوان أبي الفضل، ص ٢٩٦.

[٣٨]- ديوان أبي الفضل، ص ٣٨٢.

[٣٩]- أطلق عليها خالد ميلاد (الإفصاحات) ، (الانشاء في العربية / ٥٠٧) ، وكذلك شكري المبخوت (نظرية الأعمال اللغوية / ٩٣) ، وترجمة (التعبيريات) عند عز الدين المجدوب (القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة /٧٦) وعند محمود نحله، آفاق جديدة / ١٠٤)، وغيرهم. واخترناها؛ إذ هي تعبير عما يجيش في نفس المتكلم اتجاه المخاطَب. وفي هذا الصّنف من أفعال الإنجاز، يمكن أن نلاحظ في صيغها النقاط الآتية:

- ذات طابع عرفيّ بحكم استعمالها في التّعامل الاجتماعي اليوميّ.
- نزعتها إلى إضمار الأفعال، ونصب المصادر، والأسماء، والصّفات.
- علاقتها بالدّعاء، والتّمني، والتّرجّي.

[ينظر، شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية (مراجعات ومقترحات) ٢٤١-٢٤٣.]

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

والغضب والسرور، والحزن، والنجاح، والفشل.. إلى غير ذلك، وغرضها الإنجازي يتمثل في التعبير عن الموقف النفسي، أو الاجتماعي، تعبيراً يتوافر فيه شرط الإخلاص، وتتضمن ردود الأفعال على سلوك الآخرين، وعلى ما لاقوه من نجاح، أو فشل في مزاولتهم لنشاط معيّن، أو موقف ما. وضروب التعبير عن أوضاع السلوكات الماضية، مما قام به الآخرون أو ما يحتمل أن يقع من تصرفاتهم"[٤٠]، وقد ورد هذا الصنف لدى الشاعر في القصائد الغزلية، وتلك التي كانت بينه وبين إخوانه، وأقاربه، وأقرانه، ونحوه، ومن ذلك، قوله:

- **قد نام الليل مغفَّلُهُ وخليّ البال يطوِّلُهُ[٤١].**

والقصيدة تبلغ حوالي عشرون بيتًا وغرضها التّغزل بالمحبوب، وبثِّ الوجد، والشوق إليه. وأسلوب الفعل التأثيري الذي اتّبعه الشاعر، هو: ذكر حالته بعد البعد والهجر والفراق، ووصف جمال المحبوب، وترجي المحبوب حتى يصله، ويترك جفاه وهجره.

وواسمات القوة التأثيرية، قوله: أبيت سهيرا/ الهجر/ تشبيه المحبوب بالبدر/ له هيف / ممشوق القد/ هلا رحمى/ مسلوب العقل/ رقوا بالعطف /...

- **بدت لي من نحو المضيرب وانثنت.. تذكِّرني دهرًا لقلبي مُجَرِّحُ[٤٢].**

والغرض هنا الحنين والشوق إلى بلدة (المضيرب)، وأسلوبه ذكر ربوع الديار، وذكرياته فيها، وواسم القوة التأثيرية، ذكر لفظة: (المضيرب).

- وقال في ردّه على سؤال الشيخ عبدالله بن أحمد الحارثي:

تُثْنِي عليّ ولست أهلا للثناء فدع وذر[٤٣].

والغرض المضمن في محمول القول هو: (التواضع)، وواسمه القولي (ولست أهلا)؛ مع مكانة الشاعر وسعة علمه، إذ قصده السائل بالسؤال دون غيره.

هذا وقد أتى الشاعر بالفعل الثأثيري من صنف (التعبيريات) في صورة فعل كلامي (إخباري)؛ ليزيد من مستوى التلطيف، والتأثير، ونجاح المقصد من الفعل التأثيري.

---

[٤٠]- ينظر، جون أوستن، نظرية أفعال الكلام العامّة، ص ١٨٢.

[٤١]- ديوان أبي الفضل، ص ١٩.

[٤٢]- ديوان أبي الفضل، ص ٢٤.

[٤٣]- ديوان أبي الفضل، ص ٢٩.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

٤-الإعلانات (Declarations)[٤٤]:

تتميّز بأنها تحدث صدق محتواها القضويّ. فهي إيجاد لحالة من حالات الأشياء في العالم بمجرد التلفظ بفعل لغوي إنجازي ناجح [٤٥]، يعلنه المتكلم ويصرّح به، ويستلزم مؤسسة غير لغويّة ومنزلة خاصّة لكل من المتكلم والمخاطَب [٤٦].

٥- الالتزاميّات (commissives)[٤٧]:

وفيها يُلْزِمُ المتكلِّم نفسَه بفعل شيء ما، و" كل إلزام التزام من جانب المتكلم بأن يتعهد بسلوك الفعل الممثل في المضمون القضوي "[٤٨] .

ومن أمثلة الفعل الالتزامي الوعود والنذور والتعهدات، والتعاقدات، والضمانات، ويكون الالتزام بدرجات مختلفة باعتماد سلوك معيّن مستقبلا وقد يوافق الالتزام اهتمام السامع، وقد يخالفه كالتهديد والوعيد وما شابه.

ولم يرد الفعلان الكلاميان من النوع: (الإعلانيات)؛ إذ إن الشاعر كان أقرب إلى المصلح منه إلى المشرّع. و (الإلزاميات)؛ ويبدو لي أن مكانة الشيخ الدينية والاجتماعية، وثقة الناس به؛ أغنت عن التزامه، وأقرت كلامه.

٤٤- من ترجماتها: (الايقاعيات، التصريحات)، ينظر القاموس الموسوعي للتداولية ص ٧٦، وخالد ميلاد، الانشاء في العربية ص٥٠٧ ، واختار المبخوت (الايقاعيات) موافقا الطبطبائي (نظريّة أفعال الكلام ، ص ٣١) ، وعلل موافقته له بأن المصطلح أدّى معنى المفهوم كما تصوره النحاة والبلاغيون والأصوليون العرب (نظرية الأعمال اللغوية ص٩٤) ، واختار محمود نحلة المصطلح نفسه (آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ص ١٠٥).

٤٥- شكري المبخوت، دائرة الأعمال اللغوية (مراجعات ومقترحات)، ص ٩٤ .

٤٦- جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص ٧٦.

٤٧- من ترجمتها كذلك (الوعديّات) ، ينظر ، القاموس الموسوعي للتداولية ، صـــ 76 ، وخالد ميلاد ، الانشاء في العربيّة بين التّركيب والدّلالة ،جامعة منوبة (كليّة الآداب) تونس ،ط.١، ٢٠٠١، صـــ 506 ، وفي ترجمة : عبدالقادر قنيني ، نظرية أفعال الكلام العامة لأوستن ، وردت (ضروب الإباحة) ، صـــ١٨٠ ، وفي ترجمته كذلك لكتاب مبادئ التداولية ، لـ جيوفري ليتش ، أفريقيا الشّرق ،المغرب ،د. ط.، ٢٠١٣، وردت (الصيغ الفعلية الدالة على الاباحة) ، ينظر صـــ٢٦٨ ، ومحمود نحلة ترجمها بـ (الالتزاميات) ، آفاق جديدة ص ١٠٤ . وفي اعتقادي أن (الالتزاميات) أدق وأشمل، إذ تضم الوعد وغيره، وفيها التزام من المتكلم بصدق المحتوى القضوي للفعل والرغبة لتحقيقه، ويرفع من درجة تحققها في المدوّنة مكانة المتكلم.

٤٨- جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي)، ترجمة وتقديم: صلاح اسماعيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١ ، ٢٠١١، صـــ١٨٣ .

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الخاتمة:

بعد تحليل العينة البحثية من الديوان، وُجِدَ أن الفعل التأثيري كان حاضرًا في قصائد الديوان، وكان أكثرَ بروزًا في قصائد المطارحات الشعرية بين الشاعر وأقرانه من الشعراء، والعلماء، وأقاربه. وجاء الفعل التأثيري، من صنف (الإخباريات) و(التوجيهيات)؛ أكثر من بقية أصناف الفعل الكلامي، كما توصل البحث إلى أن الشيخ قد أتى بصنف (التعبيريات) في صورة فعل كلامي إخباري؛ ليزيد من مستوى التلطيف، والتأثير، ونجاح المقصد من الفعل التأثيري. وتفتح نتائج هذه الورقة البحثية لدراسة مستقبلية في أفعال الكلام غير المباشرة في هذا الديوان.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المراجع والإحالات:

- أبي الفضل، محمد بن عيسى بن صالح الحارثي، ديوان أبي الفضل، مسقط، سلطنة عمان: مكتبة الضامري، ط١، ١٩٩٥.
- آن ريبول، وجاك موشلار، التداولية اليوم: علم جديد في التواصل، ط١، ترجمة سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٣.
- أوزوالد ديكرو- جان ماري شافّار، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة / منذر عياشي، جامعة البحرين ، ٢٠٠٣ .
- باتريك شارودو – ودمينك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة / عبدالقادر المهري، وحمّادي صمّود؛ المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠٠٨.
- برونوين ماتن، و فليزيتاس رينجهام، معجم مصطلحات السميوطيقا، ترجمة عابد خزندار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة ١، ٢٠٠٨.
- جاك موشلر- آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداوليّة، ترجمة (مجموعة من الأساتذة والباحثين)، إشراف / عز الدين المجدوب، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠.
- جان جاك لوسركل، عنف اللغة، ترجمة: محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦.
- جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامّة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، (١٩٩١).
- جون سيرل ، العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي) ، ترجمة وتقديم: صلاح اسماعيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١١.
- جيوفري ليتش، مبادئ التداولية، ترجمة عبدالقادر قنيني، د. ط.، أفريقيا الشّرق، المغرب، ٢٠١٣.
- خالد ميلاد، الانشاء في العربيّة بين التّركيب والدّلالة، جامعة منوبة (كليّة الآداب) تونس، ط.١، ٢٠٠١.
- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، معهد البحوث العلميّة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٤(٢٠٠٣).
- شكري المبخوت، نظرية الأعمال اللغوية، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ٢٠٠٨.
- طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، جامعة الكويت، ١٩٩٤.
- عبد السّلام عشير، عندما نتواصل نغيّر (مقاربة تداوليّة معرفيّة لآليات التّواصل والحجاج)، أفريقيا الشّرق، المغرب، د.ط.، ٢٠٠٦.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

- علي محمود حجيّ الصّراف، في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢ ، ٢٠١٤.
- محمد حماسة عبد اللطيف، ندوة، النّحو: مدخلاً للنص الشعري، ج١، نشر في ٢٠١٤/٦/٢٤. على موقع: www.youtube.com .
- محمد الشّيباني، من قضايا تصنيف الأعمال اللغوية (مشروع قراءة)، مكتبة علاء الدين، تونس، ط١، ٢٠١٥.
- محمد محمد يونس علي، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى (نحو بناء نظريّة المسالك والغايات)، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط ١، ٢٠١٦.
- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، جامعة الإسكندرية، مصر، د.ط. ٢٠١٤.
- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطّليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الأنا والآخر في الرّواية النّسويّة العُمانيّة
بين التّمثيل الواقعيّ والتّخييل الأدبيّ

The Self and the Other in Omani Feminist Fiction
Between Realistic Representation and Literary Imagination

إعداد

د. مريم البادي
Dr. Mariam Albadi
أستاذ مساعد النّقد الأدبي الحديث، جامعة نزوى - (سلطنة عمان)

د. عمر السّعدي
Dr. Omer Al-Saadi
أستاذ مساعد النّقد الأدبي الحديث، جامعة الشرقيّة - (سلطنة عمان)

أ.د. هاني إسماعيل أبو رطيبة
Prof. Hany Ismaiel Abo Retaba
أستاذ النّقد الأدبي الحديث، جامعة نزوى - (سلطنة عُمان)

Doi: 10.21608/mdad.2025.445274

استلام البحث	١٥ / ٥ / ٢٠٢٥
قبول النشر	٢١ / ٦ / ٢٠٢٥

البادي،مريم والسعدي،عمر وأبو رطيبة،هاني إسماعيل (٢٠٢٥). الأنا والآخر في الرّواية النّسويّة العُمانيّة بين التّمثيل الواقعيّ والتّخييل الأدبيّ. ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٩ (٣٠)،١٠٣-١٤٨.

http://mdad.journals.ekb.eg

ISSN: *2537-0847* eISSN: *2537-0898*

الأنا والآخر في الرّواية النّسويّة العُمانيّة بين التّمثيل الواقعيّ والتّخييل الأدبيّ

د. مريم البادي[١]، د. عمر السّعدي[٢]، أ.د. هاني إسماعيل أبو رطيبة[٣].

ملخص:

تتناول هذه الدّراسة تمثيلات «الأنا» العُمانيّ – العربيّ مقابل «الآخر» الأجنبيّ في الرّواية النّسويّة العُمانيّة الصّادرة بين ٢٠١١ و٢٠٢١، انطلاقًا من الوعي المتزايد بأهميّة الخطاب السّرديّ بوصفه فضاء لتفكيك الثّنائيات الهويّاتيّة والثّقافيّة.

اختيرت خمسة نماذج من الرّواية النّسويّة العُمانيّة مدوّنة للتّحليل: «جنون اليأس» لغالية آل سعيد، و«نارنجة» لجوخة الحارثي، و«ظلّ هيرمافرديتوس» لبدرية البدري، و«أصابع مريم» لعزيزة الطائي، و«كارما الذئب» لبدريّة الشّحي؛ كونها تقدّم تمثيلات متباينة وغنيّة عن علاقة الأنا العُمانيّ، والعربيّ عمومًا، بالآخر الغربيّ، إضافة إلى امتيازها بتنوّع الأسلوب والرّؤية.

يعتمد البحث على المنهج التّحليليّ الاستقرائي لفحص المدوّنة المختارة، مستندًا إلى المنظور النّقديّ لما بعد الاستعمار، لاسيّما أفكار إدوارد سعيد عن الاستشراق؛ للكشف عن كيفيّة تمثّل الرّواية النّسويّة العُمانيّة للذّات والغيريّة ضمن سياقات ثقافيّة وتاريخيّة متشابكة.

تخلصُ الدّراسة إلى أنّ الرّواية النّسويّة العُمانيّة تمثّل مجالًا خصبًا لتفكيك العلاقة بين الأنا والآخر، ونقدها، وتقديم سرديّات بديلة تتجاوز الصّور النّمطيّة، ساعية إلى بناء حوار متوازن بين الشّرق والغرب، يقوم على النّديّة والتّأمل النّقديّ لا على التّبعيّة أو الرّفض المطلق.

الكلمات المفتاحية: الرّواية العُمانيّة، الأنا والآخر، رواية ما بعد الاستعمار، الاستشراق، الهويّة.

[١] أستاذ مساعد النّقد الأدبي الحديث، جامعة نزوى، سلطنة عُمان.

[٢] أستاذ مساعد النّقد الأدبي الحديث، جامعة الشّرقيّة، سلطنة عُمان.

[٣] أستاذ النّقد الأدبي الحديث، جامعة نزوى، سلطنة عُمان.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

(*) هذا البحث حاصل على تمويل من جامعة نزوى بسلطنة عُمان في إطار الدّعم الدّاخلي للبحوث والمُشار إليه بالعقد رقم: UoN/CAS/IF/2023/6

The Self and the Other in Omani Feminist Fiction: Between Realistic Representation and Literary Imagination

Dr. Mariam Albadi[4] , Dr. Omar Alsadi[5] , Prof. Hany Ismaiel Abo Retaba[6]

Abstract:

This study explores the representations of the Omani-Arab "self" in contrast to the foreign "other" in Omani feminist novels published between 2011 and 2021. It begins from the growing awareness of the importance of narrative discourse as a space for deconstructing identity and cultural binaries.

Five works of Omani feminist fiction were selected for analysis in the current study: "The Madness of Despair" by Ghalya F.T. Al Said, "Bitter Orange" by Jokha Alharthi, "The Shadow of Hermaphroditus" by Badriya al-Badri, *Maryam's Fingers*" by Aziza Al Taie, and "Karma of the Wolf: Physics (2)" by Badriya Al Shihi. These texts were chosen for their diverse and rich portrayals of the relationship between the Omani Arab self and the Western other, as well as for their stylistic and conceptual variety.

The research adopts an inductive-analytical method to examine the selected samples, drawing on the critical framework of postcolonial theory particularly Edward Said's concept of Orientalism to uncover how Omani feminist fiction represents selfhood and alterity within complex historical and cultural contexts.

4. Assistant Professor of Literary Criticism, University of Nizwa, Sultanate of Oman.
5. Assistant Professor of Literary Criticism, A'Sharqiyah University, Sultanate of Oman.
6. Professor of Literary Criticism, University of Nizwa, Sultanate of Oman.

ISSN: *2537-0847* eISSN: *2537-0898*

The study concludes that Omani feminist fiction serves as a fertile ground for deconstructing and critiquing the relationship between the self and the other. It offers alternative narratives that transcend stereotypes, aiming to establish a balanced dialogue between East and West based on mutual respect and critical reflection, rather than subordination or absolute rejection.

Keywords: Omani Novel, Self and other, Postcolonial novels, Orientalism, identity.

. . .

أولًا: مقدّمة:

يصف طارق الطيّب العلاقة بين «الأَنا» و«الآخر» بأنّها من المسائل الجدليّة التي طالما شغلت الفكر الإنسانيّ، إذ يوضّح أنّ هذه القضيّة، رغم كونها قديمة وجديدة في آنٍ معًا، قد استُثمرت في الأبحاث والنّقاشات الفكريّة والأدبيّة لعقود، ولا شك أنّها ستظلّ حاضرة في المستقبل[٧].

و«الأَنا» ضد أو نقيض للـ «آخر»»، ما يُنتِج حالة من التّنافس والصّراع بين الجانبين، وهو وراء ظهور جماعات إيديولوجيّة وأحزاب سياسيّة، فضلاً عن نظريّات علميّة حافلة بحراكٍ فكريّ مؤثّر[٨].

وبما أنّ الأَدب يعكس تطلّعات الإنسان ويعبّر عن شؤون الفكر الاجتماعيّ والسّياسيّ، فقد كانت قضايا «الأَنا» و«الآخر» محورًا أساسيًا في الأدب عمومًا، وقد

[٧] طارق الطيّب: صورة الأنا – الآخر في الرواية وفي الحياة (تجربة شخصيّة وأدبية)، ضمن: صورة الأنا والآخر في الرواية، دائرة الثّقافة والإعلام، حكومة الشّارقة، ٢٠١١، ط.١، ص.١٩١.

[٨] محمد بن يحيى أبو ملحة، التيارات الفكرية في الرواية السعودية والموقف من الآخر، ضمن: تمثيلات الآخر في الرواية العربيّة، دار الانتشار، بيروت، مطبوعات نادي الباحة الأدبي، المملكة العربية السعودية، ط.١، ٢٠١٠، ص.٣٠٥.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

تطرّق الأدب العربيّ، شأنه شأن آداب الأمم الأخرى، لهذه القضايا، لاسيما من خلال الشّعر والسّرد الذي يقدّم تمثيلات فنيّة متنوّعة لجدليّة العلاقة بين الأَنا والآخر. والسّرد عمومًا، والرّواية على نحوٍ خاصّ، ذاكرة شاهدة على تحوّلات المجتمع وهويته، كاشفة عن نوازع الذّات الإنسانيّة، بل هي «النّوع الأدبي الذي يهتمّ إلى أكثر الحدود بعملية التحوّل وتعقيداته»[٩] في المجتمعات، وعليه فللوقوف على العلاقات البشريّة بمختلف ثنائياتها: «أنا»، و«آخر»، «شرق» و«غرب»، و«غالب»، «مغلوب»، وغيرها، والتّوترات النّاتجة منها، يستوجب الانطلاق من فحص ذاكرته السّرديّة.

في هذا السّياق، يشير محمّد نجيب العمامي إلى علاقة السّرد الوطيدة بتمثيلات الأنا والآخر، قائلًا أنّ الروايةَ العربيّة، جنسٌ أدبيّ، قد وصل إلى الأدب العربيّ عبر الحضارة الغربيّة، مما أدّى إلى تطوّر شكل الأدب العربيّ وتقديم رؤية حاضرة للآخر، سواء كان ذلك في الأَشكال الأدبيّة أو في المحتوى الثّقافيّ للرّواية. وقد أسهمت العلاقة بين العرب والغرب في تشكيل الرّواية العربيّة، وخصوصًا في تمثيلات العلاقة بين «الأَنا» العربيّ و«الآخر» الغربيّ[١٠].

وبالنّظر إلى التّباين في معالجة هذه الثّنائية في الرّوايات المعاصرة، نجد أنّ الأدب العربيّ قدّم صورًا متنوّعة تتراوح بين النّظرة التّقليديّة التي تضع الغرب في موقع القوّة والتّقدم، مقابل الشّرق المتخلّف الرّجعيّ، وبين موقف آخر ينادي برفض الغرب بالكامل، أو ربّما الانبهار به دون قدرة على الاندماج. وفي المقابل، نجد في بعض الأعمال محاولات لتجاوز هذه الرّؤى الجامدة، عبر السّعي لبناء جسور من الحوار والانفتاح بين الشّرق والغرب.

ويعدُّ إدوارد سعيد من أبرز المفكّرين الذين درسوا تأثيرات الاستشراق على تصورات «الأَنا» العربيّ، وقد بيّن أنّ النّخبة المثقّفة في الشّرق قد تبنّت أحيانًا صورة «الأَنا» العربيّة من منظور الغرب نفسه. هذا التّبني أسهم في تكريس الفجوة بين

---

[٩] روجر آلن، الرواية العربيّة: كتابة تاريخها ولزوم إعادة كتابة تاريخها، ضمن: صورة الأنا والآخر في الرواية، دائرة الثّقافة والإعلام، حكومة الشّارقة، ط.١، ٢٠١١، ص.١٧٤.

[١٠] محمد نجيب العمامي، صورة الآخر في بواكير الرواية العربية، ضمن: تمثيلات الآخر في الرواية العربيّة، دار الانتشار، بيروت، مطبوعات نادي الباحة الأدبي، المملكة العربية السعودية، ط.١، ٢٠١٠، ص.٣٥.

ISSN: 2537-0847 eISSN: 2537-0898

الطّرفين، وجعل «الأَنا» العربيّ في حالة دفاعيّة أَمام الآخر الأجنبيّ حينًا، ومأرجحًا مواقفه بين القبول والرّفض والانبهار في أَحيانٍ أُخرى. وقد عملت هذه المواقف على تعزيز الازدواجيّة بين الرّغبة في الانفتاح، والإلحاح على التّمسك بالهويّة، والسّعي إلى التّقليد والذّوبان في الآخر[١١].

من هذه المنطلقات، يسعى البحث الذي بين أيدينا لدراسة تمثيلات «الأَنا» العُماني-العربيّ مقابل «الآخر» الأجنبيّ في الرّواية النّسويّة[١٢] العُمانيّة الصّادرة في الفترة بين ٢٠١١ و٢٠٢١. يتساءل البحث عن كيفية ظهور هذه التمثيلات؟ وما الأبعاد الثّقافيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة التي تُشكّل هذه العلاقة في الرّواية النّسوية العُمانيّة؟

- **سؤال البحث ومنهجيته:**

يعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي الاستقرائي في دراسة تمثيلات «الأَنا» العُمانيّ- العربيّ مقابل «الآخر» الأجنبيّ في الرّوايات المختارة. الهدف الأساسيّ هو النّظر تحديدًا في كيفيّة تعبير الكاتبات العمانيات عن العلاقة بين هذين الطّرفين عبر خطابهن الرّوائيّ. وعليه فالسّؤال المحوريّ الذي يسعى البحث للإجابة عليه: كيف ظهرت تمثيلات «الأَنا» العُمانيّ – العربيّ مقابل «الآخر» الأجنبي في الرّواية النّسويّة العُمانيّة بين ٢٠١١ و٢٠٢١؟

- **المدوّنة ومبررات الاختيار:**

بسبب وفرة الإنتاج الرّوائي النّسويّ العُمانيّ في الفترة المعنيّة، كان من الضّروريّ وضع معايير واضحة لاختيار المدوّنة المناسبة التي تتوافق مع شروط البحث. كان من الأهميّة مراعاة شرطين: بروز «الآخر» الأجنبيّ في مضامين الأعمال المختارة، وتنوّع الأعمال الأدبيّة دون الاقتصار على نموذج أو أكثر من كلّ كاتبة، بما يسمح بتعميم نتائج البحث على نطاق أوسع.

وعليه، حُدّدت مدوّنة البحث على أساس خمس روايات نسويّة عُمانيّة صادرة من الفترة بين ٢٠١١ و٢٠٢١، وهي: «جنون اليأس»[١٣] لغالية آل سعيد، «نارنجة»[١٤]

---

[١١] ينظر: إدوارد سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربيّة للشّرق، تر. محمد عناني، رؤية للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط.١، ٢٠٠٨، ص.- ص.٨٢ –٩٠.

[١٢] أينما ورد مصطلح «الرّواية/ الرّوايات النّسويّة» في هذه الدّراسة فهو يعني رواية الكاتبات.

[١٣] غالية آل سعيد، جنون اليأس، بيروت، رياض الريس، ط.١، ٢٠١١.

[١٤] جوخة الحارثي، نارنجة، بيروت، دار الآداب، ط.١، ٢٠١٦.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

لجوخة الحارثي، «ظلّ هيرمافرديتوس»[١٥] لبدرية البدري، «أصابع مريم»[١٦] لعزيزة الطائي، و«كارما الذئب»[١٧] لبدريّة الشّحي. هذه الأعمال تتّسم بتنوّع الأساليب السّرديّة والتّقنيات الرّوائيّة التي تعكس تمثيلات «الأَنا» العربي و«الآخر» الأجنبيّ من زوايا مختلفة، مما يجعلها نماذج نوعيّة لدراسة التّفاعلات بين الشّرق والغرب في الرّواية النّسويّة العُمانيّة.

ثانيًا: تمثيلات الأنا العربيّة

تمثّل الرّواية النّسويّة العُمانيّة مساحة خصبة لنقد الذّات، إذ تسعى الكاتبات إلى مساءلة الأنا العُمانيّة - العربيّة، وتسليط الضّوء على إشكاليّاتها العميقة من خلال السّرد. تطرح هذه الرّوايات المختارة وعيًا نقديًّا يتجاوز التّناول السّطحيّ للذّات، ليكشف عن أوجه القصور والمآزق الاجتماعيّة والثّقافيّة التي تعيشها الشّخصيّة العربيّة، قصد محاولة تفكيك هذه الإشكاليّات وإعادة التّفكير فيها. ورغم تنوّع الرّوافد التي تتشكّل منها هذه الصّورة، بين واقعيّة مستمدّة من التّجربة الحياتيّة، ومتخيَّلة تنبع من الرّؤية الفنيّة للكاتبات، فإنّها تصبّ جميعها في تمثيل نقديّ للأنا العربيّة، بعيدًا عن الانفعاليّة أو التّشويه المتعمّد أو غير المتعمّد.

وعليه يبدو أنّ مدوّنة الدّراسة تتبنّى مقاربة تتجاوز مفهوم «تشويه الأنا»، إذ تنخرط في عمليّة نقد ذاتيّ تمسّ المسلَّمات الثّقافيّة والاجتماعيّة. فالغربُ، كما يشير إدوارد سعيد، لم يصنع صورةَ الشّرق من فراغٍ، بل اعتمد على منظور الشّرق لذاته في إعادة إنتاجه لتمثيلات الشّرق في مدوّناته. ومن هذا المنطلق، فإنّ مساءلة الذّات عبر الأَدب لا تعني الخضوع للنّظرة الاستشراقيّة للأنا أو العمل على تأكيدها، بل تأتي ضرورة لمعالجة الاختلالات الدّاخليّة، وفتح أُفق إصلاحيّ جديد يُعيد تشكيل العلاقة بين الذّات والمجتمع[١٨].

ركّزنا النّظر في خمس تمثيلات بارزة للأنا في مدوّنة الدّراسة، رأيناها جديرة بالنّظر، وفيما يلي بيان القول فيها:

---

[١٥] بدرية البدري، ظِل هيرمافروديتوس، لندن، دار عرب، ط.١، ٢٠١٨.
[١٦] عزيزة الطائي، أصابع مريم، الكويت، دار الفراشة، ط.١، ٢٠٢٠.
[١٧] بدرية الشحي. كارما الذئب: فيزياء ٢. دار سؤال: بيروت، ط.١، ٢٠١٩.
[١٨] ينظر: إدوارد سعيد، الاستشراق، سابق، ص.- ص.٨٢ –٩٠.

ISSN: 2537-0847 eISSN: 2537-0898

١. الأنا الغارقة في الملذّات الحسيّة

غذّى الشّرق، عبر مدوّناته الفكريّة والأدبيّة، خطاب الغرب عنه. فقد اتكأ الغربُ في تشكيله صورة الشّرق أساسًا على كتابات المشارقة عن أنفسهم في بناء تصوّره عن الشّرق، إلى جانب استناده على مؤلّفات الكتّاب والرّحالة الغرب. وهكذا نسجت صورة للشّرقُ قائمة على ربطه بالمتع المحرّمة والانغماس في عالم من الملذّات الحسيّة. وقد عزّزت الأنا العربيّة أحيانًا هذه الصّورة من خلال سلوكيّات مأزومة أثناء احتكاكها المباشر بالغرب؛ الأمر الذي أفضى إلى تأكيد تنميطات وأحكام مغلوطة عن العرب والشّرق عمومًا[١٩].

وتقدّم المدوّنة التي تتناولها هذه الدّراسة هذه الفكرة في نسيجٍ فنّيّ متخيّل؛ إذْ حضرت الأنا العربيّة وقد انغمست في أشكال من الملذّات الحسيّة، وكأنّها عاجزة عن تجاوز دوائر الرّغبة، ممّا يضعها في مأزق وجوديّ وأخلاقيّ.

تتجلى هذه الفكرة في رواية «جنون اليأس» لغالية آل سعيد من خلال شخصيتي «نديم نصرة» و«نافع»، اللذين يجتمعان في انجذابهما الجسدي لـ«مليحة» إذ يصفها نديم بـ«إنّها السّعادة والمتعة الجسديّة والعاطفيّة، التي تلبي شوقه [نديم نصرة] وهيامه بالشرق»[٢٠]. ورغم ارتباط أحدهما بها بوصفه زوجًا، (نافع)، والآخر عشيقًا، (نديم)، فإنّهما يواجهان المصير ذاته؛ إذ لا ينجحان في الظّفر بحبّها ورضاها، وينتهي بهما المطاف إلى اليأس والموت. أمّا مليحة، من جهتها، فتجسّد الشّرق المغويّ، المتمنّع عن أبنائه، والمُنساق نحو الآخر الغربيّ، ممثلًا في «شارلي» الإنجليزيّ، في انعكاسٍ مجازيّ للعلاقة المُلتبسة بين الشّرق وأبنائه، والشّرق والغرب. ورغم إشارة نهاية السّرد لاحتماليّة مدّة جسر وصل بين «مليحة» و«رجل غربيّ»، (بين الشّرق والغرب)، فإنّ النّصّ لا يوضّح ما إذا كان هذا التّوجّه سيؤدّي إلى علاقة أكثر توازنًا، أم أنّه مجرّد إعادة إنتاج للدّوائر ذاتها من الخيبة والصّراع بين الطّرفين.

أمّا في «نارنجة» لجوخة الحارثي، فتبرز صورة الأنا العربيّة المنغمسة في الملذّات الحسيّة من خلال مشهد الحفلة التي نظّمتها الإنجليزيّة كريستين، حيث يظهر

---

[١٩] ينظر مثلًا: ديريك هوبود، التصورات الجنسية عن الشرق الأوسط: البريطانيون والفرنسيون والعرب، تر. ناصر مصطفى أبو الهيجاء، مرا. أحمد خريس، أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، ط.١، ٢٠٠٩.

[٢٠] جنون اليأس، ص.١١٥.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الطّلّاب العرب منهمكين في استهلاك الكحول والانغماس في أجواء الاحتفال ومتعه البصريّة والحسيّة المختلفة. تقول عنهم السّاردة «زهور»: «انكبّ زملائي العرب على زجاجات الويسكي التي أحضروها معهم»[٢١]. ورغم أنّ المشهد عابر، فإنّه يكشف عن نظرةٍ نقديّة لنمط معيّن من التّفاعل الثّقافيّ بين الشّرق والغرب؛ إذ يصبح الجسدُ والمتعةُ عناصر أساسيّة في هذه العلاقة، دون أن تؤدّي إلى فهمٍ عميقٍ أو اندماجٍ حقيقيّ بين الطّرفين.

يتكرّر هذا النّمط في «**ظلّ هيرمافرديتوس**» لبدريّة البدري، من خلال شخصيّة «ناصر»، إذ يتزوّج من الأمريكيّة «أوليفيا» خلال فترة دراسته في الخارج، رغم علمه بأنّ عائلته لن تقبل سوى بزواجه من ابنة خالته. يقول محدّثًا «سُعاد»: «قبل قدومي لأمريكا لم أكن أسمع الأغاني؛ فعلمتني أوليفيا الرّقص على وقع نوتاتها الموسيقيّة، أحملها بين ذراعي كسنونوةٍ مُهاجرة، لتطوقني بذراعيها... عقدنا قراننا»[٢٢]. ويعكس زواجه السّرّيّ هشاشة تمرّد «الأنا»؛ إذ سرعان ما يخضع «ناصر» للضّغوط الاجتماعيّة بمجرّد عودته إلى وطنه، متخليًا عن حبّه لصالح الامتثال للأعراف والتّقاليد. هذا الانقياد المرضيّ لرغبات الذّات، ثمّ الخضوع لضغوط المجتمع، يفضي إلى مأساة شخصيّة؛ إذ تنهار علاقته بـ«أوليفيا»؛ مما يؤدّي إلى انتحارها وتشتّت أطفالهما. وهنا، لا يُطرح الزّواج المختلط بوصفه فعل تمرّد واعٍ على الأعراف، أو محاولة لهدم الهوّة بين الأنا العربيّ والآخر الأجنبيّ، بل بوصفه استجابة مؤقّتة للرّغبة والاحتياجات العاطفيّة، دون امتلاك القدرة على مواجهة تبعاته؛ الأمر الذي يعبّر عن هشاشة الذّات، وتناقضاتها الهائلة، وسقوطها في وحل الملذات والمتع المتاحة عند احتكاكها بالآخر الغربي[٢٣].

وفي «أصابع مريم» لعزيزة الطائي، نجد صورة مماثلة لهذا التّمثيل من خلال شخصيّة «حمد»، فقد عاد من روسيا متبنّيًا أنماط حياة غربيّة سطحيّة، منغمسًا في السُكر، ومتأثرًا بثقافة الآخر دون استيعابٍ جوهريّ لها. فبدلًا من أنْ يكون انفتاحه على

---

[٢١] نارنجة، ص.٣٧.

[٢٢] ظلّ هيرمافرديتوس، ص.١٤٨.

[٢٣] جميل حمداوي، صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي العربي، مجلة الأزمنة الحديثة، المغرب، ع.٣-٤، أكتوبر ٢٠١١، ص.- ص.١٣٧-١٣٨.

ISSN: 2537-0847 eISSN: 2537-0898

الآخر الأجنبيّ وسيلة لتوسيع مداركه وترسيخ فهمه لذاته، يصبح سببًا في تشويه هويّته وقيمه الدّينيّة، ممّا يسلّط الضّوء على فكرة التّغريب والاستهلاك غير الواعي للثّقافات الأجنبيّة اندفاعًا وراء أسباب حسيّة مباشرة.

أمّا في «كارما الذئب»، فتتمثّل الأنا المنغمسة في ملذّات الجسد في شخصيّات عديدة من أبرزها «سَلّام»، إذ يعيش في الغربة منجذبًا إلى النّساء الأجنبيات، ويتنقّل بين علاقات مختلفة، في مسعى للعثور على توازن بين الرّغبة والهويّة. ويبرز السّرد في هذه الرّواية تحديدًا مقارنة دائمة بين النّساء الغربيّات والعربيّات؛ إذ تُمثَّل الغربيات رمزًا للحريّة والجاذبيّة غالبًا، فيما يُقدَّم الشّرق في صورة المرأة المحافظة الأقلّ جاذبيّة. ومع ذلك، فالملفت للنّظر، أنّ هذه العلاقات لا تؤدّي إلى انسجام حقيقيّ بين العربيّ والمرأة الغربيّة، بل تظلّ محكومة بالفشل، سواء بسبب اختلاف الثّقافات، أو لكونها قائمة على الرّغبة الجسديّة أكثر من التّفاهم العميق والانسجام بين الطّرفين.

وهكذا تبرز هذه الرّوايات في مجملها رؤية نقديّة للأنا العربيّة، إذ تقدَّم الشّخصيّة العربيّة بوصفها ممزّقة بين انجذابها للآخر، وتمسّكها بعاداتها، وبين رغباتها المكبوتة، وشعورها العميق بالعجز أمام التّغيرات الاجتماعيّة والثّقافيّة، وهي في كلّ هذا تشفّ عن دور «الأنا» العربيّة في نسج صورة الآخر عنها، أو تأكيد الصّور النّمطيّة المأزومة عن العرب والشرق عمومًا. لكن السُّؤال الذي يظلّ مطروحًا هو: هل تكتفي هذه الرّوايات بتقديم النّقد، أم أنّها تطرح أفقًا للإصلاح؟

في بعض النّصوص المتناولة، يبدو السّرد كأنّه يضع «الأنا» في مأزقٍ دون اقتراح حلٍ، بينما تلمّح بعض الأعمال إلى إمكانيّة إعادة تشكيل العلاقة بين الشّرق وأبنائه من جهة، وبين الشّرق والغرب من جهة أُخرى، بيد أنّ هذه الإمكانيّة تظلّ مفتوحةً على تأويلات متعدّدة. إنّ النّقد الذّاتيّ الذي تقدّمه هذه الرّوايات يظلّ خطوة مهمّة نحو مساءلة الذّات، لكنّه بحاجة إلى رُؤية أكثر وضوحًا حول كيفيّة تجاوز هذه الأَزمات والأعطاب التي ألصقها الغرب طويلًا بالشّرق واعتبرها خصيصة متأصلة فيه[٢٤]، بما يُتيح تشكيل هويّة عربيّة متوازنة، قادرة على التّفاعل مع الآخر دون فقدان

[٢٤] ينظر: ديريك هوبود، التصورات الجنسية عن الشرق الأوسط: البريطانيون والفرنسيون والعرب، تر. ناصر مصطفى أبو الهيجاء، مرا. أحمد خريس، أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، ط.١، ٢٠٠٩، في حديثه عن تصورات الغرب إزاء العرب ونعتهم بالجموح الجنسيّ، مثلا: ص.١٨.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

خصوصيّتها.

٢. الأنا بين الذّكر والأنثى: الهشاشة والعورة

يعمل النّظام الاجتماعيّ بوصفه منظومة رمزيّة بالغة التّعقيد، تُكرّس الهيمنة الذّكوريّة وتسعى إلى إضفاء طابع الشّرعيّة عليها بصورة ضمنيّة ومستمرة[٢٥]. وتعدُّ ازدواجيّة نظرة المجتمع للذّكر مُقابل الأنثى من بين التّمثيلات المتكرّرة لـ«الأنا» في المدوّنة الرّوائيّة محلّ الدّراسة. إذ ترسّخ الصّورة النّمطيّة فكرة تفوّق الرّجل على المرأة، ما يجعل حقوقَه مضمونة، وأَخطاؤه مغتفرة، بينما تُفرض على المرأة أدوارٌ نمطيّة تحدّ من دورها في المجتمع، وتعرّضها للعنف والقمع؛ ممّا يجعلها أَسيرةً لنظامٍ اجتماعيّ يُعيد إنتاج التّمييز ضدّها عبر الأجيال.

يحضر هذا التّمثيل جليًّا في «جنون اليأس»؛ إذ يُصوَّر الرّجل العربيّ بوصفه سيّدًا مُطاعًا، تُبرَّر أخطاؤه دومًا، ويتواطأ معه المجتمع في اضطهاد المرأة. ويتجلّى تواطؤ المجتمع من خلال شخصيّات ذكوريّة متعدّدة، كأخ «مليحة» الذي يُمارس العنف ضدّها، بينما يقفُ الأبُ متفرّجًا، ما يعكسُ موقفه المُتماهي مع المنظومة الذّكوريّة التي تمنح الرّجل سُلطة مطلقة. كما إنّ غياب الأم يمثّل عاملاً آخر يعزّز تهميش المرأة، إذ يحرمها من سند عاطفيّ أو دعم نسائيّ في مواجهة العنف الأسري. ورغم محاولة «مليحة» تحسين وضعها الاقتصاديّ عبر بيع منتجات مختلفة لإعالة نفسها ومساعدة أهلها، فإنّ عائلتها تعاملها بوصفها مصدرًا للعارِ، فتُسلب أموالها، وتُرغم على الزّواج من رجلٍ تظنّ الأُسرة أنّه غنيّ، تنتقل للعيش معه مغتربًا في «لندن». ورغم التّحوّل المكانيّ، وانتقالها من مجتمعها العربيّ إلى لندن، تتصاعد معاناتها في ظلّ زواج قسريّ يسوده الإهمال والإهانات، ولا تملك إبداء موقفها واتّخاذ قرارها؛ فهي مثل كل النساء الخاضعات للقمع؛ ممّا يدفعها إلى الانهيار الجسديّ، أو الوقوع فريسة لرجل آخر؛ وهذا ما تعبّر عنه «جنون اليأس» من خلال سرد علاقة سريّة بين الشّخصيّة (مليحة) و«نديم»، الطّبيب المثقّف القادم من الشّرق أيضًا، الذي لا يرى فيها سوى الفتنة

[٢٥] بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، تر. سلمان قعفراني، مرا. ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط.١، ٢٠٠٩، ص.٢٧.

ISSN: 2537-0847 eISSN: 2537-0898

الشّرقيّة، فتتحوّل علاقتها به إلى وهمٍ للهروب من واقعها المرير؛ مما يعكس إشكاليّة النّظرة الاستشراقيّة للمرأة الشّرقيّة بوصفها مجرّد موضوعٍ للرّغبة.

أمّا في رواية «نارنجة»، فتتواطأ الأنثى من خلال «زهور» ضدّ نفسها في ظلّ المجتمع الذّكوريّ؛ إذ تتلقّى الشّخصيّة دروسًا من جدّتها في الدّفاع عن نفسها، لكنّها تختارُ التّهرّب، فيستمرّ التّنمّر والقمع ضدّها. تقول «زهور» متحدّثة عن جدتها: كانت «تناولني العصا: "اذهبي الآن واضربيهم"، أتظاهر بالذهاب وأختبئ في المُصلّى خلف البيت»[٢٦]. ولم يكن اختباؤها تمردًّا على أمر جدّتها بقدر ما كان استجابة لإرث القمع والكبت الذّكوريّ الذي تجاوزته لاحقًا عبر مسار الحكيّ.

وفي موضع من الحكاية تتجاوز «نارنجة» صورة المرأة الضّحيّة عبر شخصيّة «الجدّة» القويّة التي تتصدّى لمحاولة استغلالها جسديًّا، رافضة الخضوع لمنظومة القهر الذّكوريّ، فتؤكّد قوّتها في تجاوز مآزق القمع والاستغلال بوصفها «ابنة الفارس الذي تغنّت النساء في الأهازيج بشجاعته»[٢٧]، وبقولها: «أنا بنت عامر»[٢٨] في إشارة لاعتزازها بهويّتها. هذه المفارقة بين الشّخصيّتين توضّح كيف يمكن للمرأة أنْ تكون إمّا أداة لإعادة إنتاج النّظام الذّكوريّ، أو كيانًا مقاوِمًا يسعى لكسر قيوده. صحيح أنّ قمعًا مستمرًّا على مدار الحكاية مورس ضدّ الجدّة، بدءًا من طردها من بيت أبيها، ثم فقدها بصرها نتيجة التّخلّف والجهل والإهمال، ثمّ منعها من السّفر للعلاج بحجّة أنّ «عينًا واحدة» تكفيها، ثمّ الإهمال من الأحفاد الصّغار، لكنّها مع ذلك ظلّت قويّة ورمزًا للكفاح، وقد تعمّدت رواية «نارنجة» جعلها شخصيّة رئيسة ضمن شخصيّات المحكيّ لإخراجها من دور «الضّحيّة» ومنحها دورًا فاعلًا ومركزيًّا. وبالتّالي، مثّل صوت المرأة في «نارنجة» تعبيرًا عن تمرّد أنثويّ جريء ساعٍ لخلخلة ممارسات العنف والإقصاء والتّمييز والقمع الذّكوريّ في العالم المحكيّ.

وتبرز صورة المجتمع الذّكوريّ القامع للمرأة في «ظلّ هيرمافرديتوس» من خلال تجربة «سعاد»، إذ تتعرّض للتّحرّش والتّنمر[٢٩]، وتسلبها أُسرتها الحقّ في

[٢٦] نارنجة، ص.١٣.
[٢٧] نفسه، ص.٢٣.
[٢٨] نفسه، والصفحة نفسها.
[٢٩] ظلّ هيرمافرديتوس، ص.١١.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

العلاج. ومع ذلك، تتطوّر شخصيّتها لتصبح أكثر مقاومة، «عصيّة على الانقياد»[٣٠]، فتختار دراسة التّمريض، ثمّ تسافر إلى أَمريكا طلبًا للعلم والعلاج من مرض اضطراب الهويّة الجنسيّة، متجاوزة المعتقدات المتوارثة في مجتمعها. ويعكس هذا التّحول قدرة المرأة على إعادة بناء ذاتها خارج حدود القيود الاجتماعيّة كما يقدّمها المحكيّ، مشيرًا إلى أنّ تحرّرها يتطلّب تجاوز البيئات القمعيّة والانفتاح على عوالم جديدة.

وتجسد رواية «أصابع مريم» إرث القمع الذّكوريّ ضدّ المرأة بوصفه حلقة متوارثة عبر الأجيال. فـ«مريم» التي تنشأ في منزل يرى «البنت شرف العائلة وحرمتها، بينما كلمة "ولد" تعني مصدر العز والفخر والانتماء»[٣١]، تُرغم تدريجيًّا على قبول قمع المجتمع للمرأة، رغم محاولاتها الأُولى للتّمرّد. ومع الوقت، تُعيد إنتاج هذه المُمارسات، فترفضُ تزويج بناتها ممن اخترنهم[٣٢]، مكرّسةً الإرث ذاته الذي عانت منه من قبل أُمّها وأَبيها؛ ما يعكس حلقة مأساويّة مستمرّة من القهر الاجتماعيّ، إذ تتحوّل الضّحيّة إلى أَداة لإدامة المنظومة الذّكوريّة وتنميطها.

وتقدّم «كارما الذّئب» قضيّة حرمان المرأة من التّعليم وإجبارها على الزّواج المبكر في سياق إبراز منظور الرّجل السّلبيّ للمرأة وقمعِها. وتعرضُ الرّواية أشكالًا مختلفة من العنف الاجتماعيّ، بدءًا من إجبار «حميدة» على ترك التّعليم، مرورًا بإرغامها على الزّواج[٣٣]، وانتهاءً بالعنف الجسديّ من قبل زوجها «نبيل». ومع ذلك، تعملُ الشّخصيّة على كسر قيود العنف الأسريّ والتّمييز ضدّها عبر مواصلة تعليمها، محوّلة معاناتها إلى دافعٍ لتحقيق ذاتها. وبالتّالي تعكس «كارما الذّئب» كيف يمكن للمرأة أنْ تتحوّل من ضحيّة إلى فاعلة، مُستثمرة قهرها ليصبح وقودًا للنّضال والقوّة.

وهكذا تكشفُ هذه الرّوايات في مجملها آليات ترسيخ السُّلطة الذّكوريّة في المجتمعات العربيّة، سواء عبر العنف المباشر، أو من خلال إعادة إنتاجِ القهر الاجتماعيّ من قبل النّساء أنفسهنّ. لكنّها في الوقت ذاته تطرحُ نماذج لشخصيّات نسائيّة حاولن تجاوز هذه المنظومة؛ مما يفتحُ البابَ أَمام إمكانيّة التّغيير رغم القيود المفروضة. ويبرز المحكيّ، انطلاقًا من هذا المنظور، أهميّة المقاومة الفرديّة ودور

---

[٣٠] نفسه، ص.٣٣.
[٣١] أصابع مريم، ص.٤١.
[٣٢] نفسه، مثلًا: ص.١٤٨.
[٣٣] كارما الذئب، ص.١٢.

ISSN: 2537-0847 eISSN: 2537-0898

الوعيّ الذّاتي في التّحرّر، إذْ يصبح السّرد وسيلةً لفضح تناقضات المجتمع، وإعادة التّفكير في دورِ المرأة العربيّة في تجاوز مأزق التّمييز والعنف ضدّها.

٣. الأنا المنفصمة: التّناقض الأخلاقيّ الخفيّ

عرفت الذّات العربيّة حالة من التّشظّي العميق، أفقدتها تماسكها الدّاخلي وانتماءها إلى المنظومة الاجتماعيّة والأخلاقيّة التي نشأت فيها. لقد تفكّكت إلى ذوات متنازعة، تتجاذبها التّناقضات القيميّة والنّزوع إلى العزلة والاضطراب، ما أسهم في إنتاج شخصيّة مأزومة على الصّعيدين النّفسيّ والحضاريّ، يتجلّى فيها اضطراب نرجسيّ عميق، غالبًا ما يكون نتاجًا لمعاناة مركّبة من الكَرب النّفسيّ والتّصدّع الحضاريّ[٣٤].

تعكس الرّوايات المدروسة هذه الإشكاليّة من خلال تمثيل ازدواجيّة الذّات العربيّة وتناقضاتها الحادّة على مستوى المبادئ والقيم والسّلوكيّات. ويظهر هذا التّناقض في نماذج متعدّدة من شخصيّات المحكي تروّج لقيمٍ خيّرة بينما تُمارس نقيضَها، وتحلم بمستقبل أفضل بينما تسلك مسارات تؤدّي إلى نتائج معاكسة تمامًا لما تطمح إليه.

تعبّر رواية «جنون اليأس» عن هذا الصّراع من خلال شخصيّاتها جميعًا؛ وتظهر شخصية «نافع» كشخصيّة نموذجيّة في هذا السّياق؛ إذ يدّعي الغنى أَمام أسرة «مليحة» عبر إنفاقه الباذخ قبل الزّواج[٣٥]، مقدّمًا صورة وهميّة عن نفسه ليخدع العائلة وليظفر بابنتها زوجةً له. ومع ذلك، تكتشف «مليحة» بعد الزّواج حقيقته المغايرة تمامًا لما ادّعاه؛ فهو لاجئ يعيش على معونة محدودة يتقاضاها من صندوق المساعدات في «لندن» بعد فقدانه وظيفته. كما يدّعي «نافع» الحبّ والتّمسك بزوجته وأُسرته، لكنّه في الواقع يعيشُ عالمًا منفصلًا عنها، غير مكترث ببناء حياة أسريّة مستقرّة، مما يبرز التّناقض العميق بين أقواله وأفعاله.

صوّرت الرّواية هذا التناقض بوضوح في العلاقة بين «نافع» وزوجته؛ إذ تعبّر «مليحة» عن استيائها من سلوكه غير المسؤول، مشيرة إلى افتقاده لأيّ جهد لتحسين

---

[٣٤] انظر: شيماء نجم صفر، تشظي الذات وتحلل الشخصية وعلاقتهما بالكرب النّفسي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠١٤، ص.– ص.٣٥–٤١.

[٣٥] جنون اليأس، ص.٥٥.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

حياتهما، وإخراج الأسرة من حالة الفقر المدقع الذي تعيشه. تقول «مليحة» عنه: «نافع لا يشركني في أي شيء يفعله، ولا يجتهد لحياة أفضل، وأنا محقّة لو قلت لك إن نافعا قادنا إلى حالة فقر مدقع»[٣٦]، ويحافظ السّرد على ترسيخ الصّورة السّلبيّة عن «نافع»؛ فهو يتّسم بالكسل والاستسلام لتحديات الواقع، مكتفيًا بالبقاء على الأريكة والاستماع إلى الأغاني[٣٧]، في مشهدٍ يعكس خضوعه لواقعه دون محاولة تغييره. انزلق نافع إلى هاوية الهزيمة النّفسيّة، وتحديدًا أمام الآخر، إذ تُجسّد صفة «لاجئ» التي أُلصقت به عمق هذا الانكسار؛ فهو محروم من الوطن ومن الإحساس بالاستقرار؛ ما يجعل من الطّبيعيّ أن يتّسم سلوكه بالعنف والتّوتر. وقد انعكست هذه الحالة النّفسيّة المهزومة على أُسرته، التي عانت من تبعات هذا التّصدّع الدّاخليّ، كما عبّرت عن ذلك زوجته.

وتعكس شخصيّة «نديم» أنموذجًا آخرًا لازدواجيّة الأنا العربيّة؛ فهو رجلٌ متعلّم، مثقّف، يعتني بأخبار السّياسة والأدب، ويدير عيادة ناجحة، إلا أنّه في الوقت نفسه يهدم استقرار أُسرته عبر خيانته لزوجته. ويعيش تناقضًا بين كونه طبيبًا ناجحًا وعاشقًا مستترًا، متجاهلًا مسؤوليّاته تجاه أسرته، إذ يلغي مواعيد مرضاه ليستغل الوقت في لقاء «مليحة». ولا تقتصر خيانة المثقّف على بعدها الوطنيّ أو السّياسيّ، بل تتجاوز ذلك إلى خيانات متشابكة تمسّ النّسيج الأخلاقيّ والاجتماعيّ؛ بدءًا من الخيانة الزّوجيّة، مرورًا بالتّنكّر للقيم المجتمعيّة، وانتهاءً بخرق أخلاقيّات المهنة؛ كما هو الحال بالنّسبة لشخصيّة «نديم»؛ إذ يتجاوز جميع الحدود الأخلاقيّة، مستغلًا علاقته القويّة بصديقه «نافع» لخيانته مع زوجته. هذا التّصرف لا يعكس فقط خيانة الصّداقة بين الطّرفين، بل يكشف عن مدى تناقض القيم التي يدّعيها «نديم»، إذ يتفاخر بانتمائه إلى مجتمع عربيّ محافظ مغاير للمجتمع الغربيّ المنحلّ، في حين يمارس أفعالًا تُناقض ما يدّعيه. فحين التقى «مليحة» لأوّل مرّة، أسرّ لنفسه بأنّها الشّخص الذي كان يبحثُ عنه[٣٨]؛ ما يعكس رغبته العميقة في الهروب من حياته التّقليديّة، على الرغم من تعلّقه الشّديد بجذوره.

وتمثّل «مليحة» بُعدًا آخر لازدواجيّة الذّات العربيّة؛ فهي تعيش تناقضًا عاطفيًا مع «نافع» و«نديم»، مما أدّى إلى اضطراب نفسيّ وفوضى داخليّة، تنتهي بجنونها. وفي

---

[٣٦] نفسه، ص.- ص.٢٣-٢٤.
[٣٧] نفسه، ص.١٠٠.
[٣٨] جنون اليأس، ص.١٨.

ISSN: 2537-0847 eISSN: 2537-0898

لحظة وعي مريرة، تلخص «مليحة» رؤيتها للرجال العرب بعبارة تحمل دلالات عميقة: «وجهك [نديم] ماكر كمكر الثعالب ووجهه [نافع] مستكين كاستكانة الدجاج»[٣٩]؛ ممّا يعكس إدراكها العميق لتناقضهم بين المكر والخضوع، القوّة والضّعف، الرّغبة في التّغيير والاستسلام للواقع.

ويتجلّى هذا التّناقض أيضًا في موقف «نديم» إزاء الغرب؛ حيث يعيشُ في «لندن» ويجني ثروتَه من عمله هناك، لكنّه في الوقت نفسه يزدري مكان الآخر، ويراه متّسخًا، تنتشر فيه الجريمة والمخدّرات[٤٠]. وهكذا، يعكس منظور «نديم» للآخر الأجنبيّ الصّراع بين الحاجة إلى الغرب ورفضه، وهو صراعٌ يتكرّر على مستوى الواقع؛ إذ يجري الاعتماد على الحضارة الغربيّة وانتقادها في آنٍ واحد. وتجسّد شخصية «نديم» صورة المثقّف المهزوم، العاجز عن المواجهة؛ إذ تنطوي علاقته بزوجة صديقه العربيّة على رغبة دفينة في الانتقام من ذاته التي يمقتها لضعفها، ومن صديقه الذي يرى فيه انعكاسًا لجبنه وهشاشته، ومن المجتمع العربيّ بأسره. ويتعمّق هذا النّزوع الانتقاميّ ليطال الآخر الغربيّ، من خلال نظرة ازدراء تعكس صراعًا داخليًا محتدمًا تعبّر عنها الشّخصيّة. ومع ذلك، تظلّ محاولاته في استعادة ذاته المفقودة عاجزة؛ إذ ينغمس أكثر في دوائر التوتّر والهزيمة والانحراف.

وتتجسّد ازدواجيّة الذّات في رواية «نارنجة» من خلال شخصيّة «زوج سميّة»؛ إذ يبدو محبًّا لعائلته، ومع ذلك ينزلق في دوّامة العنف وسوء المعاملة. يعبّر عن حبّه لزوجته بكلماتٍ رقيقة بعد ضربها وتعنيفها قائلًا: «لا تخافي يا دميتي، أنا زوجك، أنا حبيبك، لا تخافي»[٤١]، ومع ذلك يواصل ممارسة العنف ضدّها، مبرّرًا ذلك بأعذار واهية. هذا السّلوك يكشف عن الفجوة بين الخطاب العاطفيّ والممارسة الفعليّة؛ ممّا يعمّق فكرة التّناقض بين أقوال الشّخصيّات وأفعالها، إذ تستمدّ الشخصيّة لذّتها من إيذاء من حوله، ولا سيما النّساء. فنحن أمام ذات مقهورة، مثقلة بالكرب النّفسيّ، تسعى بشكل لا واعٍ إلى التّحرر من معاناتها عبر إعادة إنتاج القهر وممارسته على الآخر/ المرأة

(٣٩) نفسه، ص.٢١٣.
(٤٠) نفسه، ص٣٢٠.
(٤١) نارنجة، ص.٧٢.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

بوصفها الطّرف الأضعف[٤٢].

وفي «كارما الذئب» تتجلّى هذه الازدواجيّة بشكلٍ أوضح في قصّة «سلّام»؛ إذ يحبّ «حميدة» لكنّه يعجز عن الزّواج بها بسبب القيود المجتمعيّة، مما يعكس عجز الفرد أمام التّقاليد. ورغم اعتراضه على زملائه العرب الذين يتهافتون على النّساء الأجنبيّات، فإنّه يقعُ في التناقض نفسه بعلاقته مع «كيكو»، فيرفض الزّواج منها؛ مما يدفعها إلى اتّهامه بأنّه مجرد مستغل مثل بقية الرّجال العرب الذين سبق أن عرفتهم وعليه ينتهي «سلّام» بقوله: أثبتّ لها وجهة نظرها «في العرب وإنني استغللتها لقضاء احتياجاتي ولذلك كنتُ أتهرب من الزواج لأني كنتُ متناقضًا مثل كل أبناء جلدتي»[٤٣]. وعليه يجعل من أنانية العرب وتناقضاتهم سببًا لكراهية الغرب لهم: «أترانا فعلًا بنينا الكراهية بتناقضاتها وأنانيتنا؟»[٤٤].

لقد تبنّى الغرب المهيمن صورة عن الشّرق، عبر مصادر مختلفة منها مدوّنات الشّعر والأدب والرّحلات، فكانت غالبًا صورة قاتمةً «أسهم الشرق بين حين وآخر في تعزيزها»[٤٥]؛ وهي الفكرة ذاتها التي تؤكّدها «كارما الذئب» من أنّ سلوك سلّام مع الآخر الأجنبيّ وتناقضاتها عزز من كراهيّة الآخر له، ونفوره منه.

ويركّز «سلام» أيضًا في موضع من محكي «كارما الذئب» على تناقض المسلمين في ممارساتهم الدّينية، إذ يشرح لصديقته الإنجليزية «ناتالي» كيف أن كثيرًا من المسلمين ينادون بالقيم الدينية لكنّهم لا يطبقونها، قائلًا: «إنني مثل الكثيرين نخالف تعاليم الدين ونتناقض مع أنفسنا لأنّنا نحب ديننا ولكننا لا نطبق تعاليمه كسلًا أو تواكلًا»[٤٦]. هذا الاعتراف الصّريح يعكس جوهر الإشكاليّة، حيث تظل القيم الدّينية في

---

[٤٢] ينظر: مصطفى حجازي، التخلّف الاجتماعيّ: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط.٩، ٢٠٠٥، ص.٨٨ في إشارته إلى إنّ نظام التّسلط والقهر، في مستوياته اللاواعية، يقود إلى تمظهرات سادوزوجية، متمثلة في ظهور طرف قاسٍ متسلّط لا يستطيع إثبات وجوده إلا من خلال قمع ضحيّته، والحطّ من قدرها، وإلحاق الأذى بها.

[٤٣] كارما الذئب، ص.٩٩.

[٤٤] نفسه، ص.١٠٠.

[٤٥] ديريك هوبود، التصورات الجنسية عن الشرق الأوسط: البريطانيون والفرنسيون والعرب، تر. ناصر مصطفى أبو الهيجاء، مرا. أحمد خريس، أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، ط.١، ٢٠٠٩، ص.١٥.

[٤٦] كارما الذئب، ص.١٥٦.

ISSN: 2537-0847 eISSN: 2537-0898

مستوى الخطاب، في حين تختلف الممارسات الحياتية تمامًا.

وهكذا تكشف هذه الرّوايات عن ظاهرة متجذّرة في المجتمعات العربيّة، حيث تعيش الذّات تناقضًا مستمرًّا بين القيم والسّلوك، المأمول والواقع، التّقدّم والتّخلف. وتؤدّي هذه الفجوة بين ما يُقال وما يُمارس إلى حالة من الفوضى النّفسيّة والاجتماعيّة، تمنع أيّ تطوّر حقيقيّ، وتُبقي المجتمعات في دائرة من التّناقضات التي يصعب كسرها، وفي الآن نفسه تعزز من صورة الأنا السّلبيّة في ذهن الآخر الأجنبيّ، وتقدّمه متخلّفًا رجعيًّا.

٤. الأنا: بين الرّجعية والفساد

قُرِن الاستعمار الغربيّ للشّرق وأفريقيا خصوصًا بادعاء غاية نبيلة متمثّلة في تحضير الشّعوب المتخلّفة، ونقلها من التّوحشّ إلى طابع المدنيّة[٤٧]. وفي جوهر الأمر، ليس هذا الادعاء إلّا وسيلة لتضليل وعي الشّعوب المستعمَرة وتكريس خضوعها للمستعمِر.

تقدّم مدوّنة الدّراسة صورةً للأنا العربيّ تحملُ في طيّاتها سمات التّخلّف، والفساد، والتّحايل على القوانين، وهو انعكاسٌ مباشر للبيئة الحضاريّة المنتمي إليها الخاضعة لعمليّات تزيف الوعي وتغييب العقل جرّاء ممارسات المستعمِر. ففي رواية «جنون اليأس»، تتمثّل هذه الصّفات في شخصيّات عديدة من بينها «مليحة»؛ إذ تقع ضحيّة لتقاليد متجذّرة في التّخلّف، إذ تُجبر على ترك دراستها والزّواج من «نافع» رغم نصائح المدرّسات لها بأهميّة التّعليم[٤٨]. ويُجسّد وصفها لبيت أسرتها بـ«مستنقع الذّباب الجائع»[٤٩] تأكيدًا للصُّورة السّلبيّة التي تحملها الذّات العربيّة عن نفسها.

وتظهر الأنا العربيّة في سياق الغربة كائنًا اعتاد غياب القانون، فإذا ما وجد نفسه في بلد متحضّر تحكمه القوانين، لجأ إلى التّحايل والالتفاف عليها. يتجلّى ذلك في الحوار الذي دار بين «نديم» و«نافع» بعد فقدان الأخير وظيفته، حيث يشجّعه «نديم» على الاستفادة من الإعانة الاجتماعية وإخفاء عمله عن الجهات الحكوميّة للحصول

---

[٤٧] برهان غليوم، الوعي الذاتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط.٢، ١٩٩٢، ص.٩١.
[٤٨] جنون اليأس، ص.٤٩.
[٤٩] نفسه، ص.٥٠.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

على دخل مزدوج: «لا أحد في هذا البلد يموت جوعًا. إن صعبت عليك أمور المعيشة، فستجد البديل في الإعانة الاجتماعية، ويمكنك الاعتماد عليها. ومن الممكن جدًا أن تجد عملًا آخر وتحتفظ بالإعانة والمعاش، إذا قررت إخفاء عملك عن الجهات الحكومية. من الأفضل أن تعمل في السر لتتمكن من تقاضي معاشين حتى تستطيع العيش أنت ومليحة في مستوى يليق بكما»[٥٠]. هذه الفكرة تعكس طبيعة الأنا العربيّ التي عانت من كسر القوانين في وطنها من النّخب الاستعماريّة، فراحت تتماهى معها وتسعى إلى استغلال الثّغرات القانونيّة عوضًا عن مواجهة التّحديات بأساليب نزيهة.

من الأمثلة الأُخرى على هذا السّلوك ما قام به «نديم» عندما اشترى ذبيحة ونقلها في حقيبة قماشيّة داخل قطار عام متجاوزًا بذلك قوانين الصّحة العامّة، هذا رغم إدراكه لاحتماليّة توقيفه، وطرحه تساؤلات داخليّة حول مدى صواب فعله، فإنّه استمر في طريقه إلى أن تمّ توقيفه والتّحقيق معه، حيث انتهى الأمر بإنذاره بالغرامة أو السّجن. غير أنّ السُّلطات أطلقت سراحه بعد أنْ رأت فيه شخصًا يعاني من خللٍ كبير «في تركيبته العقلية والنفسية»[٥١]؛ وهو تأكيد ضمنيّ لعدم استيعاب الأنا العربيّة للقوانين الحديثة أو استهتاره بها.

رغم وعي الشّخصيّات العربيّة في «جنون اليأس» بما ترتكبه من تجاوزات قانونيّة، فإنّها تبرّرها على نحو يعكس تطبيعها مع التّحايل. فـ«نديم»، مثلًا، يسعى لإقناع السُّلطات في «لندن» بتغيير سكن «مليحة» إلى حيّ أفضل، ويعلن بصراحة أنّه سيتحايل لتحقيق ذلك. وبصفته طبيبًا، استخدم منصبه لإقناع الجهات المعنيّة بأن «مليحة» بحاجة إلى رعاية صحيّة خاصة، ما مكّنها من الانتقال إلى مكانٍ أنسب. هذه الحيلة تعبّر عن الذّهنيّة التي تفضّل الالتفاف على القوانين بدلًا من العمل وفقها.

تنتشر النّميمة في مجتمع الجالية العربيّة في الرواية نفسها؛ إذ تتجسّس النّساء على «مليحة»، وينسجن القصص والشّائعات عن علاقتها بـ«نديم»؛ ليعزّين أنفسهن عن معاناتهن في الغربة. ويعكس هذا المشهد صورة مجتمعات عربيّة عالقة في فخّ القيل

---

[٥٠] نفسه، ص.٨٦.

[٥١] نفسه، ص.١٧٨.

ISSN: 2537-0847 eISSN: 2537-0898

والقال، تختلق القصص وتجترّ الشّائعات لتعويض افتقادها لحياة ذات معنى.

تتكرّر الأنماط السابقة في رواية «كارما الذّئب»؛ إذ يظهر المجتمع المحكيّ بيئة قائمة على التّمييز ضدّ المرأة والنّميمة والأخبار الزّائفة. ومن هذا التّعبير عن معاناة الشّخصيات النّسويّة من الإقصاء والاضطهاد، كما في حالة «حميدة» إذ لم تجد عونًا من مجتمعها عندما كانت فقيرة وضعيفة؛ ما اضطرّها إلى الاعتماد على نفسها للعيش وإعالة أولادها. بالإضافة إلى ذلك، تسرد الرّواية مشاهد تعكس فساد المجتمع، مثل إجبار «خديجة» على الزّواج من ابن عمها، مما دفعها لاحقًا إلى خيانة زوجها، بينما يختار الزّوج الصّمت على فعلها خوفًا من سُلطة المال التي في يد والدها.

ويتجسّد النّفاق الدّينيّ في الرّواية ذاتها في شخصيّة «أبو عمر»، الذي أطلق لحيته تعبيرًا عن ورعه، في حين واقعيًّا يتشارك السُكر مع أصدقائه؛ مبررًا ذلك بأنّ هناك خلافًا فقهيًّا في حكم النّبيذ. وتُبرز محكي «كارما الذئب» تخلّف الذّات وتحايلها من خلال إلقاء الضّوء على استهتار الأنا العربيّة بحرمة العلاقات الزّوجيّة وضرورة احترامها؛ إذ يلجأ بعض الرّجال العرب في الغربة إلى الزّواج السرّي أو إقامة علاقات غير شرعيّة، في حين يحرصون على الظّهور أمام المجتمع بمظهر المتديّنين الورعين.

تقدّم الرّوايتان - في المجمل- صورة نقديّة للأنا العربيّة في المهجر، كاشفةً عن تناقضاتها، وتحايلها، وازدواجيّتها، ما يعكس استمرار تأثير البيئة الأصليّة على الذّات رغم تغيّر المكان والظّروف.

٥. جدليّة الصّراع الحضاريّ بين الأنا والآخر:

تقدّم مدوّنة الدّراسة صورة للأنا متشظّية بين التّمسك بحضارتها ومتآمرة عليها في آن. ومن خلال الشّخصيّات السّرديّة المتناقضة، ترسم النّماذج المدروسة صورة مأزومة للواقع الثّقافيّ والحضاريّ العربيّ؛ إذ يصبح التّمسك بالهويّة مجرد قشرة سطحيّة تخفي أزمات أعمق.

وتُعدّ رواية «جنون اليأس» واحدة من أبرز النّماذج المدروسة التي تعكس تشظّي الذات العربية بين التّمسك بحضارتها والتّآمر عليها في آن واحدٍ. وقد خصّصت الرّواية مساحة مهمّة لسرد هذا الصّراع، إذ تبرز الشّخصيّة الرّئيسة، «نديم»، كمثال على

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الانتماء الحضاريّ المشوب بالتّناقض؛ فهو يصف الحضارة العربيّة بأنّها أرض «الجذور المتصدّعة»، وأنّ حنينه إليها هو سبب الأسى الذي يعيش فيه[٥٢]، ومع ذلك لا يتوقّف عن السّعي وراء كلّ ما يرمز للشّرق، متجاهلاً حاضره.

يتجلّى تناقض «نديم» في لقائه الأوّل مع «مليحة»؛ إذ أبدى لها إعجابه العميق بشقّتها ذات الطّابع الشّرقيّ، وكان يصرّ على أن أجواءها تعكس نمط الحياة الذي عاشه أهله. وإعجابه لا يكمن في تمسّكه بهويته، بل في اختزالها في مظاهر سطحيّة مثل الدّيكور واللّباس، مقابل تجاهل قيمها الجوهريّة المشكّلة أساس الحضارة. فـ«نديم» يعبّر مثلًا عن رفضه الشّديد تخلّي «مليحة» عن الزّي العربيّ وارتدائها الجينز، ومحاولتها كسر نمطيّة الحياة المنزليّة بتناول الطّعام في المطاعم، معتبرًا مثل هذه الخيارات أنّها من «أفعال الخواجات» الّتي لا تليق بمنتمٍ للشّرق وحضارته[٥٣]. ومع ذلك، لا يرى غضاضة في خيانة كلّ منهما لزوجه، وارتباطهما بعلاقة غير مشروعة أسفرت عن حملٍ سفاح.

هكذا يكرّس «نديم» مفهوم الانتماء القائم على الشّكل دون المضمون، متجاهلًا القيم والمبادئ التي تشكّل روح الحضارة. ومن جهة أُخرى، تبرز «جنون اليأس» صورة العربيّ المتآمر على حضارته من خلال السّلوكيّات التي تعزّز صورة رجعيّة وسلبيّة عن الثّقافة العربيّة في أَذهان الآخرين، سواء العرب أنفسهم أو الغرب. فـ«نديم»، رغم إدراكه لإرث الحضارة العربيّة وإسهاماتها في العلوم الإنسانيّة، ينشغل بهمٍّ وحيد يتمثّل في «المرأة» بوصفها غواية لجميع فئات المجتمع العربيّ، من المثقّفين إلى الجهلاء[٥٤]، تقلب موازين حياتهم رأسًا على عقب؛ وهو منظور يعزّز الصّورة النّمطيّة السّلبيّة عن الرّجل العربيّ في المخيّلة الغربيّة.

أمّا شخصيّة «مليحة»، فتمثّل الحضارة العربيّة من جهة، والتّآمر عليها من جهةٍ أُخرى. فقد رُسمت رمزيّتها للشّرق من خلال ارتباطها بـ«نديم» واحتفاظها بملامح ثقافيّة تقليديّة، لكنّها في ذات الوقت تجسد التّآمر على الشّرق من خلال سرقتها

(٥٢) نفسه، ص.٨١.
(٥٣) نفسه، ص.١٤٤.
(٥٤) نفسه، ص.١٩٦.

ISSN: 2537-0847 eISSN: 2537-0898

المنحوتات والمقتنيات الأثريّة التي كان «نديم» يجمعها، وبيعها بأسعار زهيدة في شوارع «لندن». وتمثّل المقتنيات رمزاً لتمسك المهاجرين بجذورهم الحضاريّة، إذ كان نديم يقتنيها بحبٍّ بالغ، ويتأسّف أنّها سُرقت وهُرّبت إلى الغرب. غير أن «مليحة»، التي أُصيبت بخللٍ ذهنيّ في نهاية الرّواية، خرّبت هذا التّراث بنفسها بسرقته وبيعه؛ ممّا أتاح للأجنبيّ امتلاك كنوز الشّرق مجدّدًا بأبخس الأثمان؛ إذ أقبل المارّة، وعلى رأسهم الإنجليزيّ «شارلي»، لشراء هذه القطع منها دون أن تُدرك قيمتها.

يتعزّز معنى التّآمر على الحضارة العربيّة من خلال استغلال الآخر الأَجنبيّ حالة الانهيار النّفسيّ والضّعف الذي أصاب الذّات العربيّة؛ فتتعرّض «مليحة» للاستغلال الجنسيّ أثناء رحلتها لبيع المقتنيات، في مشهدٍ يعكس انتهاكًا لأخصّ ما يمثّل «شرفًا مصونًا» في الثّقافة العربيّة. ومع كلّ هذا، لا تقدّم الرّواية أيّ أمل في استعادة الهويّة أو إعادة إحياء الحضارة، إذ تظهر الأجيال الجديدة مكرّرة ذات نموذج الهويّة المأزومة؛ وهي فكرة برزت من خلال شخصيّة الابن غير الشّرعي لـ«نديم» من «مليحة»، الذي ورث عن والده تفوّقه الأكاديميّ في الطّب، لكنّه في الوقت ذاته لم يكن سوى انعكاس لحياة والده المضطربة.

ويستمرّ هذا التّناول لمسألة التّآمر على الحضارة في روايات أُخرى مثل «ظلّ هيرمافروديتوس» و«أصابع مريم»، حيث يتجلّى التّآمر في استغلال الوطن ونهب مقدّراته؛ فالتّآمر على الوطن هو تآمر على الحضارة، والعكس صحيح، إذ أنّ انهيار أَحدهما يؤدّي ضرورة إلى ضعف الآخر. ففي «أصابع مريم»، تبرز صورة الوطن الذي يحرم أبناءه من حقوقهم الأساسيّة؛ مما يدفعهم إلى الفوضى والضّياع النّفسيّ، بينما تكون السّلطة متآمرًا حقيقيًّا على الوطن والحضارة؛ عن طريق اختزالها في شخصيّات عديمة الكفاءة همّها الوحيد الوجاهة الاجتماعيّة.

وتبرز في «كارما الذّئب» مواقف تمسّك الشّخصيّات بالوطن رغم الإحباطات والخيبات التي تواجهها. فشخصيّة «سلّام» درست وعاشت في أَمريكا، ثمّ اختارت العودة إلى الوطن لإنشاء مركز للفيزياء النّوويّة، رغم تحذير الآخرين له من سذاجة هذا القرار. وبالفعل، بعد عودته، وجد نفسه مكبّلاً بالبيروقراطيّة والمهمّات الإداريّة العقيمة، ما جعله يصفُ عودتَه بـ«خيبة الأمل»، قبل أن يقرّر العودة مجدّدًا إلى أمريكا

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

في إجازة بحثية. ورغم انتماء الشّخصيّة للوطن، فإنّ تمثيله للهويّة العربيّة لم يكن نقيًّا، إذ تجسّد في شخصه النّموذج التّقليديّ للرّجل العربيّ المنجذب للعلاقات العاطفيّة العابرة، وتأثّر بالغرب تأثّرًا واضحًا في هيأته وسلوكه ظنّ إثرهما سائق التّاكسي في المطار أنّه أجنبيّ، وتعمّق التّشظّي بين التّمسك بهويته وانسلاخه منها من وصفه نساء قريته بعد عودته بعبارات تعكس نظرة دونيّة كاشفة عن تناقضه بين تعلّقه الظاهر بوطنه، وعمق تأثّره بالمجتمع الغربيّ ما يشفّ عن مأزق في هويّة الشّخصيّة.

وفي الرّواية ذاتها، نجد شخصيّة «حميدة» تتشبّث بالحياة في «لندن» رغم زعمها حبّها لوطنها، وترى أنّ حياتها الجديدة أكثر راحة وسهولة، بل وتفتخر بأنّ أبناءَها باتوا أشبه بالإنجليز، ممّا يجسّد حالة الانفصال عن الهويّة والانسلاخ التّدريجيّ عنها.

وفي النّهاية، تعكس «كارما الذّئب» نتائج التّضييق الذي يفرضه الوطن على أبنائه، إذ لا يجدون أمامهم سوى الهجرة، أو العيش في صراع بين الانتماء والاستلاب، أو اللّجوء إلى العنف. وقد تجسّد ذلك في الرّواية عبر ثلاث صور: هجرة «حميدة» و«سلّام» إلى «لندن» و«أمريكا»، ومعاناتهما من أزمة هويّة، وانفجار اليأس في صورة أعمال عنفٍ؛ إذ أقدم شبّان عاطلون عن العمل في مجتمع المحكيّ على خطف سفينة سياحيّة لإجبار المسؤولين على توفير الوظائف، ليُعقّب السّارد على هذا الحدث قائلًا: «قد يصنع اليأس جنونًا لا نفهمه نحن حتى نعيشه»[٥٥].

وهكذا، تُظهر هذه الرّوايات كيف أن الذّات العربيّة تقف في مواجهة أَزمتها الحضاريّة بين التّمسك بالمظاهر الخارجيّة لهويّتها وانتمائها الحضاريّ، وبين التّخلّي عن جوهرها، ممّا يضعها في دوامة لا تنتهي من الضّياع والتّآمر الذّاتيّ الذي يعمّق من أبعاد أزمتها الوجوديّة.

٦. الأنا والخرافة:

قد تلجأ الذات المأزومة حضاريًّا إلى الشعوذة والخرافة بوصفهما آليّات دفاعيّة بديلة لمواجهة تحدّيات الواقع. ويعكس هذا الانكفاء على الوسائل اللّاعقلانيّة حالة من الانهيار الدّاخلي للذّات والاستسلام القسري له؛ إذ تغدو الخرافة ملاذًا أَخيرًا في مواجهة

[٥٥] كارما الذئب، ص.١٢٤.

ISSN: 2537-0847 eISSN: 2537-0898

واقع لا يُحتمل[٥٦].

ومن بين التّمثيلات البارزة للأنا العربيّ في مدوّنة الدّراسة علاقته بالدّجل والخرافة والشّعوذة للتّمويه عن عجزه وفشله في التّعامل مع الواقع؛ إذ تُحاكي هذه التّمثيلات صورةً معقّدة عن الفشل في إيجاد حلول واقعيّة لمعضلات الحياة، وتُعكس عجز الذّات عن التّأقلم مع المشاكل الحياتيّة في سياقات متعدّدة؛ سواء كانت صحيّة، أو اجتماعيّة، أو نفسيّة.

ومن ذلك ظهور الأنا العربيّ في رواية «نارنجة» في صورة عاجزة عن مواجهة المشاكل الصّحيّة التي تواجهه وعليه يلجأ إلى الخرافات سبيلًا للعلاج؛ فحين أصيبت الجدّة بالرّمد عالجها بـ«أعشاب الجهل» والتّخلّف[٥٧]؛ ما أفقدها بصرها، ثمّ مضتْ عمرها تحلم بالسّفر للعلاج واستعادة بصرها، لكنّها مُنعت من السّفر، ثمّ حين تيسّر لها طلب العلاج من الطّبيب الإنجليزيّ «طومس» صُدمت بحقيقة قاسية هي أنّ العلاج لن يستعيد بصرها بالكامل؛ مما يُظهر الفجوة بين الحلول السّطحيّة والعلاج الفعّال. هذه الواقعة تعكس بشكل رمزيّ تراجع الأنا العربيّ في مواجهة تحدّياته الصّحيّة وكيف يتخلّى عن الاعتماد على العلم لصالح الخرافات.

وفي سياق مشابه، تقدّم رواية «ظلّ هيرمافروديتوس» تمثيلًا آخر للأنا العربيّ الذي يواجه مأزقًا ثقافيًّا واجتماعيًّا بسبب الظّروف الاستثنائيّة التي يعجز المجتمع عن تفسيرها أو تقبّلها. ففي هذه الرّواية، تجد «سعاد» نفسها في حالة عجز عن البُكاء بخلاف بقيّة الأطفال، ما يثير قلق والديها وتنمّر المجتمع عليها بنعتها بـ«الجنيّة». وهنا، يُعتمد على «امرأة مسنّة» لتعمل لها «حجابًا» لعلاجها[٥٨]؛ ما يعكس الاتجاه نحو الحلول الرّوحانيّة غير المجدية. وعندما تُكتشف حالة «سعاد» كحالة غير تقليديّة من حيث هويّتها الجسديّة، يُلجأ إلى «دجّال» آخر يعرض تفسيرًا غريبًا، قائلاً عن صحة الابنة: «محد سلم من نغزة الشيطان غير مريم بنت عمران وولدها عيسى، وبنتك»[٥٩]،

---

[٥٦] مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، سابق، ص.١٣٩.

[٥٧] نارنجة، ص.١٠٩.

[٥٨] ظل هيرمافروديتوس، ص.١٣.

[٥٩] نفسه، ص.٩.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ثمّ ينعتها ساخرًا إنّها قد تكون «المسيح الدجّال»[٦٠]؛ مُتبعًا بذلك تفسيرًا شعبيا يعكس انعدام الفهم العلميّ لمرضها. ومع ذلك يدعي قدرته على علاجها، فيزودهم بوصفة علاجيّة بعد أنْ وصل إلى أنّ عينًا أصابتها، ويغلّف وصفته بغلاف الدّين إذ نصحها بتلاوة آيات بعينها في أوقات بعينها بأعداد معيّنة، وينصحها بالتزام الدوران حول البيت سبع مرّات عكس عقارب السّاعة، والجري من البيت إلى المسجد سبع مرّات، وحين لم يؤتِ طبّه نتيجة أرجع السبب إلى احتمال عدم التزامها التّام بوصفته العلاجيّة[٦١] ويسانده الأهل بتصديقهم موقفه؛ وهي إشارات واضحة إلى التّمسك بالحلول الميتافيزيقية رغم عدم فعاليتها.

ويتعاملُ الأب مع مرض ابنته في «ظلّ هيرمافرديتوس» كـ«فضيحة» قد تسيء إلى شرف العائلة، تقول «سعاد» السّاردة: «يتعامل أبي مع الأمر كفضيحة قد تطال شرفه»[٦٢]، مما يعكس المنظور الاجتماعيّ السّلبيّ تجاه الحالات التي لا تنسجم مع المألوف؛ إذ يُعتقد أنّ المرض النّفسيّ أو الجسديّ يجب أن يُخْفَي أو يُعالَج بطريقة تتوافق مع ذهنيّة المجتمع وطريقة تفكيره، وعليه يميل الأبُ إلى اللّجوء إلى الدّجّالين لحلّ مشكلة ابنته الصّحيّة. ورغم أنّ «سعاد» تصبح لاحقًا ممرضة، فإنّها تُواجه استهجانًا كبيرًا تجاه أيّ علاج نفسيّ؛ ذلك لأنّ «المرض النفسي حتى مع متعلمينا يعني عيبًا ما ونقصًا بشخصك»[٦٣] – كما تقول؛ ممّا يعكس ربط الوعي المجتمعيّ الصّحة النّفسيّة بالعزلة الاجتماعيّة أو العيب.

تتكرّر صورة العلاج بالخرافة والشّعوذة في «كارما الذّئب»، عندما يُصاب «نبيل» بالصّرع؛ إذ ينعته النّاس بالجنّي، ويقولون عنه بأنّ جنيًّا «توطّنه»[٦٤]، ويُمنعون أطفالهم من الاقتراب منه خوفًا من أن يصيبهم بـ«جنّه وشياطينه». وبهذا تجسّد هذه الصّورة ردود الفعل الشّعبيّة تجاه المرض العقليّ أو الجسديّ في المجتمع المسرود؛ إذ لا يكون المرض جزءًا من الواقع الطّبيّ الذي يمكن فهمه أو معالجته

(٦٠) نفسه، ص.١٠.
(٦١) نفسه، ص.ص.١٨- ١٩
(٦٢) نفسه، ص.٢٢.
(٦٣) نفسه، ص.١١٧.
(٦٤) كارما الذئب، ص.١٤.

ISSN: 2537-0847 eISSN: 2537-0898

بأساليب علميّة، بل يُربط بخرافات وأفكار ميتافيزيقيّة.

وتؤكّد هذه الفكرة ما تتبنّاه الدّراسات الاجتماعيّة والنّفسيّة من استيلاء الخرافة في المجتمعات المتأزّمة على وعي الفرد بفعل نكوصٍ نفسيّ يعاني منه المقهور؛ الأمر الذي يعيده إلى تفكير طفوليّ يخلط الحقائق بالأوهام والرّغبات، ويجعله أسيرًا لذاتيّته ويُمارس بدوره تسلّطًا فكريًّا وسلوكيًّا على الضّعفاء[٦٥].

هكذا تُظهر مدوّنة الدّراسة حالة من التّهقهقر الفكريّ والاجتماعيّ أَمام تحدّيات الصّحة النّفسيّة والجسديّة، الأمر الذي يعكس رفضًا متأصّلًا للاعتراف بالحلول العلميّة الحديثة. في هذه الأَمثلة المذكورة أَعلاه، تظلّ الخرافة والشّعوذة الخيار الأمثل في مواجهة المجهول، ويظلّ الأنا العربيّ عاجزًا عن تبنّي مسالك علميّة في فهم الواقع والتّعامل مع مشكلاته الصّحيّة والنّفسيّة والواقعيّة المختلفة؛ ممّا يعكس استمرار تأثير الموروثات الرّجعيّة على نظرة الأَنا إلى العالم وفهمه. فماذا عن أبرز أنماط تمثيلات الآخر الأجنبيّ في مدوّنة الدّراسة؟

ثالثًا: تمثيلات الآخر الأجنبيّ

تتنوّع تمثيلات «الأجنبيّ» في الرّواية النّسوية العُمانيّة مدوّنة الدّراسة، إذ ظهر بوصفه عنصرًا دالًا على الآخر المختلف ثقافيًّا وتاريخيًّا، وقد اتّخذ هذا التمثيل أشكالًا متعدّدة تراوحت بين النّظرة العنصريّة، وصورة المستعمِر، وتجسيد المتحضّر المتفوق، وصولًا إلى تمثيله جسدًا فاتنًا، مشتهًى ومثيرًا للفضول والرّغبة. تكشف هذه التّمثيلات تعقيد العلاقة التي تربط الذّات العربيّة/ العُمانيّة بالآخر الغربيّ، كما تعكس الصّراعات الدّفينة بين الطّرفين. ويبدو أن مدوّنة الدّراسة لم تتعامل مع «الأجنبيّ» بوصفه مجرّد شخصيّة هامشيّة أو محايدة، بل حمّلته دلالات رمزيّة مرتبطة بإرث الاستعمار، وسرديات التّفوّق الحضاريّ، فضلًا عن إسقاطات حسيّة وجسديّة تعبّر عن تصوّرات مشوّشة ومتناقضة تتقلّب بين كونه تهديدًا للهويّة من جهة، ومصدرًا للفتنة والانبهار من جهة أخرى، ما يجعل حضوره في السّرد محفوفًا بدلالات مزدوجة

[٦٥] انظر مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، سابق، ص.١٤٠-١٤١.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

تتراوح بين الإدانة والانجذاب.

وعليه، فإنّ تمثيلات الأجنبيّ في هذه المدوّنة لا تقتصر على البُعد السّياسيّ أو الاجتماعيّ، بل تمتدّ إلى العمق النّفسيّ والثّقافي، كاشفة عن أنماط من التّوتّر والخوف والافتتان، ومعبّرة عن علاقة غير متكافئة ومحمّلة بتاريخ من الهيمنة والمقاومة بين الطّرفين.

وفي هذا السّياق، نتناول الأنماط البارزة لتمثيل الأجنبيّ كما تجلّت في الرّوايات محلّ الدّراسة، ونعرضها فيما يلي:

١. الآخر عنصريًّا

تفاوتت معالجات المدّونة في تصوير الآخر الأجنبيّ من منظور عنصريّ؛ إذ ركزت بعض النّماذج على إبراز الأجنبيّ في صورة متعالية ينظر إلى العرب بدونيّة، بينما قدّمت نماذج أُخرى صورة معاكسة تمامًا، حيث يظهر الأجنبيّ متسامحًا، لا يميّز بين العربيّ والغربي.

تبرز رواية «جنون اليأس» بوصفها إحدى أكثر الأعمال إلحاحًا على إبراز عنصريّة الأجنبيّ، ويتجلّى ذلك من خلال رفض الأُم الإنجليزيّة "مورين" الاعتراف بأبوة «نديم» العربيّ لأطفاله، مُصرّة على نسبتهم لعائلتها، وهو موقف يكشف نزعةً عنصريةً واضحة يحملها الأجنبيّ تجاه العربيّ. ومن المشاهد الرّمزيّة الدّالّة على هذه العنصريّة، نفور كلب مرافِق لامرأة إنجليزيّة من «نافع» لمجرد اقترابه منه، دون أيّ سببٍ آخر ظاهرٍ، وهو موقف يعكسُ القطيعة الحادّة بين الطّرفين. الأدهى من ذلك، أنّ صاحبة الكلب لم تعتذر، بل سارعت بالهرب مع كلابها، خشية المساءلة القانونيّة، في إشارة إلى استمراريّة الفجوة بين الثّقافتين، ونزعة فوقيّة الأجنبيّ ضدّ العربيّ.

وفي المقابل، لا يقتصر سبب النّفور بين الطّرفين على الأجنبيّ فحسب، بل يقابله نفور مماثل من العربيّ نفسه، إذ ظلّ «نديم» متحفّظًا تجاه أطعمة زوجته الإنجليزيّة، متذمّرًا من افتقارها إلى النّكهات الشّرقيّة المألوفة لديه. كما أبدى استياءه من تحوّل شخصيّة «مورين» بعد الزّواج من امرأة متسامحة إلى شخصيّة متعجرفة متشدّدة، وهو ما يعكس تأثير الفروقات الثّقافيّة والاجتماعيّة في توسيع الهوّة بين الأنا والآخر.

إضافة إلى ذلك، يعاني العربيّ من هيمنة الأجنبيّ وممارسته نوعًا من الاستعلاء

ISSN: 2537-0847 eISSN: 2537-0898

عليه، ويتجلّى ذلك في طرد «نديم» من غرفته بقرار من زوجته الإنجليزيّة، وهو موقف يعزّز فكرة التّهميش الذي يعاني منه العربيّ في ظلّ علاقاته المتوتّرة مع الآخر الغربيّ، وقد عبرت الرّواية عن هذه الفكرة من خلال سرد فشل «نديم» في اختبار إعادة تشكيل صورة العربيّ، وعجزه عن تقديم نفسه بوصفه ندًا إنسانيًّا وحضاريًّا للآخر العربيّ؛ فكان طبيعيًّا أنْ تتجسّد هذه العنصريّة في عزله؛ إذ بات محاصرًا داخل غرفته الضيّقة بين الكتب والأعمال الأدبيّة العربيّة، بينما يستمع لأغاني أمّ كلثوم وسيّد درويش؛ في تعبير عن محاولته البقاء متّصلًا بهويّته.

تتجاوز العنصريّة الغربيّة الأفراد لتنعكس في تخطيط المدن، إذ تعكس أحياء لندن في «جنون اليأس» طبقيّة واضحة مرتبطة بأصول السكّان ومستوياتهم الاجتماعيّة. يظهر ذلك من خلال انتقال «مليحة» من «فندق المهاجرين» إلى شقّة متواضعة في «شبرد بوش»، ثمّ انبهارها بثراء الأحياء التي يسكنها الإنجليز، ممّا يعكس التّفاوت الصّارخ في مستوى المعيشة بين السكّان الأصليّين والمهاجرين. كما تجسّد الرّواية بدقّة الفجوة بين الطّبقات الاجتماعيّة في المجتمع الغربيّ، إذ تعيش الطّبقات الغنيّة في عزلة عن بقيّة الفئات الفقيرة.

وتمتدّ هذه العنصريّة إلى نظرة الإنجليز للمهاجرين، إذ يعبّر بعضهم عن استيائهم من استحواذ الأجانب على ممتلكات وثروات يرون أنّهم أحقّ بها من غيرهم، كما عبّر أحد الإنجليز لـ «نافع» عن دهشته من كون العربيّ يعيش في منزلٍ فخم بحديقة، وهو ما يعكس استنكارًا ضمنيًا لامتلاك المهاجرين سبل الرّفاهية والعيش الكريم في البلد الجديد.

في المقابل، تسعى بعض الرّوايات ضمن المدوّنة إلى تقديم صورة مختلفة عن الأجنبيّ، كما في «ظلّ هيرمافرديتوس» التي تصوّر الآخر الغربيّ على أنّه متسامح ومنفتح. يظهر ذلك من خلال العلاقة بين «سعاد» العُمانيّة والأمريكيّة التي استضافتها في منزلها وجعلتها فردًا من عائلتها، وكذلك زواج «أوليفيا» الأمريكيّة من «ناصر» العُمانيّ، رغم اختلاف ديانتهما، وتقبّلها لثقافته إلى حدّ اختيار اسم عربيّ لابنهما، ما يعكس إمكانيّة التّقارب بين الثّقافات.

وتُبرز الرّواية ذاتها دور الأجنبيّ في تفهّم ودعم الأفراد المختلفين، إذ كان

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الأمريكيّون وحدهم من تفهّموا معاناة «سعاد» المرضيّة، ولم يوصموها بالشّذوذ كما فعل مجتمعها العربيّ. وبذلك، تتجاوز الرّواية الصُّورة النّمطيّة للأجنبيّ العنصريّ، وتُبرز جانبًا أكثر تقبلًا للاختلاف بين الأنا والآخر.

وتتناول رواية «كارما الذئب» العلاقة بين الأمريكي «بيتر» والعُماني «سلام»، ورغم عنايتها بإبراز الودّ والانسجام بين الطّرفين، فإنّها تتضمن أيضًا إشارات إلى عنصريّة الأجنبيّ ضدّ أيّ مختلفٍ عنه، كما في اقتراح «بيتر» على «سلام» زواج من أمريكية، مستخدمًا توصيفات تمثّل تمييزًا عنصريًّا.

تسلّط الرّواية ذاتها الضّوء - في منحى مشابه- على تجربة «حميدة» في لندن، وما واجهته من نظرات الرّيبة والحذر من المجتمع الغربيّ بسبب ارتدائها لباسٍ يشفّ عن هويّتها العربيّة والدّينيّة، لتضطرّ أخيرًا التّخلي عن هذا الجزء الظّاهر من هويّتها للاندماج في الثّقافة الغربيّة، ما يعكس الضّغوط التي يمارسها الغرب على القادمين من مجتمعات مختلفة.

هكذا، تعكس المدوّنة تنوّع تمثيلات الأنا للآخر الأجنبيّ، بين تقديمه في صورة عنصريّة متعالية، وبين إبرازه طرفًا متسامحًا قادرًا على مدّ جسور التّواصل، ممّا يعكس تباين الرُّؤى بشأن طبيعة العلاقة بين الشّرق والغرب.

٢. الآخر مستعمرًا

مثّل الآخر الأجنبيّ في مدوّنة الدّراسة قوّة استعماريّة مهيمنة تتّخذ صورًا متعدّدة، تتجلّى في العلاقة بين الشّخصيّات العربيّة والغربيّة؛ إذ ظهر الغربيّ بوصفه داعمًا في بداية علاقته بالعربيّ لكنّه غالبًا ما يستغلّ هذا الدّعم لفرض هيمنته. تعبّر رواية «جنون اليأس» عن هذه الهيمنة من خلال شخصيّة الإنجليزيّة «مورين» التي كانت عاملًا مساعدًا في نجاح «نديم نصرة»؛ إذ تولّت «تدبّر أمور حياته وحياة أولاده وشؤون المنزل، بينما ينصبّ اهتمامه على الكسب المادي»[٦٦]، مما سمح له بالتّركيز على الكسب الماديّ والنّجاح في عمله. لكن هذا الدّعم لم يكن خالصًا، بل استحال لاحقًا إلى وسيلة سيطرة على الأسرة، إذ أصّرت «مورين» على أن يحمل الأبناء اسم عائلتها

[٦٦] جنون اليأس، ص.١٢.

ISSN: 2537-0847 eISSN: 2537-0898

ورفضت أيّ صلة لهم بهويّة والدهم وثقافته العربيّة. تقول له «بعنجهيّة»: «سمر وأيمن سيحملان اسم عائلتي المعرّفة بعائلة داكوارث»[٦٧]. لقد استندت «مورين» عمومًا في علاقتها بـ«نديم» إلى فكرة تفوّق الغرب، مذكّرةً زوجها العربيّ بأنّه في إنجلترا، ويتوجب عليه الامتثال لقوانينها[٦٨]، مهدّدةً إياه بالطّرد وحرمانه من أبنائه، ممّا حوله إلى كائن معزولٍ في منزله، يعيش كالسّجين.

يقول نديم: «البيت الذي أسكن فيه هو بمثابة مملكة خاصّة لزوجتي، تضع فيه ما تختاره هي من أثاث على النمط الإنجليزي، وهو خالٍ تمامًا من أي نكهة عربية»[٦٩]، ثم تطوّر الأمر بأن عزلته «مورين» في غرفة الغسيل «التي تقع في الركن البعيد من أركان حديقة المنزل في مكان يشبه حظيرة الحيوانات الأليفة، يأكل ويشرب وينام بحيث لا يشعرون بوجوده»[٧٠]؛ في إشارة إلى إقصائه وتهميش دوره الأسريّ.

وفي السّياق ذاته، تظهر شخصيّة الإنجليزيّة «جوليا» كمثالٍ آخر لاستغلال الآخر الأجنبيّ لعلاقته بالعربيّ في الرّواية ذاتها. فقد استضافت «نديم» في بداياته في «لندن»، وساعدته في تعلم الإنجليزية، لكنّها اعتبرت ابتعاده عنها لاحقًا خيانةً لها، مما يعكس شعورًا بالتّملك والهيمنة على مصيره. هذا الإحساس بالسّيطرة يظهر مجددًا في شخصيّة «شارلي»، الذي يتجسّد في صورة المستعمر المتربّص، مستغلًا كلّ فرصة للهيمنة على الشرق ونهب مقتنياته الأثريّة. يتبدّى ذلك في محاولته الاستيلاء على الآثار والمقتنيات الشّرقيّة التي سرقتِها «مليحة» وعرضتها للبيع، متعاملًا مع «مليحة» بتعالٍ وتحكم، ليصل الأمر إلى قتله «نديم»؛ في إشارة واضحة إلى استمرار إخضاع الشّرق لهيمنة الآخر الغربيّ وجبروته، ودور الشّرق نفسه في التّواطؤ ضدّ حضارته وتفريطه في مكتسباته وإرثه التاريخيّ لأسباب منها الجهل والجشع.

يسعى الغربيّ في منظور العربيّ لفرض هويّته على العربيّ، ومن ذلك أنّه وراء فرض سروايل الجينز كموضة على شعوب العالم، و«بكلّ أسف قَبِلها النّاس دون تفكير ومراجعة»[٧١]. وحين أرادت «مليحة» أنْ تغيّر ملابسها إلى هذا الشّكل الجديد رفض

---

[٦٧] نفسه، ص.٢١٨.
[٦٨] نفسه، ص.٢١٨.
[٦٩] نفسه، ص.- ص.٨٠-٨١.
[٧٠] نفسه، ص.١٤٠.
[٧١] نفسه، ص. ١٣٤.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

«نديم» الأمر، واعتبر رغبتها انجرارًا لهيمنة الغرب على الشّرق، واستعماره عقول أبنائه، وزعزعة تمسّكهم بقيمهم وثقافتهم وهويّتهم.

ويمتدّ هذا الاستعمار إلى بُعد دينيّ في رواية «نارنجة»؛ إذ تستغل زوجة الطّبيب الإنجليزيّ «طومس» ضعف المجتمع وجهله بمحاولتها فرض معتقدها الدّينيّ على المرضى المرتادين مستشفى زوجها في مطرح؛ فتمنح الجدّة العربيّة نسخة من الإنجيل، وبسبب عدم إلمام الجدّة بالقراءة، بقي الكتاب مخفيًّا بين مقتنياتها حتّى بعد وفاتها، لتجده «زهور» لاحقًا وبداخله بطاقة كُتبت عليها عبارة: «مخافة الربّ بداية الحكمة»[٧٢]؛ ما يشير إلى اختراق ثقافيّ دينيّ في محاولة لاستبدال هويّة الآخر بهويّة المستعمِر.

وفي رواية «أصابع مريم»، تتّخذ العلاقة بين الشّرق والغرب شكلًا أكثر تعقيدًا؛ إذ يعبّر «حمد» عن انبهاره بالحضارة الغربيّة، ويرى أنّ المرأة في الغرب حازت حقوقَها بخلاف المرأة العربيّة التي يراها مضطهدة بسبب الدّين والعادات. في المقابل، ترفض «مريم» هذه الفكرة، وترى فيها امتدادًا لهيمنة الغرب على أفكار الشّرق وتوظيفها وسيلةً لتفكيك الأسرة العربيّة كما حدث في المجتمعات الغربيّة التي فقدت تماسكها الاجتماعيّ بسبب «مذبح النفعيّة العلماني»[٧٣]. يعزّز المحكيّ هذا الطّرح من خلال مشهد تخلّي «حمد» عن دينه، وتقاليده، وزيّه العُمانيّ لصالح قيمٍ دخيلة، وملابس غربيّة، وهو ما تراه زوجته دلالة على فقدان الهوية والانتماء[٧٤].

تظهر هذه الهيمنة الثّقافيّة في شتّى مناحي الحياة، من التّربية الأسريّة إلى تفاصيل الحياة اليوميّة، إذ يعتمد الأب «حمد» على الأساطير الغربيّة في توجيه بناته، مستحضرًا قصّة «سكيلا» الإغريقية[٧٥]، بما يعكس تبعيّته الفكريّة للغرب وموروثه الفكريّ، في حين تعيش أُسرته في صراع بين التّمسك بهويّتها العربيّة وانسياقها خلف ثقافة الآخر التي يروّج لها الأب. كما يظهر أثر الاستعمار الثّقافيّ في تبنّي الشّخصيّات للأدب الغربيّ في التّعبير عن معاناتهم، سواء عبر الاستشهاد بالشّعر الإنجليزيّ

---

[٧٢] نارنجة، ص. ٩٨.

[٧٣] أصابع مريم، ص.٢٦.

[٧٤] نفسه، ص.٧٣.

[٧٥] نفسه، ص.-ص.١٣٠-١٣١.

ISSN: 2537-0847 eISSN: 2537-0898

والفرنسيّ[٧٦]، أو من خلال مشاهدة المسلسلات الأجنبيّة[٧٧] كمؤشّر على التّحضر.

وفي «كارما الذّئب» مثّل الآخر مستعمرًا ومهيمنًا من خلال محاولته محو غيره ثقافيًّا وفرض أَنماطه الحياتيّة وقيمه الاستهلاكيّة؛ إذ تغلغلت هذه الهيمنة في التّفاصيل اليوميّة لحياة الشّخصيّات، ما يعكس عمق تأثير الثّقافة الغربيّة على الأفراد المهاجرين. فقد فرض الآخر المستعمر ماركاته الباهظة الثّمن، وطابع حياته اليوميّة؛ ومن ذلك أنْ لجأ «سلام» إلى التّركيز على وصف الملابس الفاخرة التي ترتديها «حميدة» حين صادفها في أَمريكا، إذ أصبحت مظهرًا أساسًا من مظاهر هويّتها الجديدة. فحقائبها من ماركة دولتشي أند جابانا، وتسوّقها من متاجر الففث أفنيو الرّاقية، وشربها ماء إفيان المستورد، وشراؤها أسهمًا في أسواق البورصة العالميّة، كلّها تجلّيات لهذا التّماهي مع الثّقافة الاستهلاكيّة الغربيّة، إلى جانب تحدّثها الإنجليزيّة بطلاقة، واعتمادها على التّسوق عبر الإنترنت، ممّا يعكس محاولة محو ماضيها واندماجها القسريّ في بيئة الآخر المستعمِر.

ورغم هذا الاندماج في المجتمع الغربيّ، تبدو «حميدة» غير راضية تمامًا عن نمط الحياة الجديد؛ تقول لـ«سلام» مثلًا: «العالم صار معزولاً حتى في بيوتنا. أولادي يمسكون تلفوناتهم المحمولة في الصالة وبالكاد نلقى وقت نتكلم. يلعبون بالحاسوب أو بألعاب الفيديو ولا يتكلمون...» [٧٨]، وهذا التّصريح يعكس المفارقة بين الحلم بالرّفاهية الغربيّة والواقع الاجتماعيّ القاسي الذي فرضته تلك الثّقافة، إذ تحوّل طابع حياتها من البساطة والاندماج بعد انتقالها من الجبل إلى «لندن»، إلى مظهرٍ جديد لم تألْفه متمثّلًا في العزلة؛ بوصفها إحدى سمات الحياة الغربيّة التي جعلتها تشعر بانفصال تدريجيّ عن ذاتها الأصليّة وهويّتها السّابقة.

لم تقتصر هيمنة الأجنبيّ على «حميدة» وحدها، بل امتدّت إلى أبنائها، الذين كانوا أسرع خضوعًا للآخر واندماجًا في ثقافته، فتبنّوا نمط حياة مختلفًا تمامًا عن الذي عاشوه في سنّيّ حياتهم المبكّرة. ومن مظاهر هذا الاندماج أنّهم أتقنوا الإنجليزيّة، وتبنُّوا الموسيقى الغربيّة، وتطوّرت علاقاتهم الاجتماعيّة لتشمل أصدقاء أجانب، ممّا جعلهم

[٧٦] نفسه، مثلا: ص.١٣٧، و ص.١٦٩.
[٧٧] نفسه، مثلًا: ص.٧٥.
[٧٨] كارما الذئب، ص.١١٣.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

جزءًا لا يتجزّأ من النّسيج الثّقافيّ الغربيّ؛ وهو ما يعكس سرعة تأثّر الجيل الجديد بالثّقافة الاستعماريّة دون وعي كافٍ بأبعاد هذا التّأثير.

وفي هذا السّياق، يبرز دور التّاجر «أبي عمر» الذي خبر حياة «لندن» طويلًا قبل زواجه من «حميدة» فنصح زوجته قائلاً: «إذا أردتي أن تعيشي في لندن مثل الانجليز احترمي ثقافتهم»[٧٩]، وهي نصيحة تحمل في طيّاتها دعوة إلى الاندماج الكامل في ثقافة الآخر، وفي الوقت ذاته تعكس استسلامًا صريحًا للآخر، وكأنّ الهويّة الأصليّة لم تعد قابلة للحفاظ عليها في ظل النّظام الثّقافيّ الغربيّ المسيطر. إنّ هذا الاستعمار الثّقافيّ لم يفرض نفسه بالقوّة فقط وعلى نحوٍ مباشر، بل تسلّل عبر القيم الاقتصاديّة والاجتماعيّة والأنماط الاستهلاكيّة، إذ يصبح الاندماج مع ثقافة الآخر ليس مجرّد خيار، بل شرطًا للبقاء والنّجاح في المجتمع الجديد.

هكذا تقدّم «كارما الذئب» نموذجًا متكاملًا للاستعمار الثّقافيّ الحديث، لم تعد الهيمنة الاستعماريّة تقتصر فيه على الاحتلال العسكريّ أو الاستغلال الاقتصاديّ المباشر، بل باتت تتمثّل في سيطرة نمط الحياة الغربيّ على الأفراد، حتّى في تفاصيل حياتهم اليوميّة، من الملابس والطّعام والتّكنولوجيا، وصولًا إلى القيم والمعتقدات والعلاقات الأُسريّة، وهو ما يجعلُ هذا الشّكل من الاستعمار أكثر تعقيدًا وأعمق أثرًا على الهويّة الفرديّة والجماعيّة.

تعكس هذه الرّوايات، إذن، صراعَ الهويّات بين الانبهار بالغرب والتّمسك بالجذور؛ تمثّل الشّخصيّات العربيّة محاولات متفاوتة للتّعامل مع هذه الهيمنة، فمنهم من يستسلم تمامًا لها، ومنهم من يحاول مقاومتها دون نجاحٍ كامل، وكلّ هذا يرسّخ الآخر الأجنبيّ بوصفه قوّة استعماريّة مؤثّرة على وعي الشّرق وهويّته.

٣. الأحلام والفرص

يتشكّل تصور الذّات عن الآخر الأجنبيّ تاريخيًّا، ولكنّه يستند أيضًا إلى أنماط إنسانيّة أصلية وعابرة للزّمن، وهي أساس مخيالنا الإنسانيّ إزاء الآخر[٨٠]. ومن هذا،

---

[٧٩] نفسه، ص.٢١٨.

[٨٠] أسماء العريف بياتريكس، الآخر أو الجانب الملعون، ضمن كتاب: صورة الآخر: العربي ناظرًا ومنظورًا إليه، تح. الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط.١، ١٩٩٩، ص.٩٠.

ISSN: 2537-0847 eISSN: 2537-0898

فإنّ صورة الآخر الأجنبيّ في وعينا ولا وعينا ترسّخت بفعل حقب الاستعمار بين الشّرق والغرب، وليست وليدة اللّحظة.

تظهر هذه الفكرة في الأعمال الرّوائيّة المدروسة من خلال تقديم صورة الآخر الغربيّ محورًا رئيسًا ساهمت في تشكيلها جملة من الأحداث والتّصوارات التّاريخيّة والتّجارب الإنسانيّة، الأمر الذي أثّر في تشكّل وعي الشّخصيّة العربيّة؛ فظهر الآخر الغربيّ، مكانًا خصوصًا، بوصفه فضاءً لتحقيق الذّات والخلاص من قيود الواقع المحليّ، غير أنّ هذه الصّورة تخضع لاختبارات الواقع فتتباين النّتائج بين تحقيق النّجاح وخيبة الأمل.

يتّضح هذا في رواية «جنون اليأس»؛ إذ يشكّل الآخر الغربيّ مفتاح النّجاح الذي ينقذ «نديم نصرة» من الفشل والشّعور بالدّونيّة، بعد أن وفّر له بيئة تمكينيّة ساعدته على تجاوز محدوديّة الفرص في وطنه الأُم، وعليه لم يكن ليحقّق نجاحه في «لندن» لولا مساعدة شخصيّات غربية، مثل السيّدة الإنجليزيّة «جوليا» وزوجته «مورين»، اللّتين قدّمتا له الدّعم الذي لم يكن متاحًا له في مجتمعه الأصليّ. غير أنّ الرّواية لا تغفل التّناقض الكامن في هذه الرّؤية؛ فبينما يحظى «نديم» بمسار ناجح بفضل دعم الغرب، تكتشف «مليحة» أنّ تعليق العربيّ تحقيق آماله على الغرب ليس إلّا سرابًا؛ إذ تواجه ظروفًا معيشيّة قاسية تناقض التّصورات المثاليّة التي حملتها عن «لندن» قبل سفرها إليها. فمجرّد وصولها «لندن» قادمة من وطنها العربيّ عاشت في غرفة صغيرة داخل فندق مزدحم باللّاجئين والمهاجرين[٨١]، ما ضاعف شعورها بالعزلة والخيبة، وجعلها تعيش نفورًا مستمرًّا مع زوجها الذي فقد عمله ولم يتمكّن من تحقيق ما كانت تطمح إليه من رخاء معيشيّ. تقول مخاطبة زوجها: «كيف ترضخ للواقع وأنت تعيش في لندن مدينة الفرص والطموحات التي لا حدود لها؟ الفرد هنا يعطى الحرية المطلقة وتُهيأ أمامه الظروف»[٨٢]. هذه المفارقة تعكس رؤية نقديّة للصّورة النّمطيّة التي تروّج للغرب كمصدر خلاصٍ نهائيّ؛ إذ يظلّ النّجاح رهينًا بعوامل متعدّدة تتجاوز حدود الجغرافيا والأحكام النّمطيّة.

أمّا في رواية «ظلّ هبرومافرديتوس»، فيقدّم الآخر الغربيّ بوصفه حضنًا متفهّمًا

[٨١] جنون اليأس، ص.٣٧.
[٨٢] نفسه، ص.٥٦.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

مقارنةً بالمجتمع العربيّ الذي تتّسم نظرته بالصّرامة والتّقليديّة. تسلّط الرّواية الضّوء على تجربة الشّخصيّة «سعاد» إذ ترى أمريكا فضاءً يتقبّل اختلافها ويمنحها الأمان. تصفُ الشّخصيّة «بنسلفانيا» بأنّها مدينة «الحبّ الأخويّ»[٨٣] رغم تعدّد الأعراق فيها، والنّاس فيها ليسوا «مثل العرب» الذين يتحيّزون للخلاف والمواقف على حساب الحب[٨٤]. وتكرّر في غير موضع معنى أنّ هذه المدينة الأمريكيّة «تحتوينا حين تنفينا إليها أخرى، إنها كالبشر تمامًا، نفشل في حبٍّ فيتلقفنا آخر، نضيع في طريق فيدلنا غيره»[٨٥]، وهو تشبيه يعكس مدى الألفة التي شعرت بها في هذا المكان الجديد. تعزّز هذه التّجربة فكرة الغرب بوصفه ملاذًا آمنًا للأنا، إذ تتقاطع الأبعاد الثّقافيّة والاجتماعيّة لتعزيز الفردانيّة والتّسامح، وهو طرح يحمل في طيّاته نقدًا ضمنيًّا للمنظومات المجتمعيّة التّقليديّة التي ترفض الاختلاف. وتظهر شخصيّات أُخرى تدعم رؤيتها الإيجابيّة للغرب، مثل المرأة الأمريكيّة التي وفّرت لها السّكن، وصديقتها «أوليفيا» ذات الأصول العربيّة، التي تفهّمت معاناتها كما لم يفعل أحدٌ من قبل في وطنها، بالإضافة إلى الطّبيب الأمريكيّ الذي شخّص حالتها بوضوح ودون إطلاق الأَحكام عليها، وساعدها في العلاج.

أمّا في «أصابع مريم»، فيتكرّر الدّافع للهجرة بوصفه وسيلة لتحقيق الأحلام والهروب من قيود الواقع. إذ رغم صعوبة الاغتراب، تكتشف «نوال» في «كندا» أنّ الوطن الجديد يتيح لها آفاقًا أوسع، ممّا يعكس التّوتر المستمرّ بين الحنين للوطن والرّغبة في تحقيق الذّات خارجه[٨٦]. على الرّغم من شعورها بالغُربة والتّهجير، فإنّها تجد أنّ كندا أخرجتها «من شرنقة الحياة الضّيقة إلى حياة أكثر اتساعًا»[٨٧]. هذا التّناقض بين المعاناة والفرص يعكس إشكاليّة الانتماء التي تواجهها الشّخصيّات العربيّة المهاجرة، إذ يصبح الآخر الغربيّ بديلاً عن الوطن لا فقط على المستوى الجغرافيّ، بل أيضًا على مستوى الهويّة وتحقيق الآمال والتّطلّعات. وتبرّر «نوال» رحيلها بقولها: «لم أكن أبغي البقاء حبيسة داخل قوالب جاهزة تقيد أحلامي ورغباتي، وأشياء كثيرة لا

(٨٣) ظلّ هيرمافرديتوس، ص.٩٠.
(٨٤) نفسه، ص.٩١.
(٨٥) نفسه، ص.٨٩.
(٨٦) أصابع مريم، ص.٢٠٥.
(٨٧) نفسه، ص.٢٠٥.

ISSN: 2537-0847 eISSN: 2537-0898

حصر لها أمام طموحي وتطلعي...» [٨٨]، ممّا يعكس سعيها المستمرّ للخروج من قيود المجتمع المحليّ.

ويتّخذ الآخر الغربيّ في «كارما الذّئب» طابعًا علميًّا ومعرفيًّا، إذ يشكّل بوابة لتحقيق التّميز الأكاديميّ. ومن ذلك تجربة «سلام» في الغرب إذ تُظهر التّقدّم العلمي والانضباط المؤسسيّ اللذين يفتقدهما في بلده، لكنّه في النّهاية يصطدم بحقيقة أنّ الآخر الآجنبيّ ليس مثالياً كما تصوّر في البداية. فقد حصل على فرصة نادرة للتّدرب في مركز «سيرن» الأوروبي لفيزياء الجسيمات النووية[٨٩]، وأذهلته المختبرات المجهزة والتّقدير الذي لقيه هناك، ممّا عزز لديه صورة الغرب بوصفه أرض المعرفة والفرص العلميّة. وقد خيّبت عودته إلى وطنه آماله؛ إذ لم يجد بيئة علميّة تحتضن طموحاته، فاضطرّ للسّفر إلى أمريكا لمواصلة أبحاثه في معهد .MIT لكن رغم تفوّقه الأكاديميّ، اصطدم بالواقع الرّأسماليّ القاسي الذي لا يمنح الفرص بسهولة، ليجد نفسه في وضعٍ غير مستقرّ، يعمل بعقود بحثيّة مؤقّتة لا تضمن له الأمان الوظيفيّ.

وتنظر «حميدة» في «كارما الذّئب» إلى الآخر الأجنبيّ بوصفه مكانًا لتحقيق الذّات والثّراء، إذ تستغلّ انتقالها مع زوجها إلى «لندن» لإكمال دراستها، ثمّ تستثمر بذكاء في الأسواق الماليّة، حتّى يصبح زوجها نفسه يعتمد عليها في إدارة استثماراته. وهنا، يصبح الآخر الغربيّ فضاءً لتحقيق الاستقلاليّة الاقتصاديّة، وليس مجرّد مكان للهروب أو البحث عن فرصة.

إجمالًا، تعكس الرّوايات المدروسة جدليّة العلاقة بين الأنا والآخر، إذ تتراوح هذه العلاقة بين الأمل والإحباط، وبين النّجاح والانكسار. يتّضح أنّ صورة الغرب ليست موحّدة أو ثابتة، بل تتفاوت بين كونه ملاذًا ومنفى، حلمًا وكابوسًا، ممّا يجعل هذه الأعمال تطرح تساؤلات أعمق حول معنى الانتماء، وحدود الهويّة، وإمكانيّة تحقيق الذّات في سياقات ثقافيّة مغايرة. ويظهر أنّ تحقيق الأحلام في الغرب ليس أمرًا مضمونًا، بل هو مشروط بتحدّيات الواقع، سواء على المستوى المهنيّ، أو الاجتماعيّ، أو النّفسيّ. بذلك، تتجاوز هذه الرّوايات التّصوّرات السّطحيّة للغرب، لتقدّم مقاربة نقديّة

[٨٨] نفسه، ص.٢٠٦.
[٨٩] كارما الذئب، ص.٦٩.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

تتّسم بالعمق والتّعقيد.

٤. جدليّة الحضارة والإنسانيّة

يُقدَّم الغربيّ في مدوّنة الدّراسة بوصفه متحضرًا تحكمه القوانين، بينما يظهر العربيّ في كثير من الأحيان مخالفًا لهذه القوانين، إمّا بدافع الجهل بها أو بسبب موقفه السّلبيّ منها. في «جنون اليأس»، نجد أن القوانين الصحية التي تهدف إلى الحفاظ على الصحة العامة في «لندن» تُقابَل بكسرها من قِبل العربي «نديم»؛ إذ حمل ذبيحة في القطار العام، مما أثار ذعر الركاب واستدعى تدخّل الشرطة، التي أخلت سبيله بعد التحقق من حالته العقليّة. وعلى الرّغم من موقفه السّلبيّ تجاه القانون، إلّا أنّ «نديم» نفسه يُثني على القوانين حين يستغلّها لصالحه، مثل تأكيده على أهميّة تطعيم الكلاب ضدّ داء السّعار في إنجلترا، ممّا يعكس ازدواجيّة التّعامل مع القوانين وفقًا للمصلحة الشّخصيّة.

تمثّل الرّواية الآخر الغربيّ رمزًا للحضارة والتّقدم، إذ يعود الفضل في نبوغ «نافع» العلميّ إلى فرص التّعليم والتّدريب التي وفّرتها له إنجلترا، كما أنّ التّقدم الطّبيّ هناك مكّن زوجته «مليحة» من تحقيق حلمها في الإنجاب عبر التّلقيح الصّناعيّ، وهو ما يعكس مدى تطوّر الطّب في الغرب مقارنةً بوطنه الأصليّ. ولا يقتصر هذا التّقدم على الطّب فقط، بل يشمل القوانين التي تحفظ الحقوق، والتي على الرّغم من كونها تُستخدم أحيانًا كأداة ضغط، كما فعلت «مورين» مع زوجها، إلا أنّها تبقى جزءًا من النّظام الذي يحقّق العدل في المجتمعات الغربيّة.

إضافة إلى ذلك، تُبرز الرّواية نظام الحماية الاجتماعيّة في الغرب، إذ تمكّن «نافع» من تأمين معيشته بعد فقده وظيفته بفضل هذا النّظام، كما حصل على شقّة بمساعدته، مما يعكس دور الدّولة في ضمان حياة كريمة للأفراد. غير أنّ بعض الشّخصيّات العربيّة تحايلت على هذه القوانين، مستفيدةً من النّظام الغربيّ، بأساليب غير قانونيّة، ممّا يبرز تعقيد العلاقة بين الأنا العربيّ والآخر الغربيّ، إذ تُستغل القوانين لتحقيق مكاسب فرديّة بدلاً من تطبيقها كما ذكرنا سابقًا.

وفي «نارنجة»، يُنظَر إلى الآخر الغربيّ نظرة إعجاب لقدرته على تحقيق المعجزات، كما كان الحال مع طبيب الإرساليّة الإنجليزيّة «توماس/ طومس»، الذي

ISSN: 2537-0847 eISSN: 2537-0898

ذاع صيته بين النّاس، فكانوا يرونه أقرب إلى القدّيسين الذين يمتلكون قدرة خارقة على الشّفاء[٩٠]. لكن الرّواية تكسر هذه الصّورة النّمطيّة من خلال سرد فشل الطّبيب في علاج الجدة[٩١]، ممّا يؤكّد أن الغرب، رغم تقدّمه، لا يمتلك حلولًا لكلّ المشكلات. هذه المقاربة النّقديّة تُبرز موقفًا أكثر توازنًا تجاه الغرب، إذ لا يُنظر إليه كقوّة مطلقة، بل بوصفه كيانًا له نجاحاته وإخفاقاته.

وتبرز الرّواية ذاتها إلحاح الغربيّ في تقديم نفسه متقدّمًا في كلّ شيء، بما في ذلك معالجة الحزن، إذ تنصح «كريستين» صديقتها العربيّة «زهور» بالذّهاب إلى معالج نفسيّ[٩٢]، لأنّ ثقافتها تؤمن بوجود حلّ لكلّ مشكلة، وهو ما يوضح الفارق في منظور كلّ طرف للحياة والمشكلات النّفسيّة. ومع ذلك، تظلّ اللّغة حاجزًا بين الأنا والآخر، إذ تشعر الشّخصيّة العربيّة بعدم قدرتها على التّعبير بوضوح لدى الطّبيب المعالج الذي ظلّ لا «يرى إني [زهور] معاقة، إني مربوطة إلى كرسيّ المعاقين: عجز اللّغة عن احتوائي»[٩٣]، ممّا يعزّز الفجوة بين الثّقافتين ويؤكّد أنّ الانفتاح على الغرب لا يعني الذّوبان التّام فيه.

أمّا في «ظلّ هيرمافرديتوس»، فتظهر إنسانيّة الغرب من خلال تقبّله للآخر المختلف، إذ أن المجتمع الغربيّ قدّم لـ«سعاد» العلاج والتّشخيص الذي افتقدته في مجتمعها الأصليّ، حيث كانت تُعامل بنظرة منبوذة بسبب حالتها الطّبية[٩٤]. يتجلّى هذا التّقبّل أيضًا في تعامل سيّدة أمريكيّة معها بحبّ وتعاطف، ممّا يدفع «سعاد» للمقارنة بين انفتاح الغرب وانغلاق مجتمعها الذي يرفض المختلف ويقصيه. كما أنّ هذه الرّواية تبرز كيف أنّ البيئة الغربيّة قدّمت لها فرصة جديدة في الحياة، بعيدًا عن نظرات التّنمر والرّفض التي واجهتها في وطنها، مما يجعلها ترى الغرب ليس فقط كمصدر للتّقدم العلميّ، بل أيضًا ملاذًا إنسانيًّا يحترم الفرديّة والاختلاف.

هذه النّظرة الإيجابيّة للغرب تظهر كذلك في «أصابع مريم»، إذ يعبّر «حمد» عن

---

[٩٠] نارنجة، ص.٩٧.
[٩١] نفسه، ص.١٧.
[٩٢] نارنجة، ص.٦٢.
[٩٣] نفسه، ص.٦٣.
[٩٤] ظلّ هيرمافرديتوس، ص.-ص.٩٢-٩٣.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

انبهاره بتقدّم الغرب، ويراه نموذجًا للتّحضر والحريّة والقانون، مقارنةً ببلده الغارق في الصّراعات والتّخلف. فالغرب، في نظره، هو المكان الذي يتيح للنّاس حريّة الفكر، والتّعبير، ويهتمّ بالتّطور العلميّ والتّقنيّ، ويسنّ القوانين التي تنظّم حياة النّاس، بينما تفتقد بلاده لهذه العوامل، ما يجعله يشعر بالإحباط من مجتمعه الذي يظلّ عالقًا في صراعات تقليديّة تعيق تقدّمه.

ويبرز «سلّام» في «كارما الذّئب» مظاهر تحضّر الغرب من خلال تقدّمه العلميّ وتخطيطه الحضريّ وقوانينه التي تحمي حقوق الإنسان. غير أنّ هذا الإعجاب مشوب بانتقاد الإعلام الغربيّ المضلّل وسياسته البراغماتيّة، مما يكشف عن نظرة غير أحاديّة للغرب. ورغم الفرص التي أتاحها الغرب لـ«سلام»، فإنّه أدرك أنّ هذا التّقدير قائم على المنفعة، حيث لا تظهر «الماكينة الأمريكيّة»[٩٥] الكثير من الإنسانيّة إلا إذا كان ذلك يخدم مصالحها. يقول: «أخبرني معظم زملائي العرب بأن الماكينة الأمريكية لا تتوقف عن التطلب ولا تظهر الكثير من الإنسانية إلا إذا كان ذلك يصب في مصالحها العامة»[٩٦]. يتأكّد هذا الأمر حين تُجبر زوجته «ناتالي» على الاستقالة من عملها بعد مضاعفات حملها؛ ما يؤكّد أنّ قوانين السّوق والرّبح قد تطغى على البُعد الإنسانيّ في بعض المواقف.

إضافة إلى ذلك، تعكس الرّواية كيف أنّ الفرص التي يتيحها الغرب قد لا تكون دائمًا بلا ثمن. ففي حين أن «حميدة» استطاعت تحقيق النّجاح الاقتصاديّ من خلال استثمارها في سوق المال، فإنّ ذلك جاء ضمن إطار استغلال الفرص الاقتصاديّة التي يتيحها النّظام الغربيّ وليس بدافع إنسانيّ بحت، مما يعكس طبيعة الرّأسماليّة الغربيّة التي قد تبدو جاذبة من الخارج، لكنّها في جوهرها قائمة على المصالح والتّنافس.

هكذا، تعكس هذه الرّوايات صورًا متباينة عن الآخر الغربيّ، تجمع بين الإعجاب بتقدّمه وانتقاد ممارساته، مما يخلق توازنًا في الطّرح الأدبيّ بين الانبهار والوعي النّقديّ. يظهر الغرب في هذه الأعمال بوصفه فضاءً للتّقدم والحريّة، لكنّه أيضًا ليس مثاليًّا، إذ أنّ بعض مظاهر التّعامل الإنسانيّ فيه قد تكون مشروطة بالمصلحة والمنفعة.

---

[٩٥] كارما الذئب، ص.١٧٨.
[٩٦] نفسه، ص.١٧٨.

ISSN: 2537-0847 eISSN: 2537-0898

كما تسلّط هذه الرّوايات الضّوء على الفجوة بين القيم الغربيّة والعربيّة، ممّا يعكس تعقيد العلاقة بين الأنا والآخر في الرّواية المدروسة، إذ لا يكون اللّقاء بين الثّقافتين مجرّد احتفاء مبالغ به بالغرب، بل هو مساحة للتّفاعل، والصّراع، وإعادة تعريف الهويّة.

٥. غواية الجسد

يمثّل الجسد عنصرًا محوريًا في بنية الخطاب الاستعلائي الذي تعتمده الذات العربيّة في تمثيلها للآخر الغربي. فعلى الرغم من الانجذاب الظاهري للجسد الغربي وما يحمله من دلالات جماليّة، فإنّ هذا الانجذاب يتقاطع مع خطاب ثقافي يُعلي من شأن العفّة والحشمة، ويعدّهما من القيم المؤسِّسة للهوية الأخلاقيّة العربيّة. ويؤدّي هذا التداخل بين الإعجاب الجسدي والمواقف القيميّة إلى بلورة تصوّر خاص في الذّهنيّة العربيّة، يتمثّل في النّظر إلى الرّجل الغربيّ بوصفه يفتقر إلى «الغيرة» التي تُعدّ، وفق هذا النّسق الثّقافيّ، إحدى الرّكائز التّعريفيّة للرّجولة.

وانطلاقًا من هذه الفكرة، قُدّم الجسدُ في المدوّنة الرّوائية قيد الدّراسة بوصفه عنصرًا محوريًا في تمثيل الآخر الأجنبيّ، حيث تتجلّى المرأة الغربيّة رمزًا للغواية والتّحرر، فيما تُصوَّر المرأة العربيّة برزانتها واحتشامها. ويعكس هذا التّمثيل نظرة الأنا العربيّ إلى الآخر الأجنبيّ ضمن إطارٍ تتداخل فيه الرّغبة والاغتراب والتّوتّر الثّقافيّ، والنّزوع نحو التّنفيس عن مكبوتات الذّات.

في رواية «جنون اليأس»، يعكس حبّ «نديم نصرة» للإنجليزيّة «مورين» وجاذبيّة جسدها تجسيدًا للرّغبة في الآخر الغربيّ، إذ يسرد لاحقًا خلاصة تجربته إلى «مليحة» قائلاً: «ما أقوله الآن خلاصة تجارب طويلة ومعايشة لصيقة في مجتمعات الغرب وثقافته وطرق تفكيره يتطلب من المرأة الغربيّة إغواء الرجل وإثارته جنسيًا، لأن نظرته لها تقوم على الشهوة، في عالم يستند إلى المادة أكثر من الروح»[٩٧]. ويُبرز هذا التّصور العلاقة بين الجسد الغربيّ باعتباره موضع إغواء وبين الأنا العربيّ الذي يرى في هذه العلاقة منفذًا للتّنفيس عن مكبوتات المجتمع الشّرقي.

أمّا في رواية «نارنجة»، فإن استعادة «زوج سميّة» لذكرياته أثناء دراسته في

[٩٧] جنون اليأس، ص.١٣٥.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أستراليا تكشف عن تجربة مختلفة لكنها تنسجم مع التمثيلات السابقة؛ حيث يصف «بمرح أجساد البنات اللّواتي كنَّ يتهالكن عليه»[٩٨]. هذا المشهد لا يعكس فقط انجذاب الأنا العربيّ إلى المرأة الغربيّة، بل يُظهِر كذلك نظرة الأنا العربيّ إلى الغرب كفضاء تحرّر جسديّ يتناقض مع البيئة التّقليديّة التي جاء منها. لقد وقعت الرّؤية العربيّة للمرأة الغربيّة ضحية للتنميط الجسديّ، والمعروف أنّ «الصورة النّمطية تؤدي إلى تحيز (Bias) في العمليات المعرفية المختلفة التي تكتنف عملية الإدراك الاجتماعي»[٩٩] ومن هذا المنطلق تهافتت الأنا الذّكوريّة العربيّة في المدوّنة غالبًا خلف تحيّزها السّلبيّ للجسد الغربيّ.

وفي رواية «ظلّ هيرمافرديتوس»، يظهر الزّواج وسيلةً لتجسير الفجوة بين الشّرق والغرب، إذ يتزوّج «ناصر» من الأمريكيّة ذات الأصول الفلسطينيّة «أوليفيا»، مقيمًا علاقته على ما يشفّ المحكيّ عن انبهار الأنا بجسد االآخر دون غيره. لكن زواجهما يظلّ محكومًا بعاملين: الأوّل، تردّده في إخبار عائلته، «فالخوف من ردة فعلهم لا يزال مسيطرًا عليه»[١٠٠]، ممّا يعكس القلق العميق من رفض المجتمع الشّرقيّ لهذه العلاقة، انتحار «أوليفيا» رغم إنجابهما ثلاثة أطفال، وهو ما يمكن قراءته بوصفه مؤشرًا على استحالة التّوفيق بين الثّقافتين رغم مساعي التّقارب بينهما.

وفي «أصابع مريم»، يتجلى بعدٌ أعمق للعلاقة بين الأنا العربيّ والآخر الغربيّ. فرغم تجاوز العلاقة بين «ناصر» والرّوسيّة «ماريز» حدود الانبهار الجسديّ بالمرأة ظاهرًا وتركيزها على تقدير شخصيّة الأجنبية وثقافتها، إلا أنّ الرّواية تؤكّد في مواضع أُخرى على مركزيّة الجسد في هذه العلاقة بين الطرفين. فالجسد، وفقًا للسّرد، لا يمثّل عنصر إغواء فقط، بل هو أيضًا وعاء للهويّة والتّاريخ، كما تبرز ذلك عبارة «إنّ الأجساد تختزن التّاريخ، وجسدك هو تاريخك...» [١٠١] التي حضرت في ذهن «ناصر» بمجرّد التّفكير في «ماريز» بعد سنوات.

---

[٩٨] نارنجة، ص.٧١.

[٩٩] حلمي خضر ساري، المرأة كآخر: دراسة في هيمنة التّنميط الجنسانيّ على مكانة المرأة في المجتمع الأردنيّ، ضمن كتاب: صورة الآخر: العربيّ ناظرًا ومنظورًا إليه، سابق، ص.٧٦٣.

[١٠٠] ظلّ هيرمافرديتوس، ص.١٤٧.

[١٠١] أصابع مريم، ص.٩٥.

ISSN: 2537-0847 eISSN: 2537-0898

وتؤكّد رواية «كارما الذئب» هذا الطّرح عبر شخصية «سلّام»، إذ يلاحظُ افتتان زملائه العرب في أمريكا بالنّساء الغربيّات، وتهافته خلف «الأمريكيات الجميلات الشقراوات»[١٠٢]، بينما ينشغل هو بأبحاثه. ومع ذلك، يجد نفسه منجذبًا إلى زميلته اليابانيّة «كيكو» بسبب ذكائها وجمالها ولكنتها الإنجليزيّة[١٠٣]، لكنّه يختار إبقاء العلاقة ضمن حدود العاطفة العابرة؛ دلالةً على تمسكه بجذوره ورغبته في العودة إلى وطنه. ومع عودته إلى أمريكا مجدّدًا، تتكرّر تجربة الانجذاب الجسديّ بين الطّرفين عندما يلتقي بـ«ناتالي» الإنجليزيّة، ليقرّر الزّواج بها لاحقًا.

من خلال هذه النّماذج الرّوائيّة، يتّضح أنّ الجسد ليس مجرّد أداة للرّغبة، بل هو أيضًا موضع للتوتّر الثّقافيّ والهويّاتيّ. فالمرأة الغربيّة تُصوَّر غالبًا ضمن ثنائيّة الإغواء والتّحرر، فيما تُصوَّر المرأة العربيّة برمزيّة الاحتشام والخصوصيّة الثّقافيّة. ومع أنّ العلاقات بين الأنا العربيّ والآخر الأجنبيّ تتنوّع في مدوّنة الدّراسة بين الانبهار العابر، والعشق العميق، والزّواج الذي يهدف إلى تجاوز الفجوة الثّقافيّة، فإنّ الجسد يظلّ محورًا أساسًا لهذه التّمثيلات، ليعكس في نهاية المطاف الإشكاليّات العميقة بين الشّرق والغرب، ليس فقط على مستوى العلاقات العاطفيّة، بل أيضًا على مستوى الهويّة والانتماء.

أخيرًا: خاتمة

عبرت الكاتبات العُمانيّات عن العلاقة بين «الأَنا» العُمانيّ – العربيّ مقابل «الآخر» الأجنبيّ عبر خطابهن الرّوائيّ في أبعادها الثّقافيّة والسياسية والاجتماعية التي كان لها الأثر الأكبر في تشكل الأعمال الروائية النّسويّة العُمانيّة محلّ الدّراسة.

ظهرت تمثيلات «الأَنا» العُمانيّ – العربيّ مقابل «الآخر» الأجنبي في الرّواية النّسويّة العُمانيّة بين ٢٠١١ و٢٠٢١ عبر الأنا الغارقة في الملذات الحسية، والأنا بين الذكر والأنثى: الهشاشة والعورة، والأنا المنفصمة: التناقض الأخلاقي الخفي، والأنا الرجعية والفساد، وجدلية الصراع الحضاري بين الأنا والآخر، والأنا والخرافة.

عبرت الروايات المدروسة عن الآخر الأجنبي عبر العديد من التمثيلات أهمها: الآخر عنصريا، والآخر مستعمرا، والأحلام والفرص، وجدلية الحضارة والإنسانية،

[١٠٢] كارما الذئب، ص.٧٥.
[١٠٣] نفسه، ص.٧٦.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وغواية الجسد.

يضع السرد النسوي - محل الدراسة- تحت مجهره النقد الذاتي حيث يشي إلى أنه يحتاج إلى رؤية واضحة تسهم في تشكيل هوية عربية خالصة على أن يؤخذ في الحسبان التمسك بخصوصيتها، فكان من الضروري أن يصبح السرد وسيلة في الآن ذاته؛ لكشف تناقضات المجتمع العربي، حيث تعيش الأنا صراعا مستمرا بين ثنائية السلوك والقيم، والواقع والمأمول، والرجعية والتقدم.

أظهرت الرّوايات النسوية - محل الدراسة- صراعًا للهويّات بين الانبهار بالغرب والتّمسك بالجذور؛ فحاولت شّخصيّاتها العربيّة - الممثّلة للأنا- محاولات متباينة للتّعاطي مع سطوة الآخر وهيمنته؛ بوصفه قوّة استعماريّة مؤثّرة على وعي الشّرق وهويّته، فمنهم من يُسلّم له تماما، ومنهم من يحاول مقاومته نسبيًّا.

يدور محكي المرأة في المتن الرّوائيّ النّسويّ - محلّ الدّراسة- حول موضوع الجسد، بوصفه محورًا لتمثّلات العلاقة بين الأنا والآخر وموضعًا للتوتّر الثّقافيّ والهويّاتي، فيصبح الجسدُ مؤثّرًا وفاعلًا من فواعل العمل الرّوائيّ النّسويّ، بل منفذًا نحو استكشاف الهويّة العربيّة بحمولاتها الثّقافيّة المؤسّسة في العلن على منطق الانفتاح والانطلاق والاحتشام.

ISSN: 2537-0847 eISSN: 2537-0898

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

١- غالية آل سعيد، **جنون اليأس**، ط١ بيروت، رياض الريس، ٢٠١١.

٢- جوخة الحارثي، **نارنجة**، ط١، بيروت، دار الآداب، ٢٠١٦.

٣- بدرية البدري، **ظِل هيرمافروديتوس**، ط١، لندن، دار عرب، ٢٠١٨.

٤- عزيزة الطائي، **أصابع مريم**، ط١، الكويت، دار الفراشة، ٢٠٢٠.

٥- بدرية الشحي. **كارما الذئب: فيزياء ٢.** ط١، بيروت، دار سؤال، ٢٠١٩.

المراجع:

١- طارق الطيّب، **صورة الأنا – الآخر في الرواية وفي الحياة (تجربة شخصيّة وأدبية)**، ضمن: صورة الأنا والآخر في الرواية، ط١، الشارقة، دائرة الثّقافة والإعلام، ٢٠١١.

٢- محمد بن يحيى أبو ملحة، **التيارات الفكرية في الرواية السعودية والموقف من الآخر**، ضمن: تمثيلات الآخر في الرواية العربيّة، ط١، بيروت، دار الانتشار، ٢٠١٠.

٣- روجر آلن، **الرواية العربيّة: كتابة تاريخها ولزوم إعادة كتابة تاريخها**، ضمن: صورة الأنا والآخر في الرواية، ط١، الشارقة، دائرة الثّقافة والإعلام، ٢٠١١.

٤- محمد نجيب العمامي، **صورة الآخر في بواكير الرواية العربية**، ضمن: تمثيلات الآخر في الرواية العربيّة، ط١، بيروت، دار الانتشار، ٢٠١٠.

٥- إدوارد سعيد، **الاستشراق: المفاهيم الغربيّة للشّرق**، تر. محمد عناني، ط١، القاهرة، رؤية للنّشر والتّوزيع، ٢٠٠٨.

٦- ديريك هوبود، **التصورات الجنسية عن الشرق الأوسط: البريطانيون والفرنسيون والعرب**، تر. ناصر مصطفى أبو الهيجاء، مرا. أحمد خريس، ط١، أبوظبي، أبوظبي للثقافة والتراث: مشروع كلمة، ٢٠٠٩.

٧- بيار بورديو، **الهيمنة الذكورية**، تر. سلمان قعفراني، مرا. ماهر تريمش، ط١، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٩.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

٨- جميل حمداوي، **صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي العربي، مجلة الأزمنة الحديثة**، المغرب، ع.٣-٤، أكتوبر ٢٠١١.

٩- شيماء نجم صفر، **تشظي الذات وتحلل الشخصية وعلاقتهما بالكرب النّفسي**، ط١، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠١٤.

١٠- مصطفى حجازي، **التخلّف الاجتماعيّ: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور**، ط٩، بيروت، المركز الثقافي العربي،٢٠٠٥.

١١- برهان غليوم، **الوعي الذاتي**، ط٢، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٢.

١٢- أسماء العريف بياتريكس، **الآخر أو الجانب الملعون، ضمن كتاب: صورة الآخر: العربي ناظرًا ومنظورًا إليه**، تح. الطاهر لبيب، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩.

١٣- حلمي خضر ساري، **المرأة كآخر: دراسة في هيمنة التّنميط الجنسانيّ على مكانة المرأة في المجتمع الأردنيّ**، ضمن كتاب: **صورة الآخر: العربيّ ناظرًا ومنظورًا إليه**، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩.

ISSN: *2537-0847* eISSN: *2537-0898*

تشيع أبي نواس: حقيقة أم افتراء؟
تحليل النصوص وتفنيد الروايات

The Shiism of Abu Nuwas: Fact or Slander?
Analysis of Texts and Refutation of Narrations

إعداد

كريم يُسْري عِزَّت محمود حافظ

Karim Yousry Ezzat Mahmoud Hafez

باحث، قسم اللغة العربية وآدابها ـ كلية الآداب ـ جامعة عين شمس

Doi: 10.21608/mdad.2025.445275

استلام البحث	٧/ ٦ /٢٠٢٥
قبول النشر	١٢ / ٧ / ٢٠٢٥

حافظ، كريم يُسْري عِزَّت محمود (٢٠٢٥). تشيع أبي نواس: حقيقة أم افتراء؟ تحليل النصوص وتفنيد الروايات. ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٩ (٣٠)،١٤٩- ١٧٠.

http://mdad.journals.ekb.eg

ISSN: *2537-0847* eISSN : *2537-0898*

تشيع أبي نواس: حقيقة أم افتراء؟
تحليل النصوص وتفنيد الروايات

الملخص:

يتناول هذا البحث مسألة تشيّع الشاعر أبي نواس (الحسن بن هانئ) من خلال مقاربة تحليلية نقدية للروايات التاريخية والنصوص الشعرية المنسوبة إليه، في سياق جدليّ طالما شغل الدارسين والباحثين في التاريخ الأدبي والمذهبي. وقد استهلّ البحث بتمهيد يعرض الخلفية التاريخية للخلاف بين السنة والشيعة، ومفاهيم عقدية أساسية لدى الشيعة، مثل التقية، والولاء والبراء، والبداء، وتحريف التفسير، بما يُعين على فهم السياق العقائدي للروايات التي تناولت انتماء أبي نواس.

يناقش البحث الروايات التي نسبت إلى أبي نواس مديحه للإمام علي بن موسى الرضا، مستعرضًا موقف بعض المصادر الشيعية التي اعتبرت ذلك دليلاً على تشيّعه، في مقابل إنكار علماء مثل ابن تيمية والقرطبي صحة هذه الروايات، إما لضعف أسانيدها أو لتناقضها مع سياق حياة الشاعر. ويُبرز البحث كذلك أن أبا نواس كان يمدح بني العباس وآل البيت على حدّ سواء، مما يعكس انحيازه للمصلحة لا للمعتقد.

ويُجري البحث قراءة دقيقة في شعر أبي نواس، كاشفًا عن نزعة تمردية ومجاهرة بالمجون، مع بعض الإشارات الدينية والعقدية التي تدل على وعي عقلاني قريب من مذهب المعتزلة، لا تشيع بالمعنى الاصطلاحي أو العقائدي. ويخلص إلى أن الشاعر، رغم علاقته ببعض رموز آل البيت، لا يمكن اعتباره شيعيًا بالمعنى الدقيق للكلمة، إذ تفتقر الروايات إلى التوثيق، كما أن شعره يُظهر شخصية براجماتية تتجاوز الاصطفافات المذهبية.

الكلمات المفتاحية: أبو نواس، التشيّع، الشعر العربي، المعتزلة، الانتماء المذهبي.

Abstract:

This study examines the question of whether the poet Abu Nuwas (al-Hasan ibn Hani') adhered to Shi'ism, through an analytical and critical approach to the historical narratives and

ISSN: *2537-0847* eISSN : *2537-0898*

poetic texts attributed to him. The research situates this inquiry within a longstanding scholarly debate in the fields of literary and sectarian history. It opens with a contextual overview of the Sunni-Shi‘a schism and key Shi‘ite theological concepts such as taqiyya (dissimulation), wala’ and bara’ (loyalty and disavowal), bada’ (divine alteration of destiny), and alleged distortions of Quranic interpretation providing a framework for understanding the sectarian context of the narratives concerning Abu Nuwas’s beliefs.

The study critically reviews accounts that claim Abu Nuwas praised Imam ‘Ali ibn Musa al-Ridha, highlighting how some Shi‘ite sources regard this as evidence of his Shi‘ite affiliation. In contrast, scholars like Ibn Taymiyyah and al-Qurtubi reject these accounts due to their weak transmission chains or inconsistency with the poet’s known life. The research also notes that Abu Nuwas praised both the Abbasids and the Prophet’s household, suggesting that his motives were driven more by opportunism than conviction.

A close reading of his poetry reveals a rebellious and hedonistic spirit, alongside rationalist elements aligned with Mu‘tazilite thought, rather than doctrinal Shi‘ism. The study concludes that, despite occasional references to figures associated with Shi‘ism, there is insufficient evidence to categorize Abu Nuwas as a Shi‘ite in any precise theological sense, as both the narratives and his poetic corpus reflect a pragmatic personality that transcended sectarian alignments.

Keywords: Abu Nuwas, Shi‘ism, Arabic poetry, Mu‘tazilism, Sectarian affiliation.

. . .

ISSN: *2537-0847* **eISSN :** *2537-0898*

التاريخ الإسلاميّ من منظور أهل السنة:

مَرِضَ رسولُ الله ﷺ فكان أبو بكرٍ الصديق يُصلي بالناس، وتُوفِّيَ في حجرة عائشة رضي الله عنها، ولَم يُوْصِ لأحدٍ بأنْ يَخلُفَهُ، ولم ينصّ على صحابيّ يتولى أمورَ المسلمين بعده، وكان لنبإ وفاته زلزالٌ هزّ القلوب، وغسَّلَهُ عليُّ بن أبي طالبٍ فيمن غسَّله، ودُفن النبيّ في بقيع الغرقد يوم الإثنين.

واجتمعت الصحابة في سقيفة بني ساعدة، وأجمع الأنصار على أن يكون سعد بن عُبادة خليفة لرسولِ الله. وأخذ عمر بن الخطاب أبا بكر الصديق وبايعه وأيَّده، وذلك لأسباب كثيرة منها أنه أول مَن أسلم من الرجال، وفي الحديث أن الله قد رضيَ عن أبي بكر، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، وكان أبو بكر قد احتجَّ يوم اجتماع السقيفة بقول النبيّ ﷺ: "الإمامة في قريش".[1] وقد قال النبيّ في مرضه: "مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس".[2]

وتروي الأخبارُ أن فاطمة بنت النبيّ قد أتتْ أبا بكرٍ فسألتْه أن يَمْنَحَها أرضَ فَدَكَ فأخبرها أنه سمع النبيّ ﷺ يقول: "إننا -مَعاشرَ الأنبياء- لا نُوْرَثُ، ما تَرَكْناهُ صَدَقةٌ". فحزنتْ فاطمةُ رضي الله عنها لذلك ونَقَمَتْ، وقد عاشت فاطمة بعد أبيها ستة أشهرٍ، ولما احتُضِرَتْ أوصَتْ أن تُدفَن سِرًّا، وقد وَرَدَ أن أبا بكر ترضَّى فاطمة حتى رَضيت، وذلك في مرض موتها.[3]

وروى البيهقيُّ أنَّ عليّ بن أبي طالب كان في تلك المحنة إلى جوار زوجته، منشغلًا بها عن البيعة والخلافة، فلمَّا أنْ ماتت قصَدَ أبا بكرٍ مُبايعًا، ولما تُوفيَ أبو بكرٍ كان عليٌّ لعمرَ بن الخطابِ وزيرًا.

التاريخ الإسلاميّ من منظور الشيعة:

ترى الشيعة أن النبيَّ ﷺ قد أوصَىٰ قبل وفاته بأن يكون عليٌّ خليفةً للمسلمين وإمامًا رئيسًا، وذلك إذ قال: "مَن كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ، اللهم والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداهُ، وانصر من نصره، واخذلْ من خَذَلَهُ، فإنه مني وأنا منه، وهو مني بمنزلةِ هارونَ مِن

[1] أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج١، ص٤١.
[2] البيهقي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، قدم له وخرَّج أحاديثه وعلَّق حواشيه أحمد عصام الكاتب، منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط١ (١٩٨١م)، ص٣٣٧.
[3] البيهقي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، ص٣٥٣.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

موسى"[٤]، فالمولى كلمة من معانيها السيد والإمام.[٥] وحين بايع عليّ أبا بكر كان مجبرًا مكرهًا متقيًا، يُظهِر غير ما يُبطن.

ومما ترويه الشيعة في أحداث المبايعة: "عن عمرو بن أبي المقدام عن أبيه عن جده: ما أتى عليَّ يومٌ قط أعظم من يومين أتيا عليًا: فأما اليوم الأول فيوم قبض رسول الله ﷺ، وأما اليوم الثاني فوالله إني لجالس في سقيفة بني ساعدة عن يمين أبي بكر والناس يبايعونه، إذ قال له عمر: يا هذا ليس في يديك شيء مهما لم يبايعك عليّ، فابعث إليه. فبعث إليه قنفذ، فقال علي: ما خلّف رسول الله أحدًا غيري... إن رسول الله أوصاني أن لا أخرج من بيتي حتى أؤلف كتاب الله، فإنه في جرائد النخل وأكتاف الإبل. قال عمر: قوموا بنا إليه. فرأتهم فاطمة، أغلقت الباب في وجوههم، فضرب عمر الباب برجله فكسره، ثم دخلوا فأخرجوا عليًا ملببًا. فخرجت فاطمة فقالت: يا أبا بكر، أتريد أن ترملني من زوجي؟ وخرجت تريد قبر النبي ﷺ، فقال عليّ لسلمان: أدرك ابنة محمد، فإني أرى جنبتي المدينة تكفيان، ... قال: فأخرجوه من منزله ملببًا، ومروا به على قبر النبي صلى الله عليه وآله، قال: فسمعته يقول: "يا ابن أم إن القوم استضعفوني". وجلس أبو بكر في السقيفة، وقدم عليّ، فقال له عمر: بايع. فقال له عليّ: فإن أنا لم أفعل؟ فقال عمر: إذن أضرب والله عنقك. فقال له عليّ: إذن والله أكون عبد الله المقتول".... إلخ".[٦]

والإمام عليٌّ يعلمُ الخير والشرَّ كلَّهُ، وهو معصومٌ، وهو الذي نام مكان رسول الله ليَقيه بنفسه[٧]، فأما أبو بكر وعمر فقد كان النفاق يظهر منهما في حياة النبيّ، وقد كَفَرَا بِجحودِهما النصَّ على إمامة عليّ.[٨] وقد وصف الشيعة أبا بكر وعمر بالجبت والطاغوت، وسمَّوْهما "صنمَي قريش"، ... وجعلوا مقتل عمر عيدًا لهم.[٩]

---

[٤] العياشيّ، تفسير العياشي، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميَّة – مؤسسة البعثة قُمّ، ط١ (١٤٢١م) ج٢، ص٦٣.

[٥] الفصول المختارة، ص٢٢.

[٦] تفسير العياشي، ج٢، ص٢٠٤ وما بعدها.بتصرف.

[٧] يُنظر: الفصول المختارة، ص٦٢. والشيخ المفيد يرى أن منام عليّ بن أبي طالب على فراش الرسول أعظم وأفضل من المحنة التي ابتلي بها إسماعيل عليه السلام إذ أخبره أبوه إبراهيم عليه السلام بأنه يرى في المنام أنه يذبحه. كما رأى أن تفضيل الإمام عليّ على بعض الأنبياء أمر جائز لا بأس به.

[٨] المصدر نفسه، ص٢٧.

[٩] يُنظر: محب الدين الخطيب، الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإماميَّة الإثني عشريَّة، ص٢١.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الولاء والبراء:

أصل من أصول الشيعة، معناه أنه يجب على الشيعيّ موالاة عليّ وبنيه، ومعاداة أعدائهم والتبرؤ منهم وسبهم ولعنهم، مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وخلفاء بني أمية.

الرافضة والناصبة:

الرافضة والروافض اسمان أطلقهما أهل السنة على الشيعة؛ لأنهم رفضوا خلافة أبي بكر وعمر، ورأوا أنهما اغتصبا حقَّ عليّ في الخلافة. ومن جهة أخرى أطلقت الشيعة على أهل السنة والخوارج اسم الناصبة أو النواصب، ومعنى هذا الاسم أنهم ناصبوا أمير المؤمنين عليَّ بنَ أبي طالبٍ العِدَاءَ.

التقيَّة:

هي مصطلح شيعيٌّ معناه أنه يَحلُّ للشيعيّ أن يُخفيَ مُعتقدَهُ ويُظهِر ما يُخالِفه إذا خشيَ على نفسه أو مالِهِ. وقد وصفه الشيخ المفيد فقال: "أصلٌ نَدينُ بهِ ونعتقدُهُ، وليس لِخصومِنا مِثْلُهُ يَلجئون إليه في الخروج من الشَّناعاتِ"[١٠]، "وهذا الخُلُقُ يُبيح كلَّ أساليب الكذب والمكر والتلوُّن".[١١]

البَداء:

البداء -عند الشيعة- عبادة عظيمة، وهو معنى قوله تعالى: «يَمْحُو اللهُ ما يشاءُ ويُثبِتُ»، فهو سبحانه يمحو ما كان ثابتًا، ويُثبتُ ما لم يكن، فيُقدِّمُ ما يشاء، ويُؤخر ما يشاء، عن علم لا جهل، وهذا الذي يبدو لله لا يُعلمه ملائكته ورسله، حتى لا يَقَعَ منهم تكذيب له.[١٢]

تحريف تفسيرات القرآن:

زعموا أنَّ قول الله تعالى: "إنما يريد الله لِيُذهِبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيتِ ويطهركم تطهيرًا" نزل في فاطمة والحسنين.[١٣] واستدلَّ الشيخ المفيد على صحة هذا التفسير بأن

[١٠] الفصول المختارة، ص٢١٢.
[١١] الخطوط العريضة، مصدر سابق، ص٦٠.
[١٢] الكليني، الكافي، منشورات الفجر، بيروت - لبنان، ط١ (٢٠٠٧م)، ج١، ص٨٥.
[١٣] الفصول المختارة، مصدر سابق، ص٥٤.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الله تعالى قال: "ويطهركم"، وقال إنه لو كانت الآية في أزواج النبيِّ لقال الله: "ويُطهِّركنَّ". وقالوا إنَّ معنى: "لا تحزن": لا تخَفْ، إذ كان أبو بكر شديدَ الخوف وقتذاك، وهذا -عند الشيعة- دليل على نفاقه وحبه للدنيا.[١٤]

الطعن في حفظ الله للقرآن الكريم:

روى ابن حزم نقلا عن الجاحظ أن إبراهيم بن سيَّار النظَّامَ وبشرَ بنَ خالدٍ: "قالا لمحمدِ بن جعفرٍ الرافضيّ المعروف بشيطان الطاق: وَيحَكَ! أمَا استَحْيَيتَ مِن اللهِ أنْ تقولَ في كتابك في الإمامة إنَّ الله تعالى لم يَقُلْ قَطُّ في القرآن: {ثانيَ اثنينِ إذْ هُما في الغارِ إذْ يَقولُ لصاحبِهِ لا تَحزَنْ إنَّ الله معنا[١٥]}؟ قالا: فضَحِكَ واللهِ شيطانُ الطاق ضَحِكًا طويلًا حتى كأنَّا نحنُ اللذينِ أذنَبنا".[١٦] ثم قال ابن حزم: "ومِن قول الإمامية كلها قديمًا وحديثًا أنَّ القرآن مُبدَّل زِيدَ فيهِ ما ليس منه ونُقِصَ منه كثيرٌ وبُدِّلَ منه كثيرٌ".[١٧] فالذي أورده ابن حزم دليل على أن الشيعة لم يكونوا يتورعون عن إنكار بعض الآيات، فهذا شيطان الطاق يَحذِفُ موضعًا مِن كتاب الله تعالى يحتجّ به أهل السنة عند بيان فضائل أبي بكر رضي الله عنه، وهو بذلك يريد أن يَقطع مادة الاحتجاج، وإنْ كان آية ثابتة في القرآن، ومَن يَجسر على ذلك لا يكن عجبًا منه بعد ذلك أن يُنكر الأحاديث أو يَختلقَ مِن عنده أحاديثَ.

شعراء الشيعة:

مِن الشعراء الذين وصفوا بالتشيع كثيّر عزة والفرزدق والسيد الحِمْيريّ والكُمَيت الأسديّ ودِعبل الخُزاعيّ والشريف الرضيّ ومِهيار الديلميّ.

قال ابن قتيبة في كثيِّر: "وكان رافضيًّا. وقال لمَّا حَضَرَتْهُ الوفاةُ (من الوافر):

برئتُ إلىٰ الإلـٰهِ مِن ابنِ أروَىٰ ... ومِـن دِينِ الخَـوارِجِ أجمَـعِينا
ومِن عُمَـرٍ بَرئـتُ ومِن عَـتيقٍ ... غَـدَاةَ دُعِـيْ أمـيـرَ الـمُـؤمنِـيـنـا

وهذا - إن صَحَّ- يدل على أنه لم يكن يلجأ إلى التقيَّة، بل كان شيعيًّا صريحًا يدين

[١٤] الطبرسي، مجمع البيان، دار المرتضى - بيروت، ط١ (٢٠٠٦م)، ج٥، ص٤٥.
[١٥] سورة التوبة، آية ٤٠.
[١٦] ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٤، ص١٨١. وشيطان الطاق لقبه عند أهل السنة والمعتزلة وغيرهم وأما الشيعة فيقولون: مؤمن الطاق.
[١٧] المصدر السابق، ص١٨٢.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

بالبراءةِ مِن أبي بكرٍ وعُمَرَ، رضيَ الله عنهما[١٨]. ويمضي ابن قتيبة فيقول: "وكان كثيّرٌ يقول بالرَّجْعة، وفي ذلك يقول (من الوافر):

ألا إنَّ الأيمَّةَ مِن قُرَيشٍ وُلاةَ الحقّ أربعةٌ سَواءُ
عليٌّ والثلاثةُ مِن بَنيهِ هُمُ الأسباطُ ليس بهم خَفاءُ

وقد شكَّ د. إحسان عباس في كون كثير من غلاة الشيعة لهذه الأسباب:

١- أن شعر كثير ليس فيه ما يدل على الغلوّ.

٢- أن الأبيات التي يظهر فيها اعتقاد الشيعة الغالية منسوبة في المصادر إلى غيره، وهذا يُضعف الثقة بها.

٣- أن هذه الأبيات الدالة على الغلو في التشيع تختلف في منحاها الفنيّ العامّ عن شعر كثير.[١٩]

وأما الفرزدق فيُروَى أنه صاحب القصيدة التي قيلت في عليّ بن الحسين الملقب بزين العابدين والتي مطلعها (من البسيط):

هذا الذي تعرف البطحاءُ وطأتَهُ والبيتُ يَعرفه والحِلُّ والحَرَمُ
هـذا ابن خير عِبادِ الله كلهم هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العَلَمُ
هذا ابن فاطمةٍ إنْ كنتَ جاهلَهُ بِجَدِّهِ أنبياءُ الله قد خُتِموا[٢٠]

وكان دعبل من المعاصرين لأبي نواس، وكان مجاهرًا بمذهب الشيعة، وهو القائل (من الطويل):

هُمُ نَقَضوا عَهدَ الكِتابِ وَفَرضَهُ وَمُحكَمَهُ بِالزورِ وَالشُبُهاتِ
وَلَم تَكُ إِلّا مِحنَةٌ كَشَفَتهُمُ بِدَعوى ضَلالٍ مِن هَنٍ وَهَناتِ
تُراثٌ بِلا قُربى وَمِلكٌ بِلا هُدىً وَحُكمٌ بِلا شورى بِغَيرِ هُداةِ
رَزايا أَرَتنا خُضرَةَ الأُفقِ حُمرَةً وَرَدَّت أُجاجاً طَعمَ كُلِّ فُراتِ[٢١]

والملاحظ أن هذه الشعر سهل الألفاظ واضح المعاني شديد الجرأة والاندفاع

[١٨] الشعر والشعراء، ص٥٠٣.

[١٩] المصدر السابق، ص٣٢.

[٢٠] ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه علي فاعور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ (١٩٨٧م)، ص٥١١.

[٢١] ديوان دعبل الخزاعي، بشرح حسن حمد، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١ (١٩٩٤م)، ص٣٩.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

العاطفيّ، وأنه يَنظم ما سُطِّرَ في روايات الشيعة حول البيعة، فهو يراها أسّ الشر وأصل الفساد، ويرى الدولة الأموية دولة ظلم واستبداد، ويرى عليًا رضي الله عنه وصيًا للرسول ﷺ.

تشيع أبي نواس:

روى صاحب بشارة المصطفى لشيعة المرتضى بسنده إلى ياسرٍ خادم الرضا أنَّ الخليفة المأمون لما جَعَلَ عليَّ بنَ مُوسَىٰ الرضا وَليَّ عَهْدِهِ، "وضُرِبَتْ الدراهمُ باسمه، وخطبَ له على المنابر، قَصَدَهُ الشعراءُ مِن جميع الآفاق، فكان في جملتهم أبو نواس الحسن بن هانئ، فَمَدَحَهُ كلُّ شاعر بما عنده إلا أبا نواس، فإنه لم يَقل فيه شيئًا، فعاتَبَهُ المأمونُ وقال له: يا أبا نواس، أنتَ مع تشيُّعِك ومَيلِك إلى أهلِ هذا البيت تَرَكتَ مَدحَ عليّ بنِ موسى مع اجتماع خصال الخير فيه؟ فأنشأ يقول:

قيل لي: أنتَ أشعَرُ الناس طُرًّا ... إذ تَفَوَّهْتَ بالكلامِ البديهِ
لك مِن جَوهَرِ القريضِ مَديحٌ ... يُثمِرُ الدُّرَّ في يَدَيْ مُجتَنِيهِ
فلماذا تَرَكتَ مَدحَ ابنِ مُوسَىٰ ... والخِصالِ التي تَجَمَّعنَ فيهِ
قلتُ: لا أستطيعُ مَدحَ إمامٍ ... كان جبريلُ خادمًا لأبيهِ[٢٢]

فدعا المأمون بحقة فحشا فَمَ أبي نواس لؤلؤًا.

وهذه الحادثة الغريبة لم تتحدث عنها كتب التاريخ والأدب، وإلا فأين هذه الأشعار التي قيلتْ في ذلك الموقف؟ ومَن الشعراء الذين مَدَحوا الرضا قبل أبي نواس؟ وكيف عَرَفَ المأمون أن أبا نواس من الشيعة؟

والملاحظ أن صاحب كتاب المناقب (ت٥٨٨هـ) ذكر أن أبا نواس قال هذه الأبيات للرضا بحضرة هارون الرشيد. كأنه بذلك التفت إلى تاريخ وفاة أبي نواس.[٢٣]

وقال ابن تيمية إن الشيعة يستشهدون بأبيات أبي نواس لبيان مناقب علي بن موسى،

[٢٢] عماد الدين الطبريّ، بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، ت جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلاميّ، ط٢، (١٤٢٢هـ)، ج٢، ص١٣٣ - ص١٣٤.

[٢٣] ابن شهرأشوب، مناقب آل أبي طالب، ت يوسف البقاعي، دار الأضواء ببيروت - لبنان، ط٢، (١٩٩١م)، ج٤، ص٣٧٢.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

"وهي -لو كانت صدقًا- لم تصلح أن تثبت فضائل شخص بفضائل معروف بالكذب والفجور الزائد الذي لا يَخفَى على مَن له أدنى خبرة بأيام الناس، فكيف والكلام الذي ذكَرَهُ فاسد؟ فإنه قال:

قلتُ: لا أستطيعُ مَدْحَ إمامٍ كان جبريلُ خادمًا لأبيهِ

ومن المعلوم أن هذا وصف مشترَك بين جميع مَن كان مِن ذرية الرسل، وجميع ذرية من يشاركونه في هذا، فأيُّ مَزيَّةٍ له في هذا حتى يكونَ بها إمامًا دون أمثاله المشاركين له في هذا الوصف؟ ثم هذا يقتضي أنه لا يَمدح أحدًا من ذرية عليّ أصلًا؛ لأن هذا الوصفَ مشترك بينهم، ثم كَون الرجل من ذريةِ الأنبياء قدرٌ مشترك بين الناس، فإن الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام، ومن ذرية آدم ".[٢٤]

ومعنى النص السابق أن الإمام ابن تيمية يستبعد وقوع مثل هذا الخبر، والدليل على ذلك قوله: "لو كانت صدقًا"، ثم فنَّد معنى البيت فقال إن البشر كلهم أبناء أنبياء لأن كل إنسان يَدخل في ذرية نبيّ من أنبياء الله تعالى، وكان جبريل عليه السلام يَنزل بالوحي على النبيين، فإن صحَّ وصفُ جبريل عليه السلام بأنه خادم -وليس يصح- فقد اشترك كل إنسان في كونه ابنًا لنبيّ كان جبريل خادمه.

وإذا كان أبو نواس يمدح آل البيت وينال عطاياهم، ويمدح أيضًا بني العباس وينال عطاياهم، فلماذا يقال إنه شيعيّ الهوى ولا يقال عباسيّ الهوى؟ بل يمكن أن يقال إنه لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وإنما هو يميل حيث يجد العطايا.

ونقَلَ محسن الأمين عن مجالس المؤمنين ثلاثة أبيات منسوبة إلى أبي نواس تنفي عنه التشيع، وهي (من البسيط):

إني أحبُّ أبا حَفْصٍ وشِيعتَهُ كما أحبُّ عتيقًا صاحبَ الغارِ
وقد رَضيتُ عليًّا قُدوةَ العُلَما وما رَضيتُ بقتلِ الشيخ في الدارِ
كل الصحابة عندي أنْجُمٌ زُهُرٌ فهل عليَّ بهذا القولِ مِن عارِ؟[٢٥]

[٢٤] ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ت د. محمد رشاد سالم، ط١ (١٩٨٦م)، ج٤، ص٦٥ – ص٦٦.
[٢٥] أعيان الشيعة، ص٣٤٩.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وهي أبيات قالها رجل يعلن حبه لجميع الصحابة، ولا يُفضّل أحدًا منهم على أحدٍ، ويرى أن أبا بكر كان مع النبيّ ﷺ في غار ثور، ويرفض مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه. وقد نسب القرطبيّ في تفسيره هذه الأبيات لمحمد بن سابق.[٢٦] ولا يمكن نسبة قائل هذه الأبيات إلى التشيع؛ لأن من أصول التشيع البراءة من الخلفاء الراشدين الثلاثة.

وروى ابن الجوزيّ أن الصوليّ قال إن أبا نواس مدح الرضا بن موسى، وذكر الأبيات الأربعة.[٢٧] ونسب ابن فضل الله العمري البيتين الأخيرين للمتنبي.[٢٨] وذكر صاحب تذكرة الخواص الأبيات الأربعة ونسبها لأبي نواس.[٢٩] وذكر المرزباني (ت٣٨٤هـ) الأبيات ونسبها إلى أبي نواس، ووصف أبا نواس قائلًا: "وأما في مذهبه فكان شيعيًا إماميًا حسنَ العقيدة".[٣٠]

وإذا كان الصوليّ حقا يرى أن هذا الشعر لأبي نواس فلماذا لم يُثبته في ديوانه؟ وكيف يصف المرزبانيّ بأنه شيعيّ إماميّ حسن العقيدة وليس معه دليل سوى أبيات يجوز أن يقوله الشيعيّ وغير الشيعيّ؟

وقال ابن منظور: "ومِن خِلالِ أبي نواسٍ المأثورةِ أنه كان يَميلُ مع أهلِ البيت سرًا، لا يَجسر على المجاهَرةِ به، وقد قيلَ له في إعراضِهِ عن مَدحِهم: لقد ذَكَرتَ كُلَّ مَعنًى في شِعرِك، وهذا عليُّ بنُ موسى الرضا في عصرِك لم تَقُلْ فيهِ شيئًا! فقال: والله ما تَرَكتُ ذلك إلا إعظامًا له، وليس قَدْرُ مِثلي أنْ يَقولَ في مِثلِهِ، وأنشَدَ:

أنا لا أستطيعُ مَدحَ إمامٍ كانَ جبريلُ خادمًا لأبيهِ[٣١]

والملاحظ أن ابن منظور قد أتى في كتابه في أخبار أبي نواس بكلّ ما وَقَعَتْ عليه عينُهُ من غير أن يلزم نفسه بإيراد الصحيح، وهو هنا أتى بقول لم ينسبه إلى أحد، فمِن

[٢٦] يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ت سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية ببيروت - لبنان، المجلد السابع، ج١٣، ص٩٨.

[٢٧] ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٩، ص١٢٠.

[٢٨] ابن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج١٥، ص٦٣.

[٢٩] سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، مكتبة نينوى الحديثة – طهران ناصر خسرو مروى، ص٣٥٨.

[٣٠] المرزباني، أخبار شعراء الشيعة، تلخيص السيد محسن الأمين العامليّ، تحقيق محمد هادي الأميني، المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف، ط١، (١٩٦٨م)، ص١١٣.

[٣١] ابن منظور، أخبار أبي نواس، ص٢١٦.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أين أَخَذَ ابن منظور هذا الرأي؟ كما أن السريَّة التي أشار إليها ابن منظور لا تتوافق وقولَ هذا الشعرِ، وليس الميل مع أهل البيت سرًّا بدليل على التشيع، فربما تكون مجرد عاطفة إنسانيَّة تهزُّ الشاعر نحو هؤلاء القوم الذين لَقوا الشدائد وعانوا من الأهاويل.

وذهب صاحب كتاب «تأسيس الشيعة» (ت١٩٣٥م) إلى أن أبا نواس من شعراء الشيعة، معتمدًا على ما قاله الشيخ أبو عليّ في كتاب «منتهىٰ المقال في أحوال الرجال» مِن أنَّ أبا نواس كان خُلَّصِ المُحبين لآل البيت والمادحين لهم. ووصف صاحب التأسيس أبا نواس بأنه مُحكم التشيُّع من شعراء أهل البيت المجاهرين، ثم قال: "وأسند الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه في أماليه عن أبي العباس المبرّد قال: خرج أبو نواس ذات يوم من داره فبَصُرَ براكبٍ قد حاذاه فسأل عنه ولم ير وجهه فقيل: إنه علي بن موسى الرضا، فأنشأ يقول:

إذا أبصرتْك العينُ مِن بعدِ غايةٍ وعارَضَ فيك الشكُّ أثبَتَك القلبُ
ولـو أنَّ قـومًـا أمّـَمـوك لـَقـادَهم نسـيـمُك حتى يَستدلَّ به الركْبُ[٣٢]

ولكنْ أليس من المفترض -إذا كان أبو نواس من الشيعة- أن يُسلِّم الرضا على أبي نواس -المجاهر بالتشيع- الذي يُظهِر البيتان أنه من أولياء الرضا المدلَّهين في حبِّهِ؟ وهذان البيتان ليسا في كتب المبرّد المتوافرة، ويبقى أصل خبر تشيع أبي نواس في كتب الشيعة ومَن نقل عنهم ترجمة الرضا.

كما ذكر الشيخ محسن الأمين أن في قول أبي نواس (من الكامل):

ذهبت بنا كوفانُ مَذهبها وعدمتُ عن أربابها صبري
مـا ذاك إلا أنـنـي رجـلٌ لا أستـخفُّ صَداقةَ البصريْ

إشارة إلى تشيعه؛ لأن أهل الكوفة معروفون بمذهب التشيع.[٣٣]

ومن الملاحظ أن أبا نواس لما هَجَرَ البصرة -وكان له بها أصدقاء- واستقر في بغداد والكوفة كان ينظم شعرًا فيه أنه نسيَ الصداقة القديمة، ولم يعُد له علاقة بالبصرة، فهذان البيتان يُوضح فيهما أبو نواس أنه اندمج في المجتمع الكوفيّ وعلى البصريين ألا يظنوا أنه يشعر بالغربة والوحشة بعد رحيله عنهم.

[٣٢] السيد حسن الصدر، تأسيس الشيعة، دار الكتب العراقية في الكاظمية (١٩٥٤م)، ص١٩٩ - ص٢٠٠.
[٣٣] السابق، ص٣٤٩.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

فهي ضمن قصيدة قالها يهجو بها رجلا يدعى عباسًا، ويعلن فيها قطع علاقته به، ويأمره ألا يرسل إليه أيّ رسالة، ويخبره أنه لم يعد بينه وبين البصرة شيء يُبقي عليه، فقد أصبح كوفيًّا، وأنسته معيشته في الكوفة مَن كان يَعرفهم في البصرة، وهو الأمر نفسه، الذي وَقَعَ بعدما استقرَّ أبو نواس في بغداد، فإنه لا يُبقي على أحدٍ ولا ينتمي إلا إلى حيث تتوافر اللذة وسبل العيش الرغد، وليس لذلك علاقة بمذهب أهل السنة والجماعة ومذهب الشيعة.[٣٤]

كما ذكر الشيخ محسن الأمين أن ابن شهرأشوب عَرَض في كتاب المناقب ثلاثة أبيات نسبها إلى أبي نواس، منها قوله: "قيلَ لي: قُلْ في عليٍّ مديحًا"، وعلق قائلًا: "لم نطمئن من صحة نسبتها فتركناها".[٣٥]

وذكر أيضًا أن ابن شهرأشوب أورد بعد الأبيات الأربعة المشهورة التي أولها (من الكامل):

يا ربّ، إنْ عَظمتْ ذنوبيَ كثرةً فلقد علمتُ بأنَّ عفوَك أعظَمُ

ما نصه:

متمسكًا بمحمدٍ وبآلهِ إنَّ المُوفَّقَ مَن بهم يَستعصِمُ
ثم الشفاعةُ من نبيك أحمدٍ ثم الحمايةُ مِن عليٍّ أعلَمُ
ثم الحسين وبعده أولاده ساداتنا حتى الإمامُ المكتَّمُ
سادات حرّ مُلجَأ مستعصِمٍ بهمُ ألوذُ فذاك حصنٌ مُحْكَمُ

ومن الواضح أن هذه الأبيات تخص شاعرًا شيعيًا يعتصم بآل البيت ويلتمس شفاعة النبي ﷺ وحماية عليّ بن أبي طالب والحسين وسائر الأئمة من بعده إلى الإمام الغائب عندهم. وعلق محسن الأمين قائلًا: إن "عدم ذكر غيره لهذه التتمة مع كونها ليست في قوة أشعاره يُوجِبُ الظنَّ بأنها قد ألحِقَتْ بأبياته".[٣٦]

وهذا القول الأخير الذي قاله الشيخ محسن الأمين يجعلنا نراجع قضية تشيع أبي نواس؛ إذ من الواضح أنَّ هناك مَن يُحاول وضع الشعر على لسان أبي نواس ويسعى

[٣٤] الديوان، ص٦٢٨ - ص٦٢٩.
[٣٥] السابق، ص٣٤٩.
[٣٦] أعيان الشيعة، ص٣٤٩.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

جاهدًا لجعله مِن شعراء الشيعة.

ورأت د. أحلام الزعيم أن أبا نواس كان شاعرًا من شعراء الشيعة، وأنه كان يُحِسّ بالغربة وأن قلبه كان ينبض بالرفض، وأنه كان رمزًا للثورة والتمرد في الأدب العربيّ، وأنه لما أبصر العباسيين يستأثرون بالحكم ويَغدِرون بالشيعة لجأ إلى أسلوب السخرية والرفض في شعره مستخدمًا لغة رمزية، ومن شعره الرافض قوله (من مخلع البسيط):

هذا زَمَانُ القرودِ فاخضَعْ وكُنْ لها سامعًا مُطيعا

وترى أنه كان يُعاني مِن كِتمانِه لمَذهبِهِ، وأنه كان يُشير إلى ذلك حين قال (من مجزوء الرمل):

مُتْ بِداءِ الصمتِ خيرٌ لكَ مِن داءِ الكلامِ[٣٧]

وأنه كان يُداري ويُداجي ويأبى إظهار ما هو عليه، وأنه أشار إلى ذلك في قوله (من الطويل):

فلمَّا شَرِبْناها ودَبَّ دَبيبُها إلى مَوطنِ الأسرارِ قلتُ لها: قِفِي

وذَهَبَتْ إلى أن أبا نواس كان أحد شعراء الشيعة الذين حَمَلوا لواءَ الثورة، واتخذَتْ ثورتُه طريقة مختلفة عن طريق الإبداع الرمزيّ، كما كان يأخذ بمذهب التقية.[٣٨] ومِن الأدلة التي اعتمدت عليها أن الصفات المتعددة للخمر الموجودة في شعر أبي نواس تُوافِق صفات الخمر عند شعراء الشيعة الباطنيين المتصوفين.[٣٩]

وقالت: "ومن الدلائل الهامة التي تشير إلى تشيع أبي نواس ما قاله أبو العلاء المعري في رسالة الغفران عن أبي نواس حين يقول: "ولا أرتاب أن دعبلا كان على رأي الحكميّ -أي أبي نواس- وطبقته، والزندقة فيهم فاشية، ومن ديارهم ناشية"، ومَن تمعَّن قول المعري هذا تبين أنه لا يقطع برأي في زندقة أبي نواس، أنه لا يرتاب في أن دعبل بن علي الخزاعي كان على رأي الحكمي، وكلنا يعلم تشيع دعبل وإخلاصه لآل البيت وشعره الصادق فيهم، ومطاردة العباسيين له. ولا يخفى علينا ما لرأي المعري في

[٣٧] د. أحلام الزعيم، رؤية أبي نواس للحياة وتمرده عليها من خلال مجونه وزهده، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة من جامعة الإسكندرية، ص٥٠.
[٣٨] د. أحلام الزعيم، رؤية أبي نواس للحياة وتمرده عليها من خلال مجونه وزهده، ص٥١.
[٣٩] نفسه، الصفحة نفسها.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الشعراء ومقاصدهم السياسية والمذهبية من رجاحة".[٤٠]

هذا ما قالته د. أحلام، والملاحظ أن ما ذهبت إليه لا يقوم على أساس صحيح، فالمعري كان يجيب عن أسئلة ابن القارح، ويُشاركه آراءه النقدية في بعض القضايا، فتحدث عن المتنبي، وقال إن في شعره ما يدل على أنه يؤمن بالله الواحد، ثم قال: إن "نطق اللسان لا يُنبئ عن اعتقاد الإنسان؛ لأن العالَم مجبول على الكذب والنفاق...". ثم تناول دعبلا وأبا نواس وبشارًا وصالح بن عبد القدوس والقصَّار والصناديقي والوليد بن يزيد ووأبا عيسى بن هارون الرشيد والجنَّابيّ والعلوي البصري والحسين بن منصور الحلاج وابن هانئ الأندلسي وابن الراونديّ ... إلخ، وكل هؤلاء متهم في عقيدته مشكوك في إيمانه، والمعري لا يحكم على أحد بأنه من أهل النار، فربما كذبت الأخبار.

فالسياق إذَنْ سياق الحديث عن الزنادقة وأهل الإلحاد، ومعنى أن أبا نواس كان على مذهب غيره أنه كان زنديقًا مال إلى الكفر في زمان "مازج العرب غيرهم من الطوائف، وسمعوا كلام الأطباء وأصحاب الهيئة وأهل المنطق، فمالت منهم طائفة كثيرة. ولم يزل الإلحاد في بني آدم على مرّ الدهور".[٤١]

وأما قولها إن أبا نواس كان يشعر بالألم نتيجة إضماره لتشيعه ومُداجاته للعباسيين مستدلةً ببيت ينصح فيه الشاعر غيره بأن يلزم الصمت، وإذا خُيِّرَ بين الكلام والموت بداء الصمت فليَختر الموت بداء الصمت فهو الخيار الأفضل، فليس هناك دليل على أن داء الكلام الذي يؤدي للهلاك هو الجهر بالتشيع والدعوة إلى الأئمة.

وأما قولها إن أبا نواس كان يشير إلى تشيعه حين قال (من الطويل):

فلمَّا شَرِبْناها ودَبَّ دَبيبُها ... إلى مَوطنِ الأسرارِ قلتُ لها: قِفِي
مخافة أن يسطو عليَّ شُعاعُها ... فيُطلِعَ جُـــلَّاســـي على سِـــرِّيَ

فغير مقبول؛ أولا لأن السر الخفيّ من الممكن أن يكون عشقه لجارية أو كراهيته لخليفة أو زندقته أو غير ذلك مما يمكن أن يُضمره الإنسانُ في نفسه عن الآخرين[٤٢]

ومن الأدلة التي ساقَتها د. أحلام، استشهادها بهجاء أبي نواس لهاشم بن حديج، وتعريضه لقاتلي محمد بن أبي بكر، الذي كان من خلّص أصحاب عليّ بن أبي طالب، وكذلك الإشارة إلى حجر بن عديّ، وتفسيرها أن ذلك ينهض دليلًا على تشيّع الشاعر لآل

[٤٠] د. أحلام الزعيم، رؤية أبي نواس للحياة وتمرده عليها من خلال مجونه وزهده ص٦٢ – ص٦٣.

[٤١] السابق، ص٤٢٠ – ص٤٢١.

[٤٢] علي ناصر اللبناني، مجلة الصفا، الجزء الأول، مطبوعة بالمطبعة الأدبية ببيروت، (١٨٨٦م)، ص١٦٥.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

البيت.[٤٣]

وهذان الدليلان اللذانِ اعتمدت عليهما الدكتورة غير مستقيمين؛ لأن مقتل محمد بن أبي بكر[٤٤] أمر لا يخص الشيعة وحدهم.

كما لم تُصِب الدكتورة حين قالت إن حجرًا المذكور في هذه القصيدة هو حجر بن عديّ، بل كان أبو نواس يقصد حجرًا الكنديّ والد امرئ القيس الشاعر الجاهليّ، وقد كان هاشم بن حديج يفتخر بكندة[٤٥]، فأراد أبو نواس أن يذكره بقتل بني أسد لملكهم حجر الكنديّ، والدليل على ذلك أن أبا نواس ذكر الشاعر امرئ القيس وقال إن الشعر شغله عن إدراك ثأر أبيه.

ويومَ كندية قالت لجارتها والدمعُ يَنهلُّ مِن مَثنًى ومِن وَحدِ
ألهى امرأ القيسِ تشبيبٌ بغانيةٍ عن ثأره وصفات النوْي والوتدِ[٤٦]

والحقّ أنَّ أبا نواس كان مثل أبان وغيره من الشعراء المتكسبين بالمِدَحِ، وقد قال في الأمين مُعرِّضًا بالشيعة (من البسيط):

محمد خيرُ مَن يمشي على قدَمٍ ممن برا الله من إنسٍ ومن جانِ
هو الذي قدَّم الله القضاءَ به ألا يكونَ له في فضلِهِ ثانِ
هو الذي امتحَنَ الله القلوبَ به عمَّا يُجمجمن من كفر وإيمانِ
وإن قومًا رَجَوا إبطال حقكمُ أمسَوْا مِن الله في سخط وعصيانِ
فقلدوها بني العباس إنهمُ صِنْوا النبيّ وأنتم غير صنوانِ[٤٧]

فهذه الأبيات قاطعة الدلالة على عبَّاسية أبي نواس، بغض النظر عن كون الشعر ليس دائمًا معبّرًا عن العقيدة الحقيقية للشاعر، ومن المعلوم أنه ليس يَحسن ترك ما هو واضح وضوح الشمس والسعي وراء استنباطات أخرى لا دليل عليها بدعوى مذهب التقيَّة.

وأما البيت الذي أوردته الدكتورة لأبي نواس (من الخفيف):

غير أني على الإساءةِ والتَّقْـ ـصِيرِ راجٍ لحسن عفوِ الإلهِ

فهو دليل على اعتراف أبي نواس أنه قصَّر في جنب الله، ولو كان من المرجئة الجهمية لوجدناه لا يرى فرقًا بينه وبين المؤمنين، إذ يكفي أن يكون قلبه عارفًا بالله (على رأي الجهمية)، أو يكفي أن ينطق بكلمة التوحيد (على رأي الكرامية).

---

[٤٣] د. أحلام الزعيم، رؤية أبي نواس للحياة وتمرده عليها من خلال مجونه وزهده، ص٦٣، بتصرف.
[٤٤] روى اليعقوبي قصة مقتل محمد بن أبي بكر في الجزء الثاني تاريخه، (منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف ١٩٦٤م)، ص١٨٣.
[٤٥] الديوان، ص٦٠٥.
[٤٦] الديوان، ص٦١٢.
[٤٧] الديوان، ص٥٢٦ – ص٥٢٨.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

عقيدة أبي نواس من شعره:

إذا ذهبنا نلتمس العقيدة الدينية عند أبي نواس لنتأكد من تشيعه من خلال تتبع ذلك في شعره الذي رواه الصولي فسوف نجد أنه يذكر الصلوات: الظهر والعصر والعشاء، ويشير إلى حكم قضاء الصلوات الفوائت[٤٨]، وسنجده يرى أن القول بمنع العفو الإلهيّ عن مرتكب الكبيرة إزراء بالدين[٤٩]، وأن الله تعالى هو الذي برأ الخلق[٥٠]، وأن الله هو جبَّار السماواتِ[٥١]، وأن الروح ستغادر الجسد مِن غير أن يشير إلى عقيدة تناسخ الأرواح التي آمنت بها بعض طوائف الشيعة[٥٢]، وأشار إلى قصة هاروت وماروت اللذين أنزل عليهما ما استعملته الشياطين بوصفه سحرًا[٥٣]، وأن الناس سواسية لا فضل لأحد منهم إلا بالتقوى لا بالأنساب[٥٤]، وأشار إلى فريضة الحج[٥٥]، وأن شرب الخمر ترك للبر ودخول في الشر[٥٦]، وأن شرب الخمر واللواط فسوق[٥٧]، وأن السكْر يَحول بين الإنسان وأداء الصلاة[٥٨]، وأن الإحجام عن المعاصي لا بد أن يكون خالصًا لله تعالى لا مُراءاةً للناس[٥٩]، وأن الخمر حرام[٦٠] ويطلب الغفران من الله[٦١]، وذكر أن ترك الخمر لرجاء أو مخافة ليس مذهبه، فالرجاء والمخافة كلاهما حديثُ خُرافةَ، لكن هل يقصد بالرجاء نعيم الجنة، وبالمخافة عذاب النار؟ لم يُصرّح أبو نواس بذلك، بل إن انتهاء القصيدة بقوله:

ضاع بل ذلَّ الذي عنَّـ ـــــفَ فيها يا ذُفَافَةْ
مثـلَـما ذلَّتْ وضـاعَـتْ بـعـدَ هـارونَ الخِـلافَةْ

يوحي بأن الرجاء هو رجاءُ ما عند الخليفة، وأن المخافة هي مخافة عقاب الخليفة.[٦٢]

---

[٤٨] الديوان، ص٧٠.
[٤٩] الديوان، ص٧٦.
[٥٠] الديوان، ص٩٢.
[٥١] الديوان، ص١٠٩.
[٥٢] الديوان، ص١١٩.
[٥٣] الديوان، ص١٢٥.
[٥٤] الديوان، ص١٣٦.
[٥٥] الديوان، ص١٣٨.
[٥٦] الديوان، ص١٤٠.
[٥٧] الديوان، ص١٤٣.
[٥٨] الديوان، ص١٤٩.
[٥٩] الديوان، ص١٦٣.
[٦٠] الديوان، ص١٨٦.
[٦١] الديوان، ص١٦٤.
[٦٢] الديوان، ص١٧٢. و"ذفافة" هو ذفافة العنسي صاحب خيل هارون الرشيد.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وأما موقف أبي نواس من الدولة الأموية فقد ظهر في شعره تأييده لسلطة العباسيين، وكراهيته للأمويين، وقد قال يهجو إسماعيل بن صبيح (من الطويل):

تـبيَّنْ أمينَ اللهِ في لَحَظَاتِهِ شَنَانَ بني العاصي وبُغضَ بني صَخرِ[٦٣]

وحين ذكر أبو نواس لفظة «الرَّجْعة»، التي لها دلالة عقَديَّة عند الشيعة، أضاف إليها لفظة «إلى الله»، فاتضح أن الرجعة عنده هي البعث، وليس معناها رجعة الإمام، قال أبو نواس (من الهزج):

أنا أبصرتُ صاحِ الشمـ ـسَ تَمشي ليلة الجمعةْ
فماجَ الناسُ في الناسِ وظَنـوا أنـها الـرَّجعةْ
إلى اللهِ، وقـالوا: الـحشـ ـرُ، لمَّـا عايَنـوَا الصَّنعةْ[٦٤]

وذكر أن الإنسان سيُبعَث وسيُسأل[٦٥]، وضَرَبَ بعمر بن الخطاب رضي الله عنه المثل في العدل فقال (من الخفيف):

ادَّعَىٰ الجَوْرَ في المُدامِ عليهِ وهـو يَحكي بعَدلِهِ العُمَرَينِ[٦٦]

كما ذكر أن عثمان بن عفان، ثالث الخلفاء الراشدين، أصيبَ عدوانًا.[٦٧] وأقسم بالله منزِل سورة طه وصاد وقاف والذاريات والحشر والعاديات.[٦٨] وأشار إلى النوق التي تحمل الحُجَّاج، والهدْي الذي يُذبَح، والوقوف بعرفات[٦٩]، وأشار أبو نواس إلى الملكين اللذين يكتبان حسنات المرء وسيّئاته[٧٠].

كما يبدو أنه كان يخالف المعتزلة الذين رأوا أن لا دَخلَ لله تعالى في أعمال البشر[٧١]، فقال لامرأةٍ تلومه على فقرِهِ وعشقِهِ رغم هذا الفقر (من الكامل):

لا تَعتِبِنَّ عَلَيَّ في دَرْكِ الغَنَىٰ وتعتَّبي فيـهِ على الأقـدارِ[٧٢]

---

[٦٣] الديوان، ص٦١٦.
[٦٤] الديوان، ص٧٨٢.
[٦٥] الديوان، ص٧٩٦.
[٦٦] الديوان، ص٨١٣.
[٦٧] الديوان، ص٨١٤.
[٦٨] الديوان، ص٨٤٠.
[٦٩] الديوان، ص٨٤٢.
[٧٠] الديوان، ص٨٨٨.
[٧١] يُنظر: المرزباني، الموشح، ص٣٣٢.
[٧٢] الديوان، ص٩١٣.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ثم أخبرها أنه سيتخذ العفاف مذهبًا، ولكن إذا ذَهَبَتْ قوَّته، وأنه يحب المجون والأحاديث المستقبحة والفضائح، وأنه لا يُطيق الصبر عن الغلمان، وأن تقبيله لهم كنيلِ جنة الفردوس.[٧٣]

وذكر في مقطوعة أنه فَعَلَ بغلامٍ، ولما حانت صلاة الظهر أمره أصحابه بالاغتسال، فرفض واعتذر بأنْ لا صلاةَ لفاسق مجاهر بالفسق مثلِهِ.[٧٤] وتحدث عن بستان يشرب الخمر مع الندامى بحضرة الفُسَّاق وآلات الطرب والغناء ولا يَسمع فيه صوت الأذان.[٧٥]

وبعد هذه الجولة يمكن القول إن أبا نواس كان متمردًا على الدين يأتي بما تتقزز منه نفوس أهل الوَرَع والتقوَى، وأنه كان يحب اللهو والمجون والانغماس في المعاصي، ولم يكن تقيًا ورعًا، ولم يظهر في شعره ما يُجوّز الجزم بأنه من الشيعة أو من المرجئة.

[٧٣] الديوان، ص٩١٤.
[٧٤] الديوان، ص٩١٤ - ص٩١٥.
[٧٥] الديوان، ص٩٣٤.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ثبت المصادر والمراجع

أولا المصادر:

- ديوان أبي نواس برواية الصوليّ، ت بهجت عبد الغفور الحديثيّ، دار الرسالة للطباعة، بغداد (١٩٨٠م).

ثانيًا المراجع:

١- ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك.

٢- ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط١، ١٩٨٦م، ج٤.

٣- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٤.

٤- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، تحقيق يوسف البقاعي، دار الأضواء ببيروت - لبنان، ط٢، ١٩٩١م.

٥- ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ت كامل سلمان الجبوري، ج١١، دار الكتب العلمية – بيروت.

٦- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ت أحمد محمد شاكر، دار المعارف.

٧- ابن منظور، أخبار أبي نواس، ت محمد عبد الرسول إبراهيم وعباس الشربيني، ج١، مطبعة الاعتماد بمصر (١٩٢٤م).

٨- أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ج١، ط١ (١٩٥٠م).

٩- أحلام الزعيم، رؤية أبي نواس للحياة وتمرده عليها من خلال مجونه وزهده، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة من جامعة الإسكندرية.

١٠- البيهقي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، قدم له وخرج أحاديثه وعلق حواشيه أحمد عصام الكاتب، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط١، ١٩٨١م.

١١- ديوان دعبل الخزاعي، بشرح حسن حمد، دار الكتاب العربي - بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

١٢- ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه علي فاعور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

١٣- سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، مكتبة نينوى الحديثة - طهران ناصر خسرو مروى.

١٤- السيد حسن الصدر، تأسيس الشيعة، دار الكتب العراقية في الكاظمية، ١٩٥٤م.

١٥- الطبرسي، مجمع البيان، دار المرتضى - بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

١٦- العياشي، تفسير العياشي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة قم، ط١، ١٤٢١م.

١٧- علي ناصر اللبناني، مجلة الصفا، الجزء الأول، مطبوعة بالمطبعة الأدبية ببيروت، ١٨٨٦م.

١٨- عماد الدين الطبري، بشارة المصطفى الشيعة المرتضى، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢، ١٤٢٢هـ.

١٩- الشريف المرتضى، الفصول المختارة من العيون والمحاسن للشيخ المفيد، من إصدارات المؤتمر العالميّ لألفية الشيخ المفيد، الطبعة الأولى.

٢٠- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية ببيروت - لبنان.

٢١- الكليني، الكافي، منشورات الفجر، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٧م.

٢٢- المرزباني، أخبار شعراء الشيعة، تلخيص السيد محسن الأمين العاملي، تحقيق محمد هادي الأميني، المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف، ط١، ١٩٦٨م.

٢٣- محب الدين الخطيب، الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الإثني عشرية.

٢٤- محسن الأمين، أعيان الشيعة، ت حسن الأمين، المجلد الخامس، دار التعارف للمطبوعات – بيروت، (١٩٨٣م).

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

شعرية الخوف في مجموعة (وقت قصير للهلع)
ليحيى سلام المنذري

"The Poetics of Fear in the Collection "A Short Time for Panic"
by Yahya Salam Al-Mandhari

إعداد
د. فوزية بنت سيف بن علي الفهدية
Dr. Fawzia bint Saif bin Ali Al-Fahdiya
دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية وآدابها ـ تخصص الأدب القديم ونقده

Doi: 10.21608/mdad.2025.445276

استلام البحث	١٢ / ٦ / ٢٠٢٥
قبول النشر	١٥ / ٧ / ٢٠٢٥

الفهدية، فوزية بنت سيف بن علي (٢٠٢٥). شعرية الخوف في مجموعة (وقت قصير للهلع) ليحيى سلام المنذري. ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٩ (٣٠)، ١٧١- ٢٠٦.

http://mdad.journals.ekb.eg

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

شعرية الخوف في مجموعة (وقت قصير للهلع) ليحيى سلام المنذري

الملخص:

يشهد الأدب المعاصر تحولاً ملحوظاً في التعامل مع المفاهيم النفسية والاجتماعية، حيث أضحى الخوف عنصراً مهماً في بناء النصوص الأدبية الحديثة. تتجسد هذه الظاهرة بوضوح في أعمال الكاتب العماني يحيى سلام، الذي يولي الخوف مكانة بارزة في قصصه. في هذه الدراسة نسعى إلى تحليل شعرية الخوف في مجموعة "وقت قصير للهلع"، التي تمثل أنموذجاً لتوظيف هذا الشعور في النصوص القصصية.

تكمن الإشكالية في كيفية تجسيد الخوف، ليس فقط كموضوع أو شعور نفسي، بل بوصفها ظاهرة فنية تتداخل مع العناصر الأدبية الأخرى مثل اللغة، الرؤية السردية، والشخصيات. فكيف استطاع يحيى سلام توظيف الخوف كأداة فنية تعزز من الإحساس بالاغتراب والقلق في سياقات اجتماعية متنوعة ومعقدة؟ وهل يمكن اعتبار هذه الشعرية نوعاً من الهروب إلى عالم داخلي يعكس انغلاق الواقع؟

يهدف البحث إلى تحليل شعرية الخوف باعتباره عنصرا فنيا في النصوص القصصية، ودراسة تقنيات السرد المستخدمة لتوليد هذا الخوف في مجموعة *وقت قصير للهلع*، وتحديد دور الخوف في تكوين الشخصيات والعلاقات بينها. يعتمد البحث على منهج تحليل النصوص الأدبية من خلال دراسة اللغة السردية، وتطور الشخصيات، والحبكات القصصية في المجموعة. سيتم استخدام الأدوات النقدية المرتبطة بشعرية النصوص الأدبية، مثل دراسة البنية الأسلوبية والنغمة النفسية.

نعالج في توطئة البحث "الخوف بوصفه ظاهرة نفسية في الأدب "نتناول فيها مفهوم الخوف في الأدب بشكل عام، مع تسليط الضوء على الأنماط الأدبية التي يتم فيها تقديم هذا الشعور، وكيف يمكن أن يصبح الخوف شعوراً جماعياً يعكس الهموم الاجتماعية. كما يناقش تأثير الخوف على الشخصيات في الأدب المعاصر وأثره على تطوير السرد.

وفي مبحث خاص نحلل "شعرية الخوف في *وقت قصير للهلع* "من خلال دراسة كيف يتشكل الخوف ويُصاغ فنياً في القصص المختلفة عبر التركيز على اللغة السردية

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وكيف توظف الكلمات والتراكيب اللغوية لبث الإحساس بالخوف. كما نهتم بالتقنيات السردية مثل التقطيع الزمني، وتعدد الأصوات، والحوار الداخلي الذي يساهم في خلق جو مشحون بالخوف. ونبحث عن الرمزية وكيف تتحول بعض العناصر المكانية والزمانية إلى رموز تدل على الخوف أو الموت أو الاغتراب.

وفي مبحث آخر نناقش "دور الخوف في بناء الشخصيات والعلاقات "ونسأل عن كيفية تأثير الخوف على الشخصيات في مجموعة *وقت قصير للهلع*، إذ لا يقتصر يحيى سلام على تقديم الخوف كاستجابة لحالة نفسية فردية فقط، بل يتم تجسيدها في سياق اجتماعي يعكس كيف يساهم الخوف في تكوين العلاقات بين الشخصيات، سواء كان ذلك في شكل تفاعل نفسي مع الذات أو مع الآخر.

الكلمات المفتاحية: شعرية الخوف - يحيى سلام - التقنيات السردية - الشخصيات والعلاقات - الرمزية الأدبية.

Abstract

Contemporary literature is witnessing a significant shift in its engagement with psychological and social concepts, as fear has become a vital element in constructing modern literary texts. This phenomenon is clearly evident in the works of the Omani writer Yahya Salam, who assigns fear a prominent place in his stories. This study seeks to analyze the *poetics of fear* in the short story collection *A Short Time for Panic*, which serves as a model for employing this emotion within narrative texts.

The central issue lies in how fear is represented not merely as a theme or psychological feeling, but as an artistic phenomenon interwoven with other literary elements such as language, narrative perspective, and characterization. How does Yahya Salam utilize fear as an artistic tool that enhances feelings of alienation and anxiety within complex and diverse social contexts? And can this

ISSN : *2537-0847* **eISSN :** *2537-0898*

poetics be seen as a form of retreat into an inner world reflecting a closed or suffocating reality?

The study aims to examine the poetics of fear as an artistic element in narrative texts, to analyze the narrative techniques used to generate fear in *A Short Time for Panic*, and to determine the role of fear in shaping characters and the relationships among them. The study adopts a textual analytical approach, focusing on narrative language, character development, and plot structure within the collection. It applies critical tools associated with the poetics of literary texts, such as stylistic structure and psychological tone analysis.

The introduction addresses "Fear as a Psychological Phenomenon in Literature," exploring the concept of fear in literary contexts more broadly, with attention to literary modes that represent this emotion, and how fear can reflect collective anxieties and social concerns. It also discusses the impact of fear on characters in contemporary literature and its influence on narrative progression.

In a dedicated chapter, the study analyzes "The Poetics of Fear in *A Short Time for Panic*," focusing on how fear is formed and artistically rendered through narrative language, including the use of words and syntactic structures to convey a sense of dread. It also examines narrative techniques such as temporal fragmentation, polyphony, and internal monologue, which contribute to the creation of an atmosphere charged with fear. The study investigates

ISSN : *2537-0847* eISSN : *2537-0898*

symbolic elements, exploring how certain spatial and temporal features become metaphors for fear, death, or alienation.

Another chapter explores "The Role of Fear in Character and Relationship Construction," questioning how fear affects characters in the collection. Yahya Salam does not limit fear to an individual psychological response, but rather portrays it within a social context, showing how it shapes interpersonal relationships whether through internal conflict or interaction with others.

Keywords: Poetics of Fear - Yahya Salam - Narrative Techniques - Characters and Relationships - Literary Symbolism.

. . .

المقدمة:

الشعرية ليست نقيضة النثرية -كما تبدو لأول وهلة- كما أنها ليست تمييزا لجنس أدبي -هو الشعر- كما قد يظن البعض، لكنّ الشعرية " هي تلك الخصائص اللغوية والتداولية والفنية التي تميّز الإبداع عن الكلام العاديّ؛ إنها السمات التي تجعل من مجموعة ألفاظ منظومة نظما عملا إبداعيا راقيا متميّزا، إنها ببساطة مكونات المعجم والتركيب والصورة والأسلوب والإيقاع والرؤية"[١].

إن الشعرية - المعنيين بها هنا- هي تلك الأدوات الفنية التي نقلت الشعور بالخوف والترقب والتوتر حتى وصلت لأن توصف بالهلع، لدى الراوي من جهة والشخصيات من جهة أخرى في صورة تقف فيها الذات بموازاة مع الآخر ليكون الآخر مرآة للذات، ويمكننا - من خلال النص القصصي- رصد التداخل والتشابك والعلاقات والمستويات المختلفة للخوف من منظور اللغة بمستوياتها الاجتماعية والنفسية.

[١] - البشير (سراته)، شعرية الحزن في الشعر الأندلسي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، ٢٠١٤/ ٢٠١٥، ص١٤

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

من جانب آخر يعد الآخر محورا مهما في الفلسفة والدراسات الإنسانية، فعلى مستوى اللغة يستخدم مصطلح الآخر للإشارة إلى شخص أو شخصية اعتباريّة، قد تختلف معه أو تتفق. كما يستخدم في إطار المقارنة بين الأمم والمجموعات البشرية، أو في سياق توصيف علاقاتها البينية على نطاق أوسع.

بينما يشير الآخر في الفلسفة الظاهراتية إلى الإنسان الآخر من حيث كونه غير الذات (الأنا)، ويعتبر الآخر عاملا تأسيسيا في تحديد هويّتنا وفهمنا للذات، ويرتبط مفهوم الآخر دائما بمفاهيم مجاورة مثل الاختلاف، الثقافة، الحضارة، والهويّة، إذن يعدّ الآخر جزءا أساسيا من تجربتنا الإنسانية، وتفاعلنا معه يشكل جوانب متعددة من حياتنا وفهمنا للعالم.

يتجاور مع البحث عن ثيمة الخوف محاولة لقراءة الآخر في مجموعة يحيى سلام القصصية (وقت قصير للهلع) من بوابة هواجس الذات المشحونة بوعي الزمن المقرون بتباين الفضاءات المكانية الذاتية، ووعي العوالم الممكنة، التي تخلقها الذات هروبا من الواقع عندما يوقعنا في براثن الخوف والترقّب. المجموعة صدرت مؤخرا متعبّرة عن ولاء المنذري للقصة القصيرة، نشرت في طبعتها الأولى عن دار عرب للنشر والترجمة في ٢٠٢٢. موزّعة على ثلاث قصص أساسية تفرّع عن القصتين الثانية والثالثة ثلاث قصص فتكونت المجموعة من ثلاث قصص في المجمل: الإصبع وثلاثية غليان الشاي وثلاثية صندوق المفاجآت الملونة. في غلاف عكس بياض الفراغ مع إبريق مقلوب له علاقة بالشاي الحاضر بقوة في قصص المجموعة مرتبطا بالشخصيات، وحضورها المكاني، والارتباط بالذات ،والآخر.

ويبدو أنّ الشعريّة هي التمشّي المنهجي الأقرب للاعتماد في التناول على اعتبار أنّ الخوف شكّل موضوعا طاغيا في القصص المقروءة، عكس جمالية الخوف في الذات والآخر. وقد حضر الآخر في القصتين الثانية والثالثة بصورة جعلت من الآخر ذاتا مقترنة بالموضوع وهو ما يعيننا للكشف عن صوره وطرق إنشائه في النصّ القصصيّ، كما يمكن الاستعانة بما طرحه امبرتو إيكو بخصوص ما طرحه من آفاق الكشف عن العوالم الممكنة التي أنشأها الراوي من جهة، وأنشأتها الشخصيات من جهة أخرى، وهو ما يختصر لدينا إشكالية البحث في الكيفية التي حضر فيها الخوف موضوعا يجب

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

التوقّف عنده لنسأل أنفسنا كيف يتشكل وما تداعياته وصوره، ومبررات حضوره لدى الذات والآخر، والشعرية تجعلنا نطرح مجموعة من الأسئلة من قبيل: كيف تجسّدت لحظات الخوف في النص القصصي للمجموعة؟ وما أبعاد ودلالات هذه اللحظات؟ وما مدى التجديد الإبداعي والفني في هذا الجانب في النص القصصي؟ وكيف عبر الراوي/ القاص عن المعطى النفسي والواقعي لتجربة الخوف لدى الأنا والآخر، وهل من نقاط اختلاف أو ائتلاف بين الاثنين؟

"والشعرية ليست كلمة نقيضة للنثرية، كما أنها ليست تمييزا لجنس أدبي- هو الشعر- عن غيره من الأجناس الأدبية الأخرى. إنّ الشعرية هي تلك الخصائص اللغوية والتداولية والفنيّة التي تميز العمل الفني عن الكلام العادي"[٢]، إنها تلك السمات التي تجعل من ألفاظ منظومة، واستعارة مختارة عملا إبداعيا راقيا إنها ببساطة مكونات المعجم والتركيب والصورة والأسلوب والرؤية في اختيار العناصر الممثلة للنص القصصي، التي تأتي مجتمعة لتنقل إلينا رؤية العالم عبر منظور الذات.

المبحث الأول: الخوف بوصفه ظاهرة نفسية في الأدب

أولاً: الخوف لغة

ورد في لسان العرب خوفَ أن " الخوف هو: الفزع. خافه يخافه خوفا وخيفة ومخافة...، ورجل خافٌ أي شديد الخوف... والمخاف والمخيف موضع الخوف" بينما الهلع من "هلع: الهلَع: الحِرْصُ، وقيل الجَزَع، وقلّة الصبر، وقيل هو أسوأ الجزَع وأفحشه، والهلع يهلع هلعا وهلوعا، فهو هلِعٌ، وهَلُوعٌ... والهَلُوع: الذي يفزع ويجزع من الشر، قال أبو العبّاس المبرد: رجل هلوع إذا كان لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل في كل واحد منهما غير الحق"[٣]. إذن فالخوف ليس مرادفا حقيقيا لصيقا بالهلع، لكن يمكن ربطهما بالتجاور، وأن وجود أحدهما أدعى لحضور الآخر، ومن هنا يمكن وصفهما بالتلازم في الحضور في الذات، إذ يمكن أن نصف قليل الصبر (الهلوع)، بالفزِع أي

[٢] - البشير (سراته)، مرجع سابق، ص١٤

[٣] - ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٦، ٢٠٠٨، مادة خوف (ج٥-٦)، مادة هلع (ج١٥-١٦)

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الخائف؛ لأن قلة صبره تقوده لحالة من التوتر والخوف تدفعه إلى القيام بفعل غير مأمون العواقب وهو ما قد وصفه أبو العباس بغير الحق.

إذن فالخوف يخلقه موضع تخاف منه النفس، فيستدعي بذلك أن تعيش النفس حالة شعورية من التوتر والقلق تدفعها لفعل غير مأمون العواقب نظرا لقلة الصبر التي تعيشها النفس بسبب الخوف الكامن فيها.

ويعرّف الخوف في علم النفس على أنه عاطفة بشرية تتضمن استجابة بيو كيميائية وعاطفية فردية عالية، ويعتبر الخوف استجابة للتهديد أو الخطر، سواء كان ذلك الخطر جسديا أو نفسيا، ويمكن أن يكون الخوف من التهديد الحقيقي أو من مخاطر خيالية غير موجودة في الأصل، ورغم أن الخوف هو استجابة طبيعية لبعض المواقف فإنه قد يؤدي أيضا إلى حدوث الضيق والاضطراب عندما يكون شديدا أو غير مناسب مع التهديد الفعلي، ويمكن أن يكون الخوف أيضا أحد أعراض بعض حالات الصحة العقلية مثل اضطراب الهلع والقلق الاجتماعي واضطراب ما بعد الصدمة (PTSD)، والذي يتكون من تفاعل بين الكيمياء الحيوية والعوامل العاطفية، ويظهر في الجسد من خلال مزيج من الأعراض الجسدية والأفكار المخيفة في العقل. وهو مبحث واسع في علم النفس والأدب والفلسفة.

ثانيا: الأنماط الأدبية التي تقدم الخوف

يعد الخوف موضوعا شائعا في الأدب، حيث يوظف لإثارة المشاعر وتوجيه القصص، ففي الشعر والأدب الكلاسيكي يمكن أن يبرز لدينا ملمحين للخوف الأول عبر فيه الشعراء والكتّاب عن الخوف من خلال قصائدهم ورواياتهم: كالخوف من الموت والخوف من الفقد، والخوف من الظلم، وحتى الخوف من الأشباح والكائنات الخارقة، والملمح الثاني نجده لدى فيودور دستويفسكي الكاتب الروسي الذي استخدم موضوع الخوف بصورة مميزة في روايته (الأبله) فالشخصيات عبرت عن مشاعر القلق والرهبة بصورة عميقة. كما نجد للخوف باعتباره موضوعا يحضر في الأدب الصوفي بصورة مميزة فعلى سبيل المثال تعكس قصة الحلاج الصوفي شجاعته في مواجهة الخوف أثناء تعذيبه. ويعد الخوف بالتالي موضوعا مهما اعتنى بنقله الشعراء والكتّاب باعتباره مكونا أساسيا في الأدب؛ لأنه يساهم في بناء الشخصيات وتطوير الحبكة القصصية والروائية،

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ويمكن بالتالي أن ينقل عبره الكاتب والشاعر المشاعر الفطرية، ويؤثر عبر نقله للقراء على مشاعرهم واستجاباتهم ويخلق لديهم اتجاهات جديدة لأنه لفت نظرهم لأمر لم يكن ليلاحظوه لولا نقله له وحساسيته تجاه الموضوع، وهو ما قوض كتاب كثر للكتابة في قصص الرعب وروايات الغموض.

وإذا كان الخوف هو الشعور الناجم عن إدراك خطرٍ حقيقي أو متخيَّل، وهو حالة نفسية تتراوح بين القلق الخفيف والرعب الشديد فإنّ الخوف في الأدب يُعدّ موضوعا مهما في السرد الأدبي، حيث يحضر في النصوص لإثارة التوتر، وتعميق الشخصيات، وتحريك الحبكة، وهو يظهر في عدة أشكال منها:

١. **الخوف النفسي :**كما في أدب كافكا، حيث يشعر الأبطال بالخوف من قوى غامضة وغير مفهومة.

٢. **الخوف الوجودي :**مثل الذي نراه في أدب سارتر وكامو، حيث يكون الخوف مرتبطًا بالعبث والعدم.

٣. **الخوف الأسطوري والخرافي :**كما في قصص الرعب، مثل أعمال إدغار آلان بو أو ستيفن كينغ.

٤. **الخوف المجتمعي والسياسي :**يظهر في الروايات الديستوبية، مثل *1984*لجورج أورويل، حيث يكون الخوف أداة للقمع والسيطرة.

وبذا يشكل الخوف أداة من الأدوات الفنية التي يعمد إليها الشاعر أو الكاتب وهو ما نجده في الشعر العربي من استخدم الشعراء الخوف للتعبير عن قلقهم الوجودي كما نقرأ في شعر المعري، أو خوفهم من الفقد والموت كما في شعر المتنبي، وفي الرواية والمسرح، ينفتح الباب للخوف ليعكس تحديات الفرد أمام المجتمع أو القوى الغامضة.

ثالثا: الخوف شعورا جماعيا

عندما يكون الخوف شعورًا جماعيًا، فإنه يصبح أكثر تعقيدًا من مجرد إحساس فردي، إذ يتجذر في الوعي الجماعي ويؤثر على تصرفات المجتمعات ككل، ويتصدى الأدب ليعبر عن هذا النوع من الخوف بطرق متعددة، من خلال الرمزية، والسرد

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الجماعي، والتصوير النفسي العميق للمجتمعات في مواجهة الأزمات أو التهديدات الكبرى. ومن أبرز أشكال الخوف الجماعي في التي عبر عنها الأدب العالمي:

١. **الخوف من السلطة والطغيان كما** في الروايات الديستوبية[٤] مثل *رواية ١٩٨٤* لجورج أورويل، يُستخدم الخوف الجماعي كوسيلة للسيطرة، حيث يعيش المجتمع تحت رقابة صارمة تمنع الأفراد من التفكير بحرية، أما رواية *محاكمة* لكافكا، فنجد الخوف الجماعي ينبع من الشعور بالتهديد المستمر من سلطة غير مرئية وغير مفهومة.

٢. **الخوف من الكوارث والأوبئة مثل رواية** *الطاعون* لألبير كامو، يُظهر الأدب كيف يتحول الخوف من المرض إلى حالة من العزلة والهلع الجماعي، حيث تتغير سلوكيات البشر بفعل التهديد المشترك، وكذلك في رواية *العمى* لجوزيه ساراماغو، يتحول تفشي مرض غامض إلى رمز لانهيار القيم الاجتماعية والخوف الجماعي من الفوضى.

٣. **الخوف من الآخر كـ (الغريب، العدو، المختلف)**، وهو ما عبر عنه الأدب القائم على الصراعات العرقية أو السياسية، حيث يُستخدم الخوف الجماعي كمحرك للتحيز والتمييز، مثل رواية *قتل طائر الغناء* لهاربر لي، حيث يظهر الخوف المجتمعي من الآخر المختلف ثقافيًا واجتماعيًا، ويظهر في أدب الخيال العلمي، نجد هذا في روايات تتناول غزو الكائنات الفضائية أو تفوق الذكاء الاصطناعي، مما يعكس خوف المجتمعات من المجهول والتقدم التكنولوجي.

٤. **الخوف الديني والأسطوري** كالأدب القوطي[٥] وأدب الرعب، مثل أعمال إدغار آلان

---

[٤] - الروايات الديستوبية **(Dystopian Novels)** هي نوع أدبي يصور مجتمعات خيالية تعاني من القمع، الفوضى، أو انعدام الحرية، وغالبًا ما تكون على النقيض من المجتمعات المثالية (اليوتوبيا). تُستخدم هذه الروايات لتحذير القارئ من مخاطر الطغيان، التطرف، أو الانحرافات التكنولوجية والاجتماعية.

[٥] - الأدب القوطي **(Gothic Literature)** هو نوع أدبي يمزج بين الرعب، والغموض، والعناصر الخارقة للطبيعة، مع أجواء مظلمة وكئيبة. ظهر هذا النوع في أواخر القرن الثامن عشر في أوروبا، وكان يهدف إلى إثارة مشاعر الخوف والرهبة لدى القارئ من خلال تصوير أماكن موحشة، شخصيات غامضة، وحبكات مشوقة تتضمن أحداثًا خارقة أو مرعبة.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

بو أو لافكرافت، يكون الخوف الجماعي مرتبطًا بالمجهول والخوارق، مما يعكس الرعب الوجودي للبشر أمام القوى الغامضة. أما في الأدب العربي القديم، نجد التعبير عن الخوف الجماعي في قصص الجن والأساطير الشعبية، حيث يعكس الأدب الجماعي المخاوف المشتركة من المجهول.

وظف الروائيون الرمزية والاستعارة، مثل استخدام الطاعون في روايات كامو وساراماغو كرمز للخوف من الموت والعزلة، ووظفوا تقنية بناء الأجواء المشحونة بالتوتر عبر السرد الجماعي مثلما نجد ذلك عبر وصف المدن الخاوية، والحشود الهائجة، أو الأفراد الخاضعين للرعب الجماعي. والأدب العربي مليء بأمثلة تعبر عن الخوف الجماعي في سياقات مختلفة، سواء كان الخوف سياسيًا، أو دينيًا، أو اجتماعيًا، أو وجوديًا.

فالخوف من السلطة والطغيان تمثله رواية "اللجنة" لصنع الله إبراهيم، التي تجسد الخوف الجماعي من السلطة القمعية والبيروقراطية الغامضة. حيث يواجه بطل الرواية لجنة مجهولة تحكم على الأفراد دون تفسير واضح، مما يعكس جوًا من الرهبة والاستبداد، وتصور **رواية "شرق المتوسط" لعبد الرحمن منيف** الأنظمة الديكتاتورية في العالم العربي وتأثيرها على المجتمع، فيظهر الخوف في الرواية ليس فرديًا وحسب، بل هو شعور جماعي يعيشه المواطنون الذين يخشون القمع والسجن والتعذيب.

أما الخوف من الكوارث والأوبئة، فتمثله رواية "حارس المدينة الضائعة" لإبراهيم الكوني، التي تصور الرواية مجتمعًا يعيش في صحراء قاسية حيث الخوف الجماعي يأتي من الطبيعة القاسية والعزلة، وتكون الأوبئة والمجاعات رمزا للمصائب الكبرى التي تهدد المجتمعات الصحراوية، و**قصة "عائد إلى حيفا" لغسان كنفاني،** تعبر عن خوف الفلسطينيين الجماعي من الاحتلال وفقدان الوطن، حيث يتجسد الرعب في تهجير السكان وضياع الهوية الوطنية.

ونمثل للخوف من الآخر كـ (الغريب، العدو، المختلف) برواية "باب الشمس" لإلياس خوري، التي تتناول الخوف الفلسطيني من الاحتلال الإسرائيلي، وتسلط الضوء على الشعور الجماعي بالتهديد، والنزوح، والخسارة. **ورواية "الطلياني" لشكري المبخوت، التي** تصور الخوف الجماعي في تونس خلال فترة التحولات السياسية، حيث

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

يعاني المجتمع من القلق تجاه السلطة والاضطرابات الاجتماعية

أما الخوف الديني والأسطوري فإن رواية "عزازيل" ليوسف زيدان خير مثال له إذ تتناول الرواية صراع الأديان في القرن الخامس الميلادي، حيث يعيش الناس تحت تأثير الخوف الجماعي من العقاب الإلهي والصراعات العقائدي، **ورواية "ليلة سقوط بغداد" لأحمد خالد توفيق، مثال آخر، فهي** تمزج بين الواقع والأسطورة، حيث يعكس سقوط بغداد خوف العرب الجماعي من الحروب والغزو الأجنبي، بأسلوب يمزج الرعب بالتاريخ، وتعبر **قصص الرعب لأحمد خالد توفيق "ما وراء الطبيعة"** عن المخاوف الجماعية من المجهول، مثل الجن، واللعنات، والكائنات الخارقة التي تتجذر في التراث الشعبي العربي

ويأتي الخوف من الفقد والضياع الوجودي لتمثله رواية رجال في الشمس" لغسان كنفاني، فهي تجسد خوف الفلسطينيين من الضياع في المنافي، ويصبح البحث عن حياة جديدة رحلة قاتلة تعكس الخوف الجماعي من المستقبل المجهول، وكذلك **رواية "التبر" لإبراهيم الكوني التي** تصور الخوف الوجودي للإنسان في مواجهة القدر والطبيعة، لأن الناس يعيشون في مجتمع صحراوي يمتلئ بالأساطير والمخاوف الجماعية. **وقد وظف الأدباء العرب هذه المخاوف، عبر اللغة الرمزية والاستعارات** بطريقة غير مباشرة لكنها مؤثرة. وظهر **التاريخ مرآة للخوف المعاصر الذي يعيشه الناس.**

المبحث الثاني: شعرية الخوف في (وقت قصير للهلع)

أولا: شعرية العتبات:

تعد **العتبات النصية** (Paratexts) إحدى العناصر المهمة في استقراء النص وتفسير أبعاده، وهي عناصر تحيط بالنص الأدبي وتؤثر على طريقة قراءته وتلقيه، يشمل العتبات العنوان، والغلاف، والمقدمة، والإهداء، والهوامش، وغيرها من العناصر التي تمهد للقارئ الدخول إلى عالم النص.

وإذا تفحصنا غلاف مجموعة (وقت قصير للهلع) وفق الإصدار الذي صدر عن دار عرب للنشر والترجمة عام ٢٠٢٢، فإننا نجد أنه جاء بلون أبيض؛ ليضفي التباين في

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

التصميم، وهو بدلالة البساطة والنقاء والنظافة التي تكشف النفس الصافية التي تأتي للدنيا طاهرة نقية لا يكدرها شيء، ويظهر الإبريق المعدني المقلوب الذي طغى عليه اسوداد أثر الطبخ على النار المشتعلة وهذا يشير إلى أن الإبريق القلوب يرمز للإنسان الذي تعرض للهيب نار مشتعلة أحرقته نار الخوف ولهيبها المشتعل حتى ظهر أثر الاحتراق في سطحه. والصورة كانت لإبريق شاي بسيط مقلوب ظهرت تحته بقعة بلل رمادية، وفوق الإبريق كتب عنوان المجموعة باللون الأسود على ثلاث مستويات للأسطر، كتب على يمين كلمة (وقت) اسم الكاتب، وعلى يسار كلمة (قصير) كلمة قصص باللون الأحمر أيضا للدلالة على الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه الكتاب، وعلى يمين (للهلع)خط اسم الدار باللغة الإنجليزية(daaab) بهذه الطريقة، والناشر هو دار عرب للنشر والترجمة

ستجدون وأنتم تتصفحون المجموعة أن هناك ثلاثية قصصية بداخل المجموعة عنونها يحيى سلام ب غليان الشاي تضمنت: هدية أختي حسينة، والكتاب الإسمنتي، وصياد العاملات، وهي ثلاثية ينقلنا فيها الراوي إلى الآخر الذي يعيش حالة الاغتراب الممزوجة بالخوف، وهنا نسأل مم قد يصاب الآخر المغترب بالخوف والهلع؟ إذن لإبريق الشاي رمزية في غليانه، فالغليان قد لا يكون حسيا بقدر ما يحيل على الغليان الداخلي الذي يعبر فيه الراوي عن الصراع الذي يعيشه الآخر بين ما يري وما يشعر وما

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

يعيش. وهذا البياض الطاغي الذي يحيل إلى الفراغ والاتساع والذي قد يقلب الذات أحيانا ويخرج ما فيها، فتندلق الصراعات والأسئلة عبر اللغة، ومونولوج الذات الذي استطاع السارد هنا للولوج إليها وقراءتها في الآخر.

أما العنوان (وقت قصير للهلع)، فقد أمأنا سابقا إلى التقارب اللغوي بين الهلع والخوف، فالهلع حالة نفسية ذاتية تنقل الحرص والحذر المشوب بالخوف والترقب والتوجس، وما الخوف إلا فزع نفسي ينشأ من مثير داخلي أو خارجي يجعل الذات تعيش حالة من التوتر والقلق، والحاص أن الخوف هو تصور ذهني في لاوعي النفس يدفعها لاستجابات تكشف ذلك التوتر، يتلخص في لفظة الهلع حالة السلوك اللفظي والفعلي التي تشير إلى قراءة تنفذ إلى توصيف الحالات الراهنة الواردة في النص القصصي، والتي تعبر عنها اللغة لدى السارد أو الآخر، وهي حالات إنما تنقل " العمل الفني عبر اللحظات الزمانية الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، فالحادثة الراهنة أثارت في نفس المبدع رغبات دفينة قديمة عبّر عنها وأسقطها على المستقبل"[٦]، وهذا ما يمكن تفسيره بأن غاية العمل الأدبي دائما هي إيجاد متعة الإشباع لرغبات لم يتم إشباعها قديما أو حديثا.

لقد جعل المنذري من الهلع ثيمة تجمع شخصيات النصوص القصصية في المجموعة، تحركت بفعلها الذوات لتنقل صورا عابرة ربما للبعض لكن يحيى سلام رأى أنه لابد من التوقف معها لفترة من الزمن لنتأمل دواخلها التي تحركها في مواجهة مصيرها ومقاطع حياتها. إن ما حرك المنذري للتأمل في الفواعل لدى الشخصيات في النصوص القصصية هو موضوع مهم يشغل من الأدب عمقا فلسفيا وهو موضوع (الهُويّة) الخاصة والبحث عنها بالتعرف على رغباتها ودوافعها وذاتيّتها، " وهكذا تنتقل الرغبة من النصّ إلى وعي ولاوعي القارئ، ويكون النص قد خدم المؤلّف في التعبير عن رغباته ودوافعه وخدم القارئ الذي يوائم ويكيّف النص حتى يحقق متعته الخاصة"[٧].

---

[٦] - الرويلي (ميجان)، والبازعي (سعد)، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة السادسة، ٢٠١٧، ص٣٣٤

[٧] - المرجع السابق، ص٣٣٥

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ثانياً: شعرية اللغة السردية

من منطلق أنّ " الشعرية تستمد مقوماتها من مشارب لسانية وأدبية متعددة وتهدف بالأساس إلى التركيز على العمل الأدبي لأجل استخلاص القوانين التي تحكمه وإبراز البنيات العلائقية لمكوناته اللغوية، دون إلغاء الأبعاد الاجتماعية والنفسية التي جسدتها هذه البنيات عبر علاقات شتى متداخلة ومتشابكة، متوائمة ومتناقضة، حاضرة وغائبة"[٨] لذا فإن الإحاطة بشعرية الهلع والخوف في مجموعة قصصية متكاملة تقدنا إلى البنية المورفولوجية للقصة، والبنية المورفولوجية كما أسس لها بروب تقودنا إلى مناقشة مستوى الوظائف في النصوص القصصية التي احتوتها المجموعة.

١- شعرية الخوف في قصة الإصبع

فقصة الإصبع ينقل الراوي حالة مريض ستبتر إصبع قدمه اليمنى عبر زيارته للمشفى، فيقول في جملة الابتداء الصادمة: " دخل المريض غرفة القلق. إصبعه ستبتر، وربما سيتناولها كهدية وسيخرجها من الكيس البلاستيكي ويضعها على الطاولة ليصوّرها بهاتفه"[٩]، الراوي عليم هنا يخبرنا بما يدور في نفس المريض، وينقل عوالم الممكن في نخيلته في وضع الإصبع في كيس ووضعها على الطاولة وتصويره لها بهاتفه. يؤكد الراوي علمه بالمريض: "راودته فكرة أنّ الطبيب لا يزال شابا وقليل الخبرة. فسأل نفسه لماذا بالذات هذه الإصبع؟ الألم في كامل قدمي"، وأخذ يفكر " هكذا فجأة دون سابق إنذار، قرر الطبيب أنها تالفة؟ لعله موهوب، لعل عقله الصغير يراوده طموح كبير ليصبح أشهر جراح في العالم، ويتطلع إلى جائزة نوبل في الطب..."[١٠] إنّ ما حرك الحدث كله كان عالما داخليا مؤثث بالكامل بالعوالم الممكنة التي تخيلها المريض ونقلها عبر الراوي العليم، هذا ما جعل شخصية المريض المشحونة بالخيال وملأ العوالم الممكنة بالأحداث التي نقلت قلق الذات وخوفها من المصير المجهول، فصنع للطبيب عالما ممكنا في أنه درس الطب بسبب إلحاح والده، لكي يفتخر به أمام عائلته وأصدقائه، ولعله أصيب

[٨] - البشير، شعرية الحزن، مرجع سابق، ص١٦

[٩] - المنذري (يحيى سلام)، وقت قصير للهلع، دار عرب للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ٢٠٢٢، ص٩

[١٠] - المنذري، المصدر السابق، ص٩

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

بالتعاسة لقلة راتبه، فخطط للانتقام من المرضى وأنا منهم.. وتوقف عند برود الممرضة وعدم ابتسامها له.

وقد كان لحضور بعض المسميات في القصة دلالة رمزية فغرفة القلق كانت لغرفة الفحص في المستشفى، ومضيفات الطيران رمز لوجوه غير مبتسمة باهتة، والمغسلة البيضاء النظيفة التي يحدق فيها والبطء المزعج لقرات الماء م الحنفية الفضية ذات العنق الطويل التي شعر بقبح وجودها في غرفة بسرير أبيض، رمزية لمفردات زرعت في نفسه الخوف ، وكان لحضور الغرفة السمبوسة التي قضى فيها سني عمره الستين رمزية النقص في الأعمدة إذ لشكل السمبوسة ثلاثة أعمدة، فكأنما الوحدة التي شعر بها كان يتممها الجدار الرابع وهو جدار الرفيقة، لهذا قال في حواره الداخلي: " هل تعرف هذه الممرضة معنى الوحدة؟ سأخبرها بأن الوحدة أن تكون محاطا بالجفاف، وتسكن في شقة دون امرأة تحبك، ودون أولاد يغمرونك بالحنان وينتظرون قدومك بشوق في كل مرة تغيب عنهم."[١١]، ناهيك عن رمزية حضور الصخور ورصاصة الألم وصمت الممرضة.

لقد شكلت شخصية الراوي العليم والمريض عالم النص، ومثلت شخصيات الطبيب والممرضتان وطبيب التخدير شخصيات عابرة ارتبطت بمكان الحدث ومقتضيات الزمن في الوجود وقت التشخيص والعلاج، ومثل السؤال الذي طرحه المريض في بداية النص: "لماذا هذا الإصبع بالذات؟ الألم في كامل القدم" مؤشرا دلاليا إنشائيا ربط بداية النص بنهايته حينما نقل الراوي ذلك بقوله: "وشهق بقوة حينما شاهد رجله اليمنى بدون قدم".

امتلأ النص بمفردات الخوف وتراكيبه الدالة، وشكلت معجما طاغيا فيه مثل: (القلق، الصداع، نفسا عميقا، أنا جبان شرير، انطباعا ثقيلا، قبح وجودها سكين التوتر، خوفا، "أنا خائف"(٣ مرات)، أنا خائف وفقط، ازداد قلقه، لا تخف (٥مرات)، انهارت، مخاوفه، رفع رأسه ببطء، الوحدة، الجفاف، وحيدا، ضغوطات، كانت تخاف، وجود صخرة مؤامرة، لرميه برصاصة الألم، الأمر مقلق، جبنه وخوفه، علامات الانفعال، قاسيا، ألم مجازي، ينفجر من الخفقان، وشهق بقوة.."

لقد شكل حقل الخوف هيمنة في هذا النص وضع القارئ أمام نفس يتراوح بين

[١١] - المنذري، وقت قصير للهلع، مصدر سابق، ص١٣

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الصعود والنزول، ما سمح بنقل عوالم ممكنة متخيلة تناوب في نقلها المريض: بطل القصة، والراوي العليم، وشكلت الشخصيات المرافقة بما أتاحته الزمكانية (المشفى بمرافقه/زمن المرض)، والتي كان من المفترض أن تكون عامل تهدئة، لكنه ساهم في نقل تداعيات الذات إلى سرد العوالم الممكنة ومبررات الذات التي قادتها للخوف، خاصة المكان الذي دفع الشخصية والراوي لنسج تلك العوالم المشحونة من مرجعيات واقعية للتداعي، إن حال المريض الذي ساند فيها الراوي ينحو منحى تصاعديا في حالة الخوف التي تلبس بها، وهو ما جعل الحقول الدلالية للخوف تتداعى وتسقطه بشكل متواتر وتصاعدي على المكان ومفردته، ومن فيه، ويمكن تمثيل هذا المنحى في صعود مشاعر الخوف بالشكل البياني بالآتي:

الشخصيات المصاحبة/ المهدّئة

٢- شعرية الخوف في ثلاثية غليان الشاي

أما ثلاثية غليان الشاي، فتبدأ استهلالا بهدية أختي حسينة، التي أخذت فضاء زمنيا في سرد الأحداث وتتابعها بدءا من ٢٠ يونيو- ٨ مساء إلى ١٠ ديسمبر -٩ مساء، وفيها يتحدّ الراوي بالشخصية المحورية ذاتها، بتوظيف ضمير المتكلم: " الكتاب الذي بين يدي من أختي حسينة. أرسلته مع صديق من بلادي. شجعتني على القراءة بالإنجليزية. اشتقت

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

لها. دائما ما أتذكر حنانها، وخوفها عليّ وأنا طفل. حملتني حينما تعبت من المشي. حمتني من اعتداء أولاد القرية. هي زهرتي وأمي الثانية."[١٢]

لقد جمعت ثلاثية (غليان الشاي) تراتبية سردية في تعريف القارئ بالشخصية المحورية للعامل البنجالي – اسمه محمد عز الدين وفق رواية الفورمن الراجستاني- العامل كان في الأربعين من عمره وقد قضى خمسة عشر عاما منها في عمان، وفق ما ورد سردا على لسانه في نص (هدية أختي حسينة)، ثم حضرت شخصية الراوي الأساسي/ المؤلف في النص الثاني (الكتاب الإسمنتي)، بتوظيف ضمير المتكلم أيضا ، ومثل الكتاب رابط المعرفة بين العامل والكاتب، لقد غيب السارد اسم الشخصية حين تحدثت عن نفسها بتوظيف ضمير المتكلم، واستحضر اسم أخته حسينة التي مثلت محركا سرديا خفيا في تبني المعرفة سبيلا لبناء العوالم الداخلية لأخيها العامل، وجاء النص الثالث لينهي الثلاثية بتتبع الكاتب الذي يمثل المعرفة لصديقه البنجالي الذي تعرف عليه من خلال يومياته التي خطها على الكتاب الإسمنتي الذي أعطاه له أحد العمال -صدفة- وهو في جولة المشي اليومية، عنونه – صيّاد العاملات- وذلك توافقا وتصديقا لما أخبره به الفورمن عن العامل بأنه كان يقرأ ويكتب ويخط السحر بكتاباته فتأتيه العاملات طوعا، لكن اليوميات كانت تقول غير ذلك، ليقول المؤلف الذي بدا فيه هاجس الفضول كبيرا: " ضربت جبيني، اليوميات صادقة، أليس كذلك؟ ومن يعلم ربما كان الفورمن ماكرا، اختلق هذه القصة وحاول أسطرتها ليقذف بي في دوامة توهان"[١٣]، ليضعنا الكاتب أمام إشكالية أزلية في تحديد موقف واضح وتبني رأي عند الوقوف والتصديق بين المكتوب والمسموع/ المادي والشفهي، وهي إشكالية معرفية كبرى نقف معها عند قراءة التأريخ، والأساطير، وقصص السير والمذكرات.

للثلاثية أبعاد معرفية في تبني جدلية الأنا والآخر، إذا متى يتحدّد الآخر مقابل الذات/ الأنا وكيف، هل هو الغريب/ الوافد/ المختلف/ المطلع/ المتأمل، إذ قد يتشابه الآخر وإن كان غريبا وافدا فقيرا مع الذات حين يلتقي مع الذات في المعرفة والتأمل ورؤية العالم، وتشابه الشغف الذي يراه الآخرون غريبا. فالكاتب المؤلف في نص الكتاب الأسمنتي

[١٢] - المنذري، وقت قصير للهلع، مصدر سابق، ص٢٣

[١٣] - المنذري، وقت قصير للهلع، مرجع سابق، ص٤٦

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

يشارك العامل البنجالي شغف القراءة وخط المذكرات، وقد جمع كتاب (بيت وحيد في الصحراء) ليحيى سلام المنذري – والذي صدر عن مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان باعتباره كتاب نزوى في مايو ٢٠٠٣، والذي تقاربت نصوصه مع مجموعتنا المعنيين بها اليوم فضمن غرف جاءت نصوص عديدة جاءت نصوص سندباد صغير يمتطي غيمة، وأين الذبابة؟، والشمس لا تجد من يقدم لها دفأها، ورعشة الصوت الثالث، وبعيدا عن شاطئ الأسكندرية، وبيت وحيد في الصحراء، وشارع يغوص في الظلام، وضجيج البيت الكبير، وتحت عنوان زارعو غابة الإسمنت اندرجت نصوص أخرى هي: رسالة من تلك البلاد، وصورة واحدة لا تكفي، وصور كثيرة للذكرى، وأقرب نافذة إلى القلب، وذو الشعر الناعم، ولهاث باتجاه السماء، والمروحة البشرية، وتلذذ، والمشط، وحظ الشارع من السيارات قليل، وتشبه، وخسارة الجبل، وامتحان رقم عشرة، والطابور والرجل الأخضر.

جاء النص الأول ليكرّس ثنائية (التعب/ والنوم) ينتج التعب من العمل الشاق الذي تشعر بمشقته الجسدية ولا يوجد من يعوض ويهون على الذات، فحضر التعب ممزوجا بمشاعر الشوق والحنين للأهل (الأب والأم والأخت حسينة) وعندما فقد الذوات الداعمة كان النوم هربا من تلك المشاعر المؤلمة المحبطة، فتشكلت ثنائية مختلفة للهلع الذي يستلزم مواجهة المخاوف بالثبات، لكن العامل اختار النوم هربا من الشعور بمخاوفه الكثيرة التي سردها ضمن يومياته، يقول: "النوم أفضل من كل شيء، النوم، النوم"... "أين أمي وأبي الآن؟ هل شفيت أختي من مرضها؟ كلما أفتح الكتاب أشم رائحتها. ليتني أنام ولا أستيقظ"..." هذا التعب يتفوق على القلق والشوق، يهدهما ويخفيهما بالنوم. النوم أفضل" ..." نتوسل إليه: تعال- يقصد المكيف- وبرد على قلوبنا، ودعنا ننام"..." أردت أن أكتب في مديح القمر لتقرأه أختي فيما بعد. لا أعرف كيف، ربما غدا سأفكر في الأمر، سأنام"..." لابد من النوم، التعب كسر عظامي" ..." يجب أن أنام الآن"..." النساء يجلبن المصائب، والنوم أفضل لي"..." الظلام والتعب يحقنان جسدي بالنوم"..." وطبعا النوم النوم"..." تعال أيها النوم.. تعال"، لقد أشبع الراوي النص الأول بلفظة النوم توافقا مع التعب الذي ينال منه في العمل.

رافق هذه اليوميات -التي نقلت الآخر في مقابل الذات- الشاي الذي يصفه العامل بأنه مشروبه اليومي:" ككل يوم، أشرب الشاي" وفي النص الثالث، يقول الراوي /

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الكاتب: " تذكرت الشاي: ألم يكن يحب شاي الكرك؟، ضحك متخابثا وقال: كلنا نحب الكرك" [١٤]، مثل الشاي باعتباره مشروبا يوميا محببا لدى هذه الفئة من العمال حضورا موضوعيا يتوازى مع الإسمنت والتعب، وحضور مفردات أخرى مرتبطة كالويسكي الهني والغليون، والعدس والخبز والكيما، وهي مفردات لحياة الآخر تختصر ثقافة حياة وطريقة معيشة.

عنونت يوميات العامل البنجالي التي خطها في الكتاب الإسمنتي (بيت وحيد في الصحراء) الذي ترجم للإنجليزية، بتواريخ أيام صيفية في معظمها تبدأ ب٢٠ يونيو -٨ مساء، امتدادا لأيام قليلة شتوية تؤرخ لقرب نهاية العام الميلادي إلى ١٠ ديسمبر ٩ مساء، وفي أوقات مسائية – وهو وقت راحة العمال بعد انهائهم أعمال البناء. لقد تلطخ كتاب المنذري المترجم للإنجليزية بالإسمنت الذي كان جزءا من حياة العمال البنائيين الذين تختلف هوياتهم وجنسياتهم وانتماءاتهم، لكنهم يتشاركون المكان والعمل، ومواقف الحياة ولحظات الإحباط والتعب والموت، لكن التراتبية الطبقية التي تحددها وظيفة العامل حضرت، فظهر الاختلاف بين المقاول والفورمن والعمال أصحب الجودة في اليد العاملة، والأقل جودة، يروي العامل عن عماني بلحية طويلة وقد سخر من الراوي/ العامل البنجالي، عندما تكلم مع مالك المبنى: " إن البنجاليين يعلمون كل شيء ولا يعرفون شيئا. ظن أنني لا أفهمه..."[١٥].

أما النص الثاني فقد كرس الهم المعرفي للكاتب والمثقف، والذي أمسى أمرا مزعجا للكثيرين من حوله، فجاء في صورة ثنائية (المشي/ والقراءة) لنقل صورة تقوية الجسد بتقوية العقل وزيادة المعرفة، وهو الأمر الذي سبب سخرية الكثيرين من المثقف/ الكاتب. وجاء النص الثالث ليؤكد على سلوك بشري فطري في أسطرة الأحداث حول الآخرين إذا ما غابوا وكان كل ما يحتفظ به الآخرون عنه صورة عابرة خارجية مشوهة، شظف الحياة وطلب لقمة العيش قد فرض عدم الدخول في علاقات قوية.

وظفت النصوص الثلاثة العوالم الممكنة المتخلية ضمن ذاكرات ثلاث: ذاكرة العامل البنجالي المغلوب علي أمره، وذاكرة القارئ المهموم بالمعرفة، وذاكرة الأجنبي الذي

[١٤] - المصدر السابق، ص٤٤

[١٥] - المنذري، وقت قصير للهلع، مصدر سابق، ص٢٤

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

يصنع سرديته الخاصة لمن يرأسهم ويملي عليهم أوامره، وقد اتخذت الشخصيات الثلاث من العوالم الممكنة المتخيلة عامل تهدئة نفسية وتفسيرا لعوالم الواقع التي يعيشها ويشعر بالتوجس منها والمعاناة في طريق خوضها، وكلها ذاكرات تحايلت على الواقع لتخلق عوالمها بين الواقع والمتخيل، لأنها ضمن صيرورة الفئة المهمشة في المجتمع، ويمكن ترجمة هذه الذاكرات الثلاث بالشكل الآتي في نسج علاقتها ببعض:

٣- شعرية الخوف في ثلاثية صندوق المفاجآت الملونة

تركز هذه الثلاثية على فئة مهمشة أخرى تعيش على هامش الحياة، وكأن الزمن قد نسيها عند خط الفقر والحاجة، عند الأعداد الهولة التي تقبع عند ذلك الخط ودونه، هذه الفئة التي تدخل الخليج خاصة عمان من قبالة البحر بكل امتداداته الجغرافية (بحر عمان، وبحر العرب)، يعملون كل شيء وأي شيء، أجسامهم ذات بنية قوية هيأتهم عملاقة، غالبا هم من الجنسية الباكستانية، يدخلون غالبا بطرق غير شرعية أو عن طريق التهريب عبر الحدود البرية، يصورهم الراوي في نص (خفة الصندوق)، ويقول: "نزل منها أربعة عمال باكستانيين عمالقة، رافقهم رجل أسمر فمه مغطى بشارب عريض، دلت هيئته على أنه مسؤولهم، كان يأمرهم، لهجته وتقاسيم وجهه تدل على أنه بنجالي، كان مثل قط عجوز يمشي بين نمور في حلبة سيرك"[١٦]

وقد لعب الخيال والصورة النمطية الذهنية المختزنة لدى العماني عن هذه الفئة

[١٦] - المنذري، وقت قصير للهلع، مصدر سابق، ص٤٩

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

القوية من العمال دوره البارز في خلق عوالم ممكنة واستعارات تصورية ذهنية أدركتها ذات الراوي فألف صورا ذهنية عجيبة تطوف بالمتلقي في عوالم تجمع بين الواقع والمتخيل متأملة فيها عبر الزمن الماضي وكيف جاءوا م خلاله، والزمن الحاضر وما يراه من غلظة الملامح والأجساد وبين المستقبل وكيف يمكنهم التخلص منه وتحولهم لكائنات برمائية تذوب في البحر وتعود مرة أخرى في المستقبل بصور أخرى.

مثل الصندوق في النص عامل تشويق وترقب وهو ما يتعاطى مع معاني الهلع التي يختلط فيها الخوف بالترقب والحذر، " كان ابني زهران يترقب فتح الصندوق بعد مغادرة النمور، بينما أخته منار وأخوه وليد يلعبان بالكرة. كانوا ثلاثة طيور في غابة، لا يعبؤون بالنمور والأسود والنسور"[١٧]، نعاين التباين في التصوير الاستعاري في حديث الراوي (الأب)، وهنا يمكننا القول أن النص "يعد بنية دلالية تنتجها ذات فردية أو جماعية، ضمن بنية نصية منتجة، وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة، فيتقاطع مع نصوص أخرى في علاقة جدلية تقوم على أساس التفاعل والهدم والباء، داخل سياقات ثقافية واجتماعية هي التي تحدده وتؤطره"[١٨]، فالنص من هذا المنطلق مادة خام وطريقة تفكير تختزل نمط تفكير جماعي يكشف عن نسق ثقافي عميق متأصل، وهو بهذا يخبر عن أنماط سردية تمثل الأنظمة السردية والإشكاليات الأيديولوجية وأنساق التمثيل المتاحة اجتماعيا.

وفي هذه الثلاثية الأخيرة (صندوق المفاجآت الملونة) يمكن تأطير النظر في الدلالة الاجتماعية لحضور الآخر في النص القصصي للإلماح إلى التحولات التي مرت بالعماني، والتي دفعت بالخطاب القصصي غالبا -لدى فئة من القاصين العمانيين أخص المنذري ومحمود الرحبي هنا- دفعتهم إلى تأمل هذه التحولات ومراحلها وأثرها في البنية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتي أثرت وحفرت رؤية في عمق الوعي الاجتماعي الجمعي في المجتمع العماني.

لقد كان بداخل الصندوق عاملة للمنزل أدخلت بطريقة التهريب، صورها الراوي بالنحلة: " على الفور ودون تردد اندفعت عائشة لتفتح غطاء الصندوق، فوجدت النحلة

[١٧] - المصدر السابق، ص٥١

[١٨] - زعلة (علي)، الآخر في الرواية السعودية، دار مدارك للنشر، الرياض، ط١، ٢٠٢٢، ص٢٥٠

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

تغط في نوم عميق، وبجانبها حقيبة صغيرة مهترئة، كانت ضئيلة ووجهها ملون كمهرج، وشعرها قصير وبرتقالي"[١٩]، حمل الصندوق هؤلاء العمال العمالقة.

أما النص الثاني من الثلاثية الثانية (صندوق المفاجآت الملونة)، نص عنونه بـ(كائنات الأوهام والتوجّس)، وهو نص يختصر رحلة البحث المتكرّرة عن عاملة منزل في دول الخليج بصفة عامة، وعمان بصورة خاصة: " عسى هذه الرحلة تأتي بفائدة.. ونجد شغالة رخيصة"[٢٠]، وصف الراوي العاملة بالنحلة امتدادا للنص الأول وهي لفظة تحمل دلالة أنثى خلية النحل المعروفة بعملها الدؤوب وصنها للشهد الذي يحصده أصحاب الخلية، وفي النص سرد لما قد تلاقيه النساء من بعض العاملات وقصصهن التي تختلف وتتشابه في الوقت نفسه، وفي كل هذا تأمل في الآخر، لأن الآخر قد يكون مرآة للذات.

يحمل النص استعارات ونسج لعوالم متخيلة كثيرة تفيض بها ذاكرة الراوي، من الاستعارات التي يمكن إيرادها، هو ما يتقاطع مع مجموعة بيت وحيد في الصحراء، يقول الراوي: " أعداد غفيرة من البشر يهرولون ناحية جبال شاهقة متراصة صنعت من إسمنت وحديد، تحولت إلى كهوف غامضة تاركين سياراتهم وراءهم، عمّ يبحثون؟ المهم يبحثون عبثا لعلهم يستطيعون إنقاذ أرواحهم من وهم اللاشيء"[٢١]، في النص إسقاطات كثيرة على واقع من صنع الوهم، ووهم يوجه لواقع قائم، وهذه الإزدواجية (الواقع والوهم)، وما وقعت فيه دولنا، هي صورة للذات التي كشفها وجود الآخر، لعبة هزلية، وتتكرر باستمرار. ومن العوالم المتخيلة ما نسجه الراوي من خيالات وصور متحركة حول شاحنة الخراف في الصفحة ٥٦. واستعار لمكتب استقدام العاملات مسمى الكهف لما لذلك من دلالة متناقضة بطلب الحماية وإمكانية الاختفاء والتستر من جانب، والتكدس والظلمة من جانب آخر، وكلها صور لوقائع نراها ونعيشها.

أما النص الثالث الذي عنونه بـ(رهافة نحلة)، فقد اختار الراوي أن يسرد لنا عن العاملة ماري التي تعمل بخفة وهي هشة في الوقت نفسه تخاف وتفزع من الأصوات

---

[١٩] - المنذري، وقت قصير للهلع، مصدر سابق، ص٥٤

[٢٠] - المصدر السابق، ص٥٥

[٢١] - المصدر السابق، ص٥٩

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المفاجئة، وتتبرج ليلا؛ لأنها " تعمل في صفحات مواقع التواصل الاجتماعي، كانت تصور نفسها وتتحدث بلغتها، وتدخل برامج الغناء، كانت نجمة ليلية، ولم نتمكن من كشف هذه العوالم طوال فترة عملها لدينا. كانت كمن يغطي أعيننا عنها بأفعالها الأخرى ..."[٢٢].

لقد شكلت الثلاثية ثالوثا سرديا خاصة في إظهار الذات مقابل الدخول في عوالم الآخر، ومثل الراوي خيط الربط بين النصوص الثلاثة، سرد العلاقة والعوالم من خلال رؤيته، فجاء السرد تأمليا مشحونا بالمفارقات، وكشف السرد عن أصوات أخري بجوار الراوي هي العاملات اللاتي تعددت وجوههن وصورهن وأفعالهن، وعائشة الشخصية الثابتة التي كانت تريدها جيدة ورخيصة، وكانت تختبر كل عاملة بالعشرين ريال التي ترميها في الغرفة، ويمكننا بالتالي تصور العلاقة في الثلاثية بالشكل الآتي:

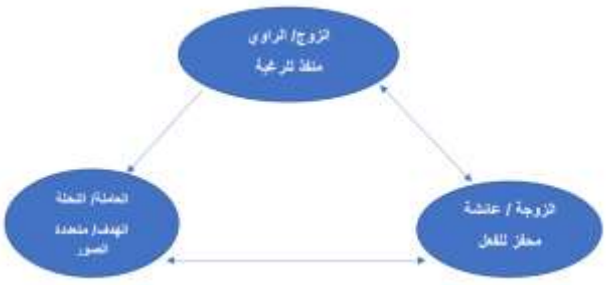

ثالثا: التقنيات السردية

١- **التقطيع الزمني:** ظهر التقطيع الزمني في نص (هدية أختي حسينة) من ثلاثية (غليان الشاي)، حيث امتدت الأحداث من الثامنة مساء العشرين من يونيو وانتهت في التاسعة من مساء العاشر من ديسمبر، لجأ للتقطيع الزمني للأحداث لينسج خيطا زمنيا يجمع بين مكانين مختلفين هما عمان وقرية من بلاد البنجال، كان الراوي يسرد ما يعيشه في يومياته التي يقضيها في عمان مغتربا ليعمل عامل بناء، وبجانب ما يعيشه كان يعود بالزمن ليسرد ما كان يعيشه في قريته، عبر علاقته بأخته حسينة

[٢٢] - المصدر السابق، ص٨٥

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ووالده ووالدته. ليكون الزمن زمنا متشظيا عبر السرد: زمن حاضر معاش في مكان، وزمن نفسي ذاتي عيشَ في مكان آخر، يجمع بينهما ذات الراوي عبر انتقالاته الذاتية، تجعل من النوم فاصلا زمنيا يربط بينهما، هذا التقطيع والتفاوت الزمني أثار التساؤلات ومزق منطق الترابط في النص، وحمل المتلقي على أن يعيش تجربة إنسانية تنقل ذلك الاضطراب المخزون في الذات عندما تعيش الاغتراب والقلق، وما تشعله التجربة من خوف وتوتر يحملها على الترقب كل يوم.

٢- **تعدد الأصوات:** حمل نصوص ثلاثية (صندوق المفاجآت الملونة)، تعددا لافتا للأصوات المعبرة عن الخوف؛ فقُدّم الخوف في هذه الثلاثية بأصوات جمعت بين الذات والآخر، إذ ظهر الخوف لدى العمال الأربعة الباكستانيين العمالقة، والرجل الأسمر الذي رافقهم(البنجالي) وهم يقومون بعمل مخالف للقوانين، إذ يحملون صندوقا بداخله عاملة دخلت بطريقة غير شرعية (تهريب عبر البحر الممتد)، ويصف الراوي حديثه معهم بالحديث الذي يملأه الحذر، ما يعكس خوفا كامنا نتج عن التصور الذهني المختزن في الذاكرة نقله وصفهم بالعمالقة والنمور ووصف مسؤولهم بقط السرك

كذلك انتقل الخوف عبر تعدد الأصوات في نص كائنات الأوهام والتوجس عبر السارد وزوجته، وأولادهما (وليد ومنار) إذ يعيشان مفاجآت من العاملات تبعث فيهم الخوف صورته كانت (الكوابيس الليلية)، من أثر ادعاءات وقصص تختلقها العاملة السابقة (شانتي). ثم العاملة ماري الجديدة التي مثلت النحلة الرخيصة.

٣- **الحوار الداخلي:** حمل الحوار الداخلي في نص الكتاب الإسمنتي أداة لإثارة الغموض، الذي أدى إلى جذب المتلقي وابقائه متشوقا لمعرفة المزيد، وهو ما يعزز تفاعل القارئ مع النص. فالراوي ينقل عادته في القراءة أثناء المشي، وكيف عثر على الكتاب الذي كان يقرأه عامل البناء البنجالي، وكيف دون في الكتاب بعض خواطره وأفكاره، الكتاب هو مجموعة قصصية للراوي ترجمت إلى الإنجليزية عنوانها (بيت وحيد في الصحراء)، كان الحوار الداخلي يسقط الواقع الدي تحول لهياكل رمادية بطابوق وحديد على انتقاله للكتاب الذي أصبح اسمنتيا بفعل وقوع بعض الاسمنت من يد العامل، عندما كان يقرآه ويداه ملطختان به بعد عمله." أمشي

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

في صمت الفجر، على أطراف الشوارع، حيث معظم البيوت لا تزال أنوارها الداخلية مطفأة، وبيوت أخرى تتهيأ لفسخ الظلام، وبيوت لا تزال هياكل رمادية بطابوق وحديد. هياكل تنو كالفطر، تسقى بأنفاس العمال الأجانب..."[٢٣]، ويقول في نهاية النص: " بدون إحساس بالذنب، تمنيت أن يتمزق وتتناثر أوراقه، طار وتجاوز الطاولة وحط بسلام بجانب الكتب المتناثرة قرب باب الحمام. ربما كثرة الكتب غير المنظمة، الغارقة في الفوضى، تشوش التفكير. أعترف أن رأسي مشتت..."[٢٤]، هذا الحوار الداخلي ينقل ذاتا مشتتة تعيش فوضى منبعها اضطراب نفسي نتيجة تخوف وترقب من آخر مجهول مثل حالة من الغموض وإثارة للتساؤلات التي كشفت لحظات الخوف لدى الذات، كشفتها لحظات خوف الآخر. وقد اختار الراوي أن يقدم الخوف عبر الآخر انعكاسا لفوضى الذات في داخله.

٤- **الرمزية في المكان والزمان:** أظهر كل من نص الإصبع وثلاثية غليان الشاي بنصوصها الثلاثة، ونص كائنات الأوهام والتوجس من ثلاثية صياد العاملات، رمزية للمكان كشف عن كمون الخوف واتصاله بالمكان، فالمشفى في نص الإصبع والغرف التي يحويها كغرفة الفحص وغرفة العمليات أماكن تدعو للخوف في تصور الشخصيات، والعمل الشاق في مواقع البناء بالنسبة للبنجالي المغترب مكان يبعث على الخوف والقلق والذات المرتبطة خاصة عند الارتباط بشخصيات مضطربة كالفورمن ومن يعملون معه، ومكتب العاملات الذي كان في مكان مختبئ وكأنه قبو وهو يعج بالعاملات الرخيصات، مكان يبعث على التوتر والخوف من الاقتراب منه، والذهاب إليه هو بمثابة المغامرة.

المبحث الثالث: دور الخوف في بناء الشخصيات والعلاقات

أولاً: أثر الخوف على الشخصيات في المجموعة القصصية

يلعب الخوف دورًا جوهريًا في بناء الشخصيات في النص القصصي، حيث يؤثر على سلوكها، قراراتها، وتطورها عبر الحبكة. يمكن استخدام الخوف كأداة رئيسة لتشكيل الشخصيات وإضفاء العمق على النصوص، إذ يدخل الخوف في تشكيل الدوافع

[٢٣] - المنذري، وقت قصير للهلع، ص٣٥

[٢٤] - المنذري، وقت قصير للهلع، مصدر سابق، ص٣٨

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

والسلوكيات، فقد كان الخوف هو الدافع الرئيس وراء تصرفات شخصية المريض في نص الإصبع، ويمكن أن ننقل لحظات البوح بالخوف في مقطع صغير كالذي يظهر في قول الراوي الذي يقول: " أخذ فسحة في التحديق ناحية المغسلة البيضاء النظيفة، والبطء المزعج لقطرات الماء من الحنفية الفضية ذات العنق الطويل. شعر بقبح وجودها في غرفة بسرير أبيض، بعد ذلك قال لها: " أنا خائف.."[٢٥].

كما يمثل تكرار البوح بالخوف في نص (الإصبع) ونص (هدية أختي حسينة)، مؤشرا على أن الخوف ظهر أثره في لغة الشخصيات، والرؤية السردية التي عمقها الراوي في النصوص، وتعدد الأصوات التي وردت في النصوص المختلفة من المجموعة، وقد استطاع يحيى سلام أن يوظف الخوف بوصفها أداة فنية عززت من الإحساس بالاغتراب كما في ثلاثية (غليان الشاي)، وثلاثية (صندوق المفاجآت الملونة)، عبر البوح عن الخوف الذي يعتري الآخر. ، والمجيء بالقلق الذي يعتري الذات والآخر في سياقات اجتماعية متنوعة في المجتمع العماني الذي أصبح مجتمعا ذا طابع متنوع الثقافات، الأمر الذي يخلق سياقات معقدة في تفشي الخوف والقلق، وقد ظهر الخوف في شخصيات النصوص كما يأتي:

١- تعقيد الشخصية وإضافة عمق نفسي

تعد شخصية المريض في قصة الإصبع شخصية معقدة كشف الخوف فيها عن نقاط الضعف في الشخصية، مما يجعلها أكثر واقعية وإنسانية، وقد كانت البداية تحمل هذا العمق، وشعور القلق الذي يسيطر على الشخصية الرئيسة في النص، " دخل المريض غرفة القلق. إصبعه ستبتر، وربما سيتناولها كهدية، وسيخرجها من الكيس البلاستيكي ويضعها على الطاولة ليصورها بهاتفه."[٢٦]

٢- تصعيد التوتر والصراع الداخلي

تصاعد التوتر والصراع الداخلي في شخصيات متعددة في المجموعة أبرزها كان العامل البنجالي في نص (هدية أختي حسينة)، فقد عبر مسار السرد ولعته عن شخصية

[٢٥] - المنذري، وقت قصير للهلع، مصدر سابق، ص١١
[٢٦] - المنذري، وقت قصير للهلع، مصدر سابق، ص٩

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

تتصارع مع مخاوفها الداخلية، مما يخلق صراعًا نفسيًا زاد من تعقيد الحبكة.

وظهرت شخصية الزوجة في نص (كائنات الأوهام والتوجس) في شخصية المغامرة التي اعتبرت الشغالة الرخيصة نحلة رخيصة، تبعدها عن الألم، وتحل لها مشكلة العمل الكثير مع أطفال صغار تزداد مطالبهم في البيت، وهو الأمر الذي يدفعها للمخاطرة للبحث والذهاب لأماكن مجهولة وغريبة لتصل لهدفها.

٣- دفع الحبكة إلى الأمام

غالبًا ما يكون الخوف هو المحرك الأساسي للأحداث، سواء كان خوفًا من الموت، أو العزلة، أو السلطة، أو المجهول، وقد مثلت شخصية الكاتب/ النهم بالقراءة أثناء مشيه شخصية دفعت بالحدث للوصول إلى عالم العامل البنجالي الداخلي والخارجي وهو جعل النص يتشظّى لثلاثة نصوص، دافعا بالحبكة إلى مسارات متعددة.

كما أن شخصية العامل البنجالي والعمال الباكستانيين والفورمن كانت كلها شخصيات تمثل الخوف من الفقر والضياع الذي يدفع الشخصيات للقيام برحلة خطرة تمثلت في الاغتراب والعمل في مجال البناء، وأغربها كان الفورمن الذي كان يلجأ للغش في البناء تحايلا على الواقع وصورة للوصول للهدف رغم المخاطرة التي تنهي وجوده.

٤- تحولات الشخصية وتطورها

مثلت شخصية العاملة شانتي تحولا لافتا في مواجهة المخاوف والهروب منها فتحولت من نحلة رخيصة تعمل إلى ممثلة تؤدي دور الممسوس من الجن وهو ما أدى إلى تطور الشخصية بشكل كبير، " تقول الزوجة: " كل هذا بسبب شانتي، كل ذلك بسبب الجني". - " يجب أن تقولي الممثلة شانتي". -" نعم هو ذلك .. ممثلة.. ممثلة عن حق". - " اقترحت على صاحب المكتب أن يضعها في صندوق بريد ذهبي ويأخذها لتمثل في بوليوود". ضحكت عائشة، وقالت: "شر البلية ما يضحك"[٢٧]، يعزز هذه الرؤية للزوجين عن شانتي ما فعلته، " كنا في الصالة ننتظرها أن تأتينا بالقهوة، وعندما وصلت رمت ما في يديها، وبدأت تصرخ وتتلوى على الأرض وكأن أفعى سامة لدغتها، دارت حول نفسها، تخيلتها تغطس في سائل أحمر، ثم تدور لترسم دوائر حُمْر في بلاط البيت

[٢٧] - المنذري، وقت قصير للهلع، مصدر سابق، ٥٧

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الأبيض. بثت الرعب في البيت. كان صراخها الحاد متقطعا وكأنها تغني في أوبرا، وكانت حريصة على شدّ شعرها الأسود المتفحم الطويل الذي يصل إلى أسفل ظهرها. كان المشهد مسرحيا ومتقنا بامتياز"[٢٨]

لقد كشفت التحولات السلوكية التي تمارسها شانتي عن خوف دفين يسكن ذاتها يتمظهر في تداعيات لاوعية يندهش منها الآخرون، وما كان التعليل بتلبس الجن سوى تفسيرا أسطوريا معتادا من متلقين لا يملكون سوى هذا التفسير لغرائبية أفعالها أمامهم.

ثانيا: كيف ساهم الخوف في تكوين العلاقات عبر التفاعل النفسي مع الذات أو مع الآخر؟

الخوف عنصر نفسي واجتماعي قوي يؤثر على العلاقات بين الشخصيات في النصوص الأدبية، حيث يمكن أن يكون **عامل تباعد أو تقارب**، ويمكن أن يُحوّل العلاقة بين الذات والآخر إلى صراع أو تضامن. وقد تجلى الخوف بين العلاقات في النصوص القصصية المتضمنة لمجموعة وقت قصير للهلع في صور منها:

١- الخوف بوصفه عامل صراع وعداء

علاقة الاضطهاد تتجلى عندما يكون هناك طرف يمارس السلطة والقهر على الآخر، ويخلق لديه خوفًا بشكل دائم، يمكن التمثل لهذه العلاقة بشخصية (الفورمن) الذي يقصد به رئيس البنائيين في مواقع بناء المنازل في عمان، وعلاقته بالبنائيين التي يحص أن تكون علاقة اكراه وضغط في العمل، ظهرت كوامن هذه العلاقة في الحوار الذي تبادله الراوي مع الفورمن عندما سأل أحد العمال الذي كتب بعض مذكراته في كتاب قصصي، وذهب الرواي ليسأل عنه في موقع البناء، يقول الراوي: " هذا الكتاب وصلني من هذا البيت الذي تبنيه مع عمالك"، صمت ساهما، وربما قال في نفسه: " من هذا الذي جاء يضيع وقتي بهذه الترهات؟"...." ثم أضاف: لا يوجد إلا واحد فقط كان مهووسا بالكتب

[٢٨] - المصدر السابق، ص٥٧

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

التي ضيّعت عقله، أيضا رحل إلى بلده ولن يرجع..كان ساحرا" – ماذا ؟ كان ساحرا؟ ، هل قلت لي أنه كان ساحرا؟ تأفف قليلا. ربما شتمني. لكنه أخذ نفسا عميقا لم يخل من سعال وحشرجة صدر، وقال: " نعم، نعم، كان ساحرا"، ضحك مجددا، وأردف: " يكتب في أوراق.. يعمل سحر.. وبعد ذلك تأتي العاملة إليه مسحورة.. عمل الكثير من المشاكل، كان صيادا ماهرا"[٢٩].

بعد هذا الحوار الساخن تتضح علاقة الاضطهاد التي مارسها الفورمن مع هذا العامل البنجالي ويفضحه حديث عنه: " أعرفه، أعرفه، نعم هو من حدثتك عنه اسمه محمد عز الدين، يكتب في أوراق، ويدفنها في التراب، وفي الليل تأتيه شغالة ويأخذها إلى مكان لا نعرفه، مرات عديدة تأتي الشرطة وتسأل عنه. رجل صاحب مشاكل، لديه صديق حاول مرارا أن يحرق كتبه ليبعده عن عمل السحر، لكنه في كل مرة ينتابه خوف ويبتعد عنها"[٣٠]، إذن فقد كشف حديث الفورمن عن هذا العامل أنه قضى مدة عمله يعيش تحت تهديد مستمر من سلطة الفورمن، الأمر الذي ولد علاقة خوف بينه وبين مجتمع العمال الذين يرأسهم.

٢- الخوف عامل تقارب وترابط

علاقة الخوف المعدي: تتجلى هذه العلاقة في الأطراف الذين يقعون في المصير المجهول نفسه، ويواجهون المصير ذاته عندما يكتشف ما يفعلون من أفعال في نظهرهم حق إنساني بينما هي خرق لقوانين العمل المعمول بها في بلد العمل، مما يولد سوء فهم وردّة فعل ناتجة عن ذلك الخوف، كشف عن هذا ما كتبه العامل البنجالي في نص (هدية أختي حسينة) عندما " تذكرت قادر الباكستاني. هرب بعد شهر من وصولي إلى مسقط، قيل إنه وقع في غرام إحدى الشغالات، وواعدها خلسة في منتصف الليل، وحملت منه. هرب، ولم نره مرة أخرى، وجاءت الشرطة مرارا إلى موقع البناء لتبحث عنه، وحققت معنا حمياع ، وتوقف العمل لساعات. وأما صديقته الشغالة فقد رُحِّلت إلى بلدها،

[٢٩] - المنذري، وقت قصير للهلع، مصدر سابق، ص٤٢، ٤٣

[٣٠] - ص٤٣

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ومولودها أودع في دار الأيتام هنا؛ لأن بلده لا يستقبله" هذه القصة تركت أثرا كبيرا في نفس العامل ودعاه الألم الذي شعر به من القصة إلى التفكير في مصير المولود والتشتت الذي حدث بين هذه الأنفس، وكل ذلك بسبب متعة عابرة وقوانين حارقة، يقول الراوي (العامل البنجالي): " منذ ذلك الوقت لم أجرؤ على المغازلة والتحرش بفتاة، صار الخوف يتلبّسني حتى لا أسجن أو أعذّب أو أضرب أو أفقد عملي، إنه الخوف، الخوف من كل شيء، صرت إنسانا آليّا.. " حاولت أمي مرارا إقناعي بالزواج، لكنني رفضت ..."[٣١]

علاقة حماية ورعاية: وهي العلاقة التي تظهر طرفا يخاف على الآخر، مما يدفعه إلى حمايته والتضحية من أجله، كما ظهر ذلك في شخصية الزوج في ثلاثية (صندوق المفاجآت الملونة)، الذي يظهر فيه الزوج في صراع قوة مع أربعة عمال باكستانيين لفظهم بحر عمان ويعملون في تهريب العاملات، وقد أوصلوا له صندوقا يحمل عاملة لزوجته وولديه الذين يتكفل برعايتهم وحمايتهم، " فهم النمر موقفي، حدجني بنظرة غاضبة وأخبر زملاءه بالانصراف، وكأنه قال لهم: هيا الآن، لاحقا سنناقش أمر هذا البخيل". كان قلبي يخفق، وفكرت في الطيور الثلاثة التي تملأ البيت سعادة. رافقتهم عند الباب، وعندما همّوا بركوب الشاحنة، صرخت أن يتوقفوا، لم أقصد أن أصرخ، ذهبت إليهم صاغرا، وقلت لهم بعد أن تمكنت من صنع ابتسامة، وبصوت خافت: انتظروا. أدخلت يدي في جيبي وناولتهم مبلغا من المال. إنهم يستحقون؛ فقد عانوا في حمل الصندوق الثقيل، رغم أنه كان بالنسبة لهم وكأنه كرسي خشبي"[٣٢]، يشعر الأب بالخوف على أفراد أسرته، ما يعزز مشاعر الحب والتضحية من أجلهم ويتحلى عن المال لحرصه عليهم.

٣- **الخوف حافزا للتعاون:**

في هذا النوع من الخوف تدرك الشخصيات أن التعاون هو الحل الوحيد لمواجهة مخاوفها، مما يولد نوعًا من التضامن بينهما كما فعل العامل الهني الذي أعطى الكتاب الذي كان يقرأه العامل البنجالي للراوي الذي كان يقرأ كلما خرج يمشي، فقد شعر العامل الهني أن هذا الكتاب مفيد للقارئ الراوي الذي كان شغوفا بالقراءة وكانت الناس تستنكر

[٣١] - المنذري، وقت قصير للهلع، ص٣٠
[٣٢] - المصدر السابق، ص٥٢

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

عليه فعله هذا، يقول " وعندما لا أصطحب صديقي الكتاب أشعر بالوحدة ، وتنطفئ رغبتي في المشي، وأرجع إلى البيت فورا" ويردف ساردا: " وفي بعض الأحيان أصادف مجموعة من العمال يمضون إلى أعمالهم بعضهم يصيح باتجاهي مرحبا وملقيا السلام، لا يعرفونني، ولكنهم يبتسمون، وفي أحد الصباحات الباردة أوقفني أحدهم، أظنه هنديا، ترك كرسيه ودخان سخونة شايه، وسلم علي بحرارة وكأنه يعرفني، تقدم ناحيتي، وقال لي: "السلام عليكم أرباب.. أتريد هذا الكتاب؟". سعقني سؤاله المغلف بالتهكم. ضحكت. ناولني الكتاب وهز رأسه متوسلا أن أحتفظ به. تناولته بشيء من السرعة وشكرته، وهرولت مسرعا."[٣٣]، لقد كان الخوف من الرفض الاجتماعي والغربة التي يعيشها العامل الهندي دفعته ليتوسل الكاتب بأن يسلم الكتاب الأسمنتي إلى هذا القارئ، ليجد من يشاركه الانتماء في مجتمعه الصغير الذي شاركه فيه العامل البنجالي.

٤- الخوف بين الذات والنفس (الصراع الداخلي)

الخوف من الذات، تتجلى هذه العلاقة المتصارعة التي يكون الخوف محركها في الشخصية التي تخشى قراراتها، أو أن تتحول إلى شخص آخر لا تريده. كما ظهر ذلك في شخصية العاملة الفليبينية (ماري) التي أحضرتها عائشة وزوجها من مكتب عاملات صغير بي الأزقة، وقد اكتشفت عائشة هذه الشخصية التي تعاني صراعا مع الذات من خلال ما رواه الراوي عندما اكتشفت زوجته عالم العاملة (ماري) الآخر، يقوي: " اكتشفت عائشة أن وليد محموم. قررنا أن نأخذه المستشفى، فذهبت عائشة لتخبر ماري وطرقت بابها، كانت الساعة الثانية عشرة منتصف الليل، وحينما فتحته كانت بكامل زينتها وألوانها، وعيناها نصف مغمضتين. ربما دخلت حفلة راقصة. إذن تبرجها لم يكن فقط أثناء العمل كبقية العمال والموظفين حينما يتأنقون وقت ذهابهم إلى عملهم، بل كان أبعد من ذلك".

يعلق الراوي على تصرفها هذا قائلا: " كانت سباحة ماهرة في أناقتها في كل وق، كسمكة ملونة في بحر مجهول، تبحث عن جزيرة الراحة، غير عابئة بالكائنات الأخرى"[٣٤]، ولعل هذه التصرف الغريب التي تظهره لم يكن الوحيد، بل يتكشف لهم

[٣٣] - المصدر نفسه، ص٣٦

[٣٤] - المصدر السابق، ص٧٥،٧٤

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

خوفها وانفعالها من الأصوات المفاجئة، إذ يحكي الراوي عن زوجته عائشة: " من يومين أخذتها معي إلى البقالة، وكان الهدوء يعم المكان، وفجأة سقط شيء من أحد الأرفف، فارتعدت بقوة وصرخت والكل توجّه بأنظاره إليها متسائلين عن سبب الصرخة، فعلا.. كأن قنبلة انفجرت"، ويسألها: " وأنت.. ماذا فعلت؟"، وترد: " تسمرت في مكاني مندهشة أنظر إليها كغيري من الموجودين، ويسألها: وهي، ماذا فعلت؟ أقصد بعد أن صرخت ورأت الناس يحدقون فيها؟، وترد عائشة: " لم تفعل شيئا عادت إلى طبيعتها كأن شيئا لم يكن، تجاهلت الجلبة التي أحدثتها، ابتسمت ونكست رأسها" بعدها يعلق الراوي: " خوف ماري من الأصوات الفجائية عطى على عادتها في صبغ وجهها بالألوان، ولم تجد حتى من يسألها أو يناقشها عن الأسباب"[٣٥]، إن سلوك ماري وأفعالها تعكس ذاتا خائفة تعيش صراعا لم يكشفه الحوار ، لأنها ذات موصوفة في النص القصصي حتى وجودها ترتعش بعد حكاية وليد ومنار عن الوحوش عكس هذا الخوف الساكن فيها والذي تعيشه صراعا ذاتيا لنفس سيطر عليها الخوف حتى النخاع

الخوف ليس مجرد إحساس عابر، بل هو قوة عاطفية تتحكم في العلاقات داخل النصوص القصصية في المجموعة، **إما أن تخلق صراعًا، أو تبني جسورًا من الترابط بين الشخصيات،** وهو أداة سردية قوية تمنح النصوص **أبعادًا نفسية واجتماعية أكثر عمقا.**

الخلاصة:

إن التشكيلات السردية من خلال ثلاثية الكل، وثلاثيتي الجزء قد قدمت حمولات دلالية متعددة، وهو ما أعطى النصوص القصصية غنى، شكل الراوي فيها عنصرا محركا للتأمل في الواقع، وما صنعه الوهم، وهو ما قد يعيد الأسئلة في حياتنا وما نفعله.

اهتمت المجموعة بعرض شخصيات سردية تعيد طرح أسئلة حول قضية (المركز والهامش)، إذا متى نطلق على الشخص أنه يعيش على هامش الحياة ومتى يدخل مركزها؟ فالمريض والعامل والمهموم بالمعرفة – الذي يكون مدعاة لسخرية البعض أحيانا- والرجل البسيط في المجتمع كلهم لا يغيرون مصيرا بقدر ما هم ينقادون لمآلات

[٣٥] - المنذري، وقت قصير للهلع، مصدر سابق، ص٧٧

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الواقع وما تفرضه الأنساق الثقافية للمجتمع، ويفرضه اللاوعي الجمعي.

حمّلت النصوص بثيمات لفظية دلالية سطرت لكل نص عالمه، ولكل ثلاثية ثالوثها، المحرك للعبة السرد داخلها، مطعما النصوص بالرموز الدلالية، وطرح أسئلة الهوية من خلال جدلية الأنا والآخر، كما شحنت النصوص بالعوالم المتخيلة والقصص الإسقاطية التي يخلقها الراوي، وتنقل جزءا من النسق الثقافي الجمعي الذي هو متورط فيه، وكان مرآة له.

تتجلّى الشعرية في مجموعة (وقت قصير للهلع) فيما يلي:

- شعرية الألفاظ التي عبّرت عن الهلع وارتباطه بالزمن لحدوثه، فالهلع وقته محدود في مقابل الخوف الذي قد يسكن النفس وقد يتطور لمرض نفسي عصبي عضوي في أبشع حالاته، يقول الله تعالى في سورة البقرة: " ولنبلوتّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين"[٣٦].
- غنى المعجم اللغوي المصاحب للتعبير عن الخوف واتساع دلالاته، وتعدد صوره لدى شخصيات النصوص القصصية، وارتباط ذلك بقضية المركز والهامش.
- شعرية التراكيب الثنائية المعبرة وجود المتناقضات في نفوس البشر ك (التعب/ والنوم)، (الألم والقوة)، (المرض والصحة)، (القلق والبرود)...الخ
- شعرية الزمن (القصير والممتد في ملاحقة المخاوف، وإبرازها للسطح بما يسمح في نسج عوالم متخيلة ممكنة تراوح فيها النفس مخاوفها.
- شعرية التعبير عن الآخر الذي ألبست الذات فيه، فالآخر مرآة الذات، وفيها طرح لسؤال الهوية إذ قد يعبر الآخر وإن كان من غير عرقنا عن مخاوفنا، ولذلك دلالته العميقة في الفهم النفسي للأنا والآخر. وفي المجموعة اتساع لحضور صور الآخر وتعددها بين الضعف والقوة، والحضور والغياب، الثبات والتردد.

[٣٦] - القرآن الكريم، سورة البقرة، آية ١٥٥

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم
٢- البشير (سراته)، شعرية الحزن في الشعر الأندلسي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ٢٠١٤. ٢٠١٥.
٣- الرويلي (ميجان)، والبازعي (سعد)، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٣، ٢٠١٧.
٤- زعلة (علي)، الآخر في الرواية السعودية، دار مدارك، الرياض، ط١، ٢٠٢٢.
٥- المنذري (يحيى سلام)، وقت قصير للهلع، دار عرب للنشر والترجمة، ط١، ٢٠٢٢.
٦- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٦، ٢٠٠٨، ج (٥- ٦).

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898